تاريخ المصريين ٢١١



إمارة الرها الصليبية

دكتورة علية عبد السميع الجنزوري

الهيئة المصرية العامة للكتاب

دكتورة علية عبد السميع الجنزورى

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

إمارة الرها الصليبية

صفحة لها خطورتها فى تاريخ الجهاد الاسلامى والمحاولات العديدة التى بذلها الصليبيون فى امارة الرها لتمزيق وحدة المسلمين واقامة حاجز بين بلاد العراق من ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية أخرى .



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الإهـــداء

" إلى زوجي العزيز الذي كان لتشجيعه
المستمر لي أكبر الأثر في إتمام هذا البحث "

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية» للأستاذة الدكتورة علية عبدالسميع الجنزورى، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره فى هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة علية الجنزورى بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «والحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالى يتناول تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها

الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية، إذ أصبحت عقبة فى طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام، وفى الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتورة علية الجنزورى، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية.

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف.

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

((تقـــديم))

مازالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستأثر بجهود كثير من الباحثين فى ميدان التـــاريخ وخاصـــة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشـاط الصليبيين فى بلاد الشام بوصفها الهدف الأول للحملات الصـــليبية ـــ فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية ـــ ما تأثر تأثرا مباشرا بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميدانا كبيرا لنشـــاط صليبى واسع المدى ، لا يقــل فى بعض مراحله عن النشـاط الصليبى بالشام .

من ذلك ما شهده اقليم الجـــزيرة فى بلاد العراق من نشـاط صليبى واسع النطاق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . ذلك أن الظروف شـــاءت ان تقوم اولى الامارات الصليبية التى أسسها الصـــليبيون فى الشرق الأدنى فى الرها وما حولها من أراض وبلاد ، وهى منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى فى ذلك العصر . وجاء قيـــام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذانا ببداية مرحلة جديدة فى تـــاريخ تلك المنطقة ، وهى مرحلة شهدت صراعا عنيفا ـــ يظهر حينـــا ويستتر احيانا ـــ بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف مللها ونحلها ، من ارمن وسريان ، واتراك وتركمان وعرب ، فضلا عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من انفسهم ارستقراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بعبء وحمـــاية الكيـــان المسيحى وسط المحيط الاسلامى الكبير .

ولا شك فى ان الموقع الجغرافى لامارة الرهـــا الصليبية اســـهم الى حـــد كبير فى اضـــفاء قـــدر من الاهميـــة على الدور الذى قـــدر لتلك الامارة ان تلعبه على مسرح الأحـــداث حتى ســـقوطها ســـنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسى بين الموصـــل وحلب

وهما اكبر قوتين اسلاميتين فى شمال العراق والشام فى ذلك الدور - مما جعل منها عقبة فى طريق قيام اية وحدة اسلامية تربط بين شمال العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعها فى الشمال الشرقى بالنسبة لبقية الامارات التى اسسها الصليبيون فى الشرق الأدنى جعل منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمى البناء الصليبى فى ذلك الاتجاه . فاذا اضفنا الى ذلك قربها من المجتمع المسيحى فى أرمينية وشرق الاناضول من ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، اد.؟ خطورة الدور الذى نهضت به امارة الرها الصليبية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت به المنطقة التى قامت فيها امارة الرها من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى .على أن حسن الحظ شاء أن تتصدى لعلاج هذا الموضوع الدكتورة عليه الجنزورى ، فوضعت هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للباحثين فى حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتورة عليه الجنزورى — التى تتلمذت علينا فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن أن يتصف به باحث ناجح ، من حيث الجرأة فى التصدى لمختلف الآراء ومناقشتها وتفنيدها ، مع التحلى بروح الصبر والمثابرة فى تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والقدرة على حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة الى التنويه بالجهد الذى بذلته الدكتورة عليه الجنزورى فى تاليف هذا الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح الصامت ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى ان ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داعيا للدكتورة عليه الجنزورى بالتوفيق فى مواصلة طريق البحث . وانى لعلى يقين من انها — بفضل ما توافر لها من عزم وذكاء وخلق متين — ستقدم للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الأصيل ان شاء الله .

دكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقـــدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما فى تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامى كانت هذه الحروب بمثـابة زلزال مروع حل ببنـاء قديم ، فأصابه بشرخ عميق . ذلك ان الحملة الصليبية الأولى وصلت الى الشرق فى وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم فى الأرض العربية ويقيموا عليها فترة من الوقت .

وقد تمخضت الحملة الصليبية الأولى عن اقـامة اربع امارات صليبية فى كل من الرهـا وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منـها دورا كبيرا فى الصراع الذى دار بين المسـلمين والصليبيين على مسرح الشرق الأدنى فى عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الأمر فى نهاية القرن الثـالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

واذا كانت الامارات الثلاث الأخيرة السـالفة الذكر تقـع فى ارض الشـام ، فان امارة الرها تميزت بوقوعها فى أرض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيـا بالغ الأهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبى فى الشرق الأدنى . ومعنى هذا ان امارة الرها صارت بالنسبة لبـاقى الامـارات الصليبية بالشـام بمثابة درعها الواقى من ناحيتى الشرق والشمال الشرقى ، ويشبهها من بعض النواحى فى هـذه الصفة امارة انطاكية فى شمال بلاد الشام مع ملاحظة ان الخطر البيزنطى الذى تصدت له امارة انطاكية كان لا يقـارن بخطر السلاجقة والتركمان الذى كان على امـارة الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا إن جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق الأدنى انما يدور حول نشـاط تلك الامارات . ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نذكر ان هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وانما امتد ليشمل آفاق مجتمع صليبى قـدر له أن يعيش عدة أجيـال وسط أرض غريبة لها اوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن اوضاع المجتمع الصليبى . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . واذا كانت مملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت — بحكم مكانتها — بالقسط الأكبر من جهود الباحثين ، فان امارتى انطاكية وطرابلس مازالتا تحت أضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات العلمية عنهما .

اما « امارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ ان نصيبها كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وان ظهرت بعض الدراسات المحدودة التي تعرضت لجوانب من تاريخ هذه الامارة انصب اغلبها على النواحى السياسية والحربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحي الحضارية ، ولعل هذا هو الذى اثار احساسنا بحاجة امارة الرها الى مزيد من الضوء على تاريخها ، مما دفعنا الى دراستها دراسة متكاملة متخصصة فى هذا البحث .

وربما كان من الأسباب التى لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا فى تاريخ امارة الرها الصليبية هو أن هذه الامارة كانت بمثابة جزيرة ارمينية وسط بحر اسلامى بيزنطي واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الأصلية لها لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل ايضا تتطلب الرجوع الى مصادر عربية اسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمينية والسريانيـــة .

وقد حاولت فى هذه الدراسة ان استقى المعلومات التاريخية الخاصة بامارة الرها من كافة المصادر الأصلية المتنوعة السابقة الذكر ، فضلا عن الاستفادة من آراء المؤرخين المحدثين الذين كتبوا فى تاريخ الحروب الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبذلت فى ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة تاريخية واضحة لامارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الاشارة الى الدور الحيوى الذى قامت به هذه الامارة القصيرة الأجل (١٠٩٨ — ١١٤٤ — ١١٤٦م/٤٩٢ — ٥٣٩ — ٥٤١هـ) فى الصراع الاسلامى الصليبى طوال مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة ان موضـــوع « امارة الرهـــا الصليبية » كان موضـــوع رســـالتى فى الدكتوراه . ولمـــا وفقت بعون الله فى الحصول عليها ، رأيت أن من أولى واجباتى تجاه حقل تاريخ العصور الوسطى ، أن افكر جديا فى نشر هذا الموضوع حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخى الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى فى فترة الحروب الصليبية . وبذلك أكون قد اسهمت بقدر — هو اقصى ما سمحت به طاقتى وجهدى — فى سد احدى الثغرات التى كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعنى الآن قبل البدء فى طبع هذا البحث العلمى المتواضع ، الا ان ابدا برفع اسمى آيات الشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذى اشرف على هذا البحث وساعدنى فى اختيار موضوعه . ولا يخفى أن الأستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية فى العصور الوسطى فى مصر والعالم العربى . وكان لى الشرف أن احظى باشرافه وأن انهل من علمه وأدبه وتوجيهاته فى المنهج العلمى وفى الرجوع الى المصادر الأصلية ، وأن قلمى ليعجز عن اظهار مدى تقديرى لسيادته . والحقيقة أنه كان باستمرار مخلصا فى نصيحته ، عالما فى نقده ، والدا فى حلمه ، قويا فى صبره ، مؤمنا صالحا فى علاقاته ، قاسيا امام الخطأ ، رحيما عند المقدرة .

كذلك لا انسى ايضا فى هذا المجال ان اتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى استاذتى الفاضلة وأمى الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف استاذة كرسى التاريخ الاسلامى والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس — والتى اشتركت فى الاشراف على بحثى هذا — لما قدمته لى أيضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لى من صعاب واجهتنى خلال اعداد هذا البحث بالاضافة الى رعايتها الكاملة لى مما شجعنى كثيرا فى اتمام هذا البحث .

وفى النهاية لا يفوتنى أيضا ان اتقدم بشكرى الوافر الى بعض من كان لهم الفضل فى تذليل الكثير من الصعوبات التى واجهتنى اثناء جمع مادة هذا البحث واخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمى عبد الواحد خضره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذى تفضل مشكورا بمساعدتى فى ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتى افادتنى فائدة جمة فى سد الكثير من الثغرات اثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك اقدم شكرى الجزيل لسيادة الأب منصور مستريح عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص فى الدراسات الأرمينية الذى تفضل مشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الاصل الأرمنى الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتى تنشر لأول مرة ، حيث اننى قد أوردتها بالكامل كملحق فى نهاية هذا الكتاب ، فلقد كنت شرعت فعلا عند عثورى على هذه القصيدة — ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

فى ترجمتها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديصان — أحد آباء معهد الدراسات الشرقية للدومنيكان — أشار على بانه من المستحسن الاتصال بالأب ملصور مستريح ليقوم بترجمة القصيدة عن الأصل الارمينى حتى لا تغير الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصلى ، وبالفعل تولى سيادته مشكورا مهمة تقديمى للأب منصور مرحب بتلك المهمة . لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة كميكروفيلم حتى تسهل مهمة الترجمة . وهكذا استطعنا فى النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه القصيدة الجديدة الهامة فى هذا البحث .

ولا أنسى ايضا ان أتقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة الاباء الدومنيكان الذين أفادتنى مكتبتهم افادة كبرى واخص بالذكر الاب جورج شحاته قنواتى مدير الدراسات الشرقية للدومينيكان والأب ديصان والأب كورتباريه . كما أتقدم بشكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى راسهم الأستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس والاسكندرية .

والله ولى التوفيق "

القاهرة يوليه ١٩٧٤

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا فى بحثنا هذا على عدة مصادر ثقه اصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وارمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عدة مراجع حديثة عربية وافرنجية استفدنا منها فى نقل بعض الآراء بل وفى الوصول الى بعض الحقائق التى اخذتها عن مصادر لم نستطع الوصول اليها .

وقد افادتنا بعض هذه المصادر فى غالبية اجزاء الرسالة اما البعض الآخر فقد افادتنا فى اجزاء محدودة دون غيرها .

ياتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة **المصادر اللاتينية** التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنا على غالبيتها فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية Recueil des Historiens des Croisades وسنكتفى هنا بالاشارة الى اهمها :

اولا : Gesta Francorum او (Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium)

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر Foulcher de Chartres

وكان فولشر هو القسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م . وصحب روبرت الثانى دوق نورمانديا فى الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م .(١) ثم انضم الى بلدوين البولونى—مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشارفولشر الى ذلك فى كتابه(٢) — واصبح قسيسا لحملته(٣) . ويعتبر كتابه من اهم التواريخ المعاصرة للحملة الصليبية الأولى — فهو يغطى الفترة ما بين

---

(١) Encyclopaedia Britannica, V. 9, p. 908. (1960).

(٢) Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid. T. 3, p. 337.

(٣) Runciman : A History of the Crusades, V. 1, p. 201.

مؤتمر كليرمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالى فقد عاصر قيام امارة الرها وشهد ازهى ايام تاريخها ثم روى فى تاريخه الاحداث التى شاهدها بنفسه(٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول من ١٠٩٥م الى ١١٠٠م والثانى ينتهى ١١١٨م . والثالث ١١٢٧م(٥) .

اما المصدر اللاتينى الثانى فهو : (Historia Hierosolymitanae Expeditionis , Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro). الذى الفه البرت د/ اكس او الاكسى Albert d'Aix وهذا المؤلف يقع فى اثنا عشر كتابا . كتبه البرت فى الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى ١١٣٠م . وهو يعتبر من اهم مصادر الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس اللاتينية حتى ١١٢١م(٦) .

حقيقة ان البرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان فى تدوين كتابه بالمصادر المعروفة فى ذلك الوقت كما نقل عن اصول اخرى اندثرت ولم تصل الينا واستمع الى عدد ممن اشتركوا فى الحملة واطلع على بعض المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك يأتى المصدر الثالث الذى افادنا بدرجة كبيرة فى كل اجزاء الرسالة تقريبا وهو كتاب وليم الصورى (William of Tyre ١١٣٠ ــ ١١٨٦م) واسمه (A History of Deeds Done Beyond the Sea) وهى الترجمة الانجليزية التى رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصورى هذا موسوعة فى تاريخ الحروب الصليبية عامة(٧) . بدأ تدوينه من ١١٦٩م ويعتبر مصدرا اصليا عن الفترة الممتدة من ١١١٤ حتى ١١٨٤م(٨) .

اما الجزء الأول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

---

(٤) Encyclopaedia Britannica ; V. 9, p. 908.

(٥) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ؛ ص ٧ .

(٦) Encyclopaedia Britannica ; V. 1, p. 524.

(٧) William of Tyre ; A Hist. of Deeds ...... p. 4.

(٨) William ; Ibid., V. 1, p. 37.

من المعاصرين للأحداث التى رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صاحب كتاب Raymond d'Aguilers. (Gesta Francorum.)
Fulcher of Chartres, Albert d'Aix. (٩)

هذا الى جانب اعتماده فى بعض أجزاء الكتاب على الرواية الشفوية وكذلك على الكتابات الاثرية على المبانى ١٠)' ونقل كتاب وليم الى الغرب عن طريق (Matthew Paris) فى احدى حواشى مخطوطة الأخير المسماه (Historia Minor) ذكر انه نقل مؤلف وليم عن بطرس أسقف ونشستر Winchester الذى احضرها من الأرض المقدسة ١٢٣١ م(١٠) .

كان وليم رئيس أساقفة صور من ١١٧٥ — ١١٨٤ — ١١٨٥م . وكان أصلا مواطنا من مملكة بيت المقدس ؛ ولد حوالى ١١٣٠م ربما فى بيت المقدس نفسها . والراجح أن والديه كانا من الغرب ، وبالرغم من انه قد اسهب فى الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صمت صمتا تاما عن نسبه هو . وبذلك ظل نسبه دون أى سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر.
اتقن وليم العديد من اللغات أهمها الفرنسية التى كانت لغة البلاط فى مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التى شاركت الفرنسية فى حقل التجارة ، ثم اليونانية التى كانت أيضا تستخدم استخداما واسعا فى الشرق . كذلك اتقن اللغة اللاتينية — لغة الكنيسة والمدارس — وذلك بحكم تربيته الدينية فى الكنيسة . هذا بالاضافة الى المامه السطحى ببعض اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

اما المصادر البيزنطية فيأتى على راسها كتاب (الالكسياد **Alexiad**) للأميرة (انا كومنينا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب ؛ والواقع ان هذا الكتاب ظل أمدا طويلا مصدرا لمؤرخى الامبراطورية البيزنطية ولمن كتبوا عن الحملة الصليبية الاولى(١٣) . وقد ذكرت الاميرة (انا) انها الفته كى تذكر فيه الأعمال التى قام بها والدها « كى لا تضيع فى سكون(١٤) » .

---

(٩) William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29
(١٠) William : Ibid., V. 1, p. 30.
(١١) William : Ibid., V. 1 p. 42.
(١٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 4 - 9.
(١٣) Anna Comnena : The Alexiad. p. vii.
(١٤) Anna : Ibid., p. 1.

ثم ذكرت سبب تصميمها على كتابة الالكسياد فقالت « كان زوجى هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب فى كل شىء ، صحب أخى هنا — الامبراطور — فى عديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نقفور غير قادر على ترك عمله الأدبى ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية الممتازة ، وقد أعجبت الملكة كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الامبراطور الكسيوس — ابى — يوضح فيه الأعمال التى تمت فى عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نقفور الى الدراسات التاريخية والأدبية التى كان يهواها وبدأ نقفور فعلا فى تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الامبراطور رومانوس الرابع ، ولكن عندما وصل الى عهد والدى واصبحت مسودة لتلك الفترة وعاد بها الينا من الخارج نصف منتهية ، كان للأسف قد عاد ايضا محملا بورم خبيث داخلى كان يعانى منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لمغامراته (١٥) لذلك قررت (أنا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك ابرزت اعمال والدها الامبراطور الخالدة بالاضافة الى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف ان الاميرة (أنا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وضعت كتاب الالكسياد باللغة اليونانية وهو يغطى الفترة الممتدة من ١٠٦٩م الى ١١١٨ م بدأت فى تدوينه بعد ١١٣٧م وانتهته حوالى ١١٤٨م (١٦)

وقد افادنا كتاب الالكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية الرهوية .

اما المصادر الأرمينية الهامة التى اعتمدنا عليها ، فكان مركزه فى :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهى حسب ترتيبها الزمنى : مقتطفات من حولية متى الرهاوى **Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse.** وحولية الكاهن جريجوار **Chronique de Grégoire Le Prêtre** وقصيدة رثاء الرها للقديس نيرسيس شنورهالى **Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès Schnorhali**

---

(١٥) **Anna : Ibid, p.p. 2 - 3.**

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩.
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992.

وتعتبر حولية متى الرهاى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية اجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة اقسام الأول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م(١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الأخبار والأعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد متى الرهاوى بمدينة الرها(١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشىء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م اثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها(٢١) . ومعنى هذا انه عاصر امارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

اما حولية الكاهن جريجوار فقد اكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدات احداثها بسنة ١١٣٧م . ويبدو انه كان تلميذا لمتى بدليل أنه حاكاه فى عدائه الشديد للبيزنطيين ، كما سار على نهجه فى تقييم الاشخاص والاحداث . وهو كاهن أرمنى علمانى كان متزوجا . افادتنا كتاباته كثيرا فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنين ومانويل كومنين على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع ان قلمه لم يكن اقل نشاطا من استاذه(٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى احداث ١١٦٣م(٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها فهى من اهم المصادر الأرمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتى لم تنشر بعد وقد افادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريبا . لذا اوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

---

(١٧) Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63.

(١٨) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

(٢٠) Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. T.1, p. 151.

(٢١) Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107.

(٢٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هـذه على شـكل ملحمـة ، على طريقـة هوميروس ــ كما ذكر هو بنفسه في مقدمتها ــ وسرد فيها اثناء رثائه للمدينة تاريخهـا القديم وامجادها وغناها الاقتصـادى ، ثم اشـار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآنى وعلاقة كل منه بالرهـا . ثم استطرد فى ذكر حصـار زنكى للرهـا بالتفصيل وموقف اهلها منـه حتى سقطت فى يده . مـع ابراز دور رجال الدين فى ذلك الحصـار وموقف زنكى من كنائس المدينة .

وقـد نشرت القصيدة التى كتبت أصلا بالأرمينية بواسطة دولوريبه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T 1) طبعة ١٨٢٨م .

ولـما كانت تلك القصيدة من الأجزاء الجـديدة فى بحثنا فان هـذا يدفعنا الى التعريف بصورة مفصلة الى حـد ما على مؤلفها .

كان سانت نيرسيس رابع البطارقة الأرمن الذين حملوا هـذا الاسم . وشنور هالى Schnorhali معناها (المـذب) وقـد لقب نيرسيس بالعذب لدماثة اخـلاقه وسلاسة شـعره ، كما لقب ايضـا جلايتسى (Glaietsi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث اقـام ردحا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الأصغر للأمير (ابيراد Abirad) صاحب حصن (دزوفك Dzovk) فى اقليم خرتبرت . ولد ١١٠٢م ونشـأ هو واخوه الاكبر جريجوار ــ الذى اصبح بعد ذلك Catholicos باسم جريجوار الثـالث ــ فى كنف اخى جـده البطريرك جريجوار فجـاياسير Vgalacer . وعندما تولى أخوه الكرسى البطريكى ١١١٣ م اشترك معه فى ادارة الشئون البطريكية ، حتى توفى الاخ ١١٦٦ م وعندئذ خلفـه نيرسـيس على الكرسى البطريركى حتى وفاته ١١٧٢م . ويعتبره الأرمن من اعظم قـديسيهم فضـلا عن انـه فى نفـس الـوقت من اعظـم شعرائهم(٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الأرمينيـة مجموعـة من المراجع العامة الخاصة بتاريخ الأرمن والتى احدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذى

(٢٤) Dulaurier : (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 223 - 224.

كتبــه Hrand Pasdermadjian الذى ولد فى تفليس عــام ١٩٠٤ وتوفى فى جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان أبوه من اسرة عريقــة من ارضروم وكان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الأبطال الأرمن (٢٥)

اصبح (هراند بازدرمادجيان) استاذا بجامعــة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم فى كثير من المؤتمرات فيها وفى لندن وباريس وبرلين وكوبنهاجن وواشنطن وبوســطن . بين المؤلف سبب تاليفه اكتابة هذا بقوله « انه باعتباره معاصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقــدمه للجيل الجــديد .. ثم يقول « بهــذا التاريخ اكون قد اكملت عمل والدى وانهيت بقلمى ما بداه هو بسيفه » (٢٦) .

وقــد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

اما المصــادر السريانيــة فاهمهــا حوليــة ميخــائيل السريــانى Chronique de Michel Le Syrien. وقــد ترجمهــا الى الفرنسية J.B. Chabot

كــان ميخــائيل هو البطريرك اليعقــوبى لانطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م(٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدرا هاما لتاريخ سوريا بصفة عامــة فى ذلك الوقت فضلا عن تاريخ الكنيســة السريانية . وقــد اســتخدم ميخائيل فى كتابته المصادر الدينية الأصلية للفترة المتقدمة عن عصره(٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبرى The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التى قام بها Ernest Wallis Budge الى جــانب اطلاعنا على كتابه العربى (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر اختصارا لتاريخه المطول السريانى(٢٩) .

ويعتبر تاريخــه المطول من اهم المصــادر السريانيــة التى خدمت العديد من النقاط فى بحثنا ايضا . والواقــع أن تاريخ ابن العبرى يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينيــه واللغوية وعادات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والأطباء (٣٠) .

---

(٢٥) H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie, p. 5.
(٢٦) H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6.
(٢٧) Groussot : L'Empire du Levant, p. 312.
(٢٨) Burkitt : Early Eastern Christianity. p. 20 - 30
(٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص و .
(٣٠) The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1. p V

واستخدم ابن العبرى فى كتاباته جوليـة ميخائيل السريانى . وبد كتابه بنشـاة الخليقة وانتهى بوفاته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبرى هو جريجوريوس أبو الفرج بن هرون . ولد فى ملطية ١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربيـة واشتغل بالفلسفة واللاهوت والطب عن ابيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر ابو الفرج ستين سنة وتوفى فى مدينة مراغـة من اعمال اذربيجان ١٢٨٦م(٣٢) .

اما عن المصـادر العربية المطبـوعة فاهمها كتاب « ذيل تـاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهو تاريخ لمدينة دمشق من سـنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريـخ هلال الصـابى . ويذكر ابن القلانسى انه اعتمد فى أجزاء منـه على الثقات وفى اجزاء اخرى على البحث والتنقيب بنفسـه(٣٣) . والحقيقـة أن الكتـاب يعـتبر مصـدرا هـاما لتاريخ الشـام وليس لدمشق فقط فى عصر امارة الرها الصليبيـة .

ثم يليـه كتـابى ابن الاثير الجزرى (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ ١٢٢٣م) وهما :

١ — الكامل فى التـاريخ .

٢ — التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) .

امـا الكتـاب الأول فهو من اهم الكتب التى خدمتنا فى بحثنا هـذا فى غالبيـة النقاط ايضـا . والواقـع ان ابن الأثير نال شهرتـه عن طريق هـذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخى القرن السـادس باعتبار مولده وباعتبار نصف القرن الذى عاشـه فيه ، ومن رجال القرن السـابع باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذى عاشه فيه(٣٤) . وفى كتابه هـذا جمع اخبار العالم الاسـلامى شرقه وغربه وما بينهما ، وهـذا مالم يسبقه اليه احد . وقـد بدأ تاريخه منـذ نشـاة الخليقة حتى سـنة ٦٢٨ هـ (٣٥) .

---

(٣١) The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, p. vii.

(٣٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص حـ ، هـ .

(٣٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الأثير : ص ١٤ — ١٥ مقدمه .

(٣٥) نفس المصـدر ص ١٥ .

وأما الكتـــاب الثـــانى فهو الذي عاصر المؤلف احداثــه . وفى نفس الوقت عاصرت احداث الكتاب احداث بحثنا وكان من اهم المصـــادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين امارة الرهـــا الصليبية وبين الموصل وعلى وجـــه الخصوص عند الكلام عن لتابكة الموصـــل وعلى رأسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الاتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه(٣٦) ـ كذلك عند كلامنا عن سقوط امارة الرهـــا سواء فى المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ او الثانية ١١٤٦م ـ ٥٤١هـ على يد عمـــاد الدين زنكى ثم على يد ابنـــه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) الذى عنى بنشره وتحقيقه ووضـــع فهارســـه الدكتور ســـامى الدهان . اعتمد ابن العديم على الآثـــار الباقيـــة والسجلات والمخلفات المكتوبـــة واتخذ النقود سبيلا الى تحـــديد اسماء الولاه والحكام والقضاة واتخذ الأحجار والنقوش والأبنية مصـــدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات والألبســـه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرســـائل ليصل انى الغاية التى أرادها وهو فى هـــذه الخطة لا يختلف عن مؤرخى العالم الغربى اليوم ، ومن الغريب أن يتبـــع المنهج الحديث رغم وفاتـــه سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع أن من اهم النقـــاط التى افادتنا فيها تاريـــخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الاسـلامية خاصـــة علاقة الرها بحلب .

هـــذا الى جانب الاستفادة من بعض اشـــارات وردت فى كتـــاب الاعتبار لاســـامة بن منقذ (٤٨٨ ـ ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م ـ ١١٨٨ م) (٣٨)

اما اهم المخطوطات العربية التى افادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريـــخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ . والتى جـــاء فى مقدمتها انه يرتب الحوادث فى تاريخه على السنين وذكر الوفيات فى آخر كل ســـنة . بـــدأ ابن الفرات من أول

---

(٣٦) المصـــدر الســـابق ص ١٥ .
(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ص ١٠ ـ ١١ .
(٣٨) اســـامة بن منقذ : الاعتبار ، مقدمة المحرر فيليب حتى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجرى اى بسنة ٥٠١هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣هـ . لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩هـ ، فيبدو أن المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن الفرات عام ٧٣٥هـ وتوفى ليلة عيد الفطر ٨٠٧هـ واعتمد فى تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء المعروفين للباحثين فى التاريخ أو هؤلاء الذين فقدت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الارب وفنون الأدب للنويرى (ت ٧٣٢هـ) ، التاريخ المظفرى لابى الدم الحموى (٦٤٢هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الهيجاء (ت ٥٨٩هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالاضافة الى هذه المصادر فاننا رجعنا الى عدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة فى ثبت المصادر والمراجع ، فى نهاية البحث ، واستفدنا فائدة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

تمهيـــــد

نعــل المــدخل الطبيعى لهــذا الموضــوع هو تفسير اسم الرهـــا واعطـــاء فكرة موجزة عن تاريـــخ هـــذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورهـــا فى المسيحية وعلاقتها بالأرمن وبالدولة البيزنطية . . الى غير ذلك من النقاط التى تلقى ضوءا على أحوال الرهـــا عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨م/٤٩٢هـ .

اما عن أصـــل مدينة الرهـــا ، فان ميخايل السريانى يذكر فى تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انـــه « بعـــد الطوفان الذى حـــدث فى عهد نوح ، بنى الملك (نمرود بن كنعان) هـــذه المدينـــة » (١) يشاركه فى هـــذا الرأى ابن العبرى (٢) وان كان يبدو فى نظرنا أن هـــذه الروايـــة لا تعدو اسطورة من الاســـاطير العبريـــة القديمـــة(٣) . كذلك يذكر باسيليوس أن نمرود لمـــا بنى هذه المدينـــة اسماها (اورهاى Ourhai) وهو اسم ســـامى للرها نطلق عليها اولا اسم (Our) اى مدينة ، ولمـــا كان يسكنها الكلدانيون اضـــاف الى الاسم (hai) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Salem) اى بيت

---

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111. F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, p. 8.

فهو يذكر هنا « أن نمرود بنى ثلاثة مدن هى : الرها ونصيبين وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Litter. d'Edesse, p. 20, E.R. Hayes : L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهما يذكران ان تلك الأسطورة تتطابق مع سفر التكوين (L'Erek de la Genese) بل ان الاخير يذكر أن ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته أيضا .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 969 (1768)

وان العرب قد اعطوا لبئر لايزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .

(م ٢ — الصليبيه)

المقدس (٤) .

اما ابن العبرى فقد ذكر فى مكان آخر من تاريخه : « ان اليونان القدماء قالوا ان (انوش Enoch) أو (هرمس (Hermes ‎ Harmis Tris ‎ Maghistos (٥) هو الذى علم الرجال ان يبنوا المدن ، وفى أيامه بنيت مائة وثمانون مدينة ، منها واصغرها (‎(Urhai - Edessa‎ » ويؤيد هذا الرأى آخرون (٦) .

ومهما يكن من أمر ، فان اقدم شكل لاسم الرها هو ‎(Urhái)‎ الآرامى الذى يظهر فى اللاتينى ‎(Orrhei)‎ (٧) وفى اليونانى ‎(Orrhoeme)‎ (٨) والمدينة فى اقليم يسمى (اوسروين ‎Osrhoéné)‎ فى السريانى (‎(Bet' Urháyé)‎) الذى نطقه العرب الرها ‎(er - Ruha)‎ (٩) بل قيل ان العرب سموها كذلك تحريفا من الاسم البيزنطى . ‎(Callirrohóe)‎ (١٠) . وهنا يشير دولوربية

---

(٤) Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.

وهنا يشير احد القواميس الاثرية الى نفس الاسم بقوله ‎(Orrhai)‎ Dictionnaire D'artheologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.

وفى القاموس الجغرافى التاريخى الدينى يذكر ان اسم الرها فى السريانية الشرقية ‎(Orhây)‎ وفى السريانية الغربية ‎(Orhoy)‎

R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques T. 14, p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الآلهة عند الأغريق واله الطرق والتجارة والمكر (المنهل ، قاموس فرنسى عربى ص ٥١٥) ويذكر نفس القاموس ص ١٠٢٧ أن Trismégiste تعنى عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على الههم هرمس .

(٦) القرمانى : أخبار الدول ، Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5, وآثار الأول ص ٤٥ ؛ Duval : Op. Cit., p. 20.

(٧) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

(٨) Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6. وهو يذكر أن الاسم ليس له معنى معين .

(٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953.

(١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103. ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ .

Dulaurier (١١) الى اسم الرهــا بقوله « أن البطريرك السريانى ديونيسيوس Dionysius if Tell Mahré قال فى تاريخه ان الرها تشتق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الأمير خبيوا Hewyâ اول ملوك الرها والذى بــدأ ملكه عــام ١٢٦ ق.م »(١٢) .

ما ياقوت الحموى الجغرافى الأديب الذى عاش فى القرن الســابع الهجرى ــ الثالث عشر الميلادى (ت ٦٢٦ هـ ــ ١٢٢٨ م) فيذكر ان المدينـــة سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى ابن مالك ابن دمر . وقال ايضا عن ابن الكلبى فى الانساب ، الرهاء ابن ســيند بن مالك بن دمر ، كما قال : انهــا سميت بالرهــا بن الروم ابن لنطى بن سام بن نوح(١٣). وفى موضع آخر ذكر أنها سميت أيضا اذاسا(١٤) .

تعرضت مدينة الرها للخراب بعد بنــائها الأول ، كما ذكر ميخائيل السريانى ، وظلت مهجورة حتى عهد الاسكندر الأكبر(١٥). وذكر ابن‌شداد انه « فى السنة الأولى من تاريخ الاسكندر ملك سولوقوس على سوريا

---

(١١) هو المترجم الفرنسى لقصــيدة رثاء الرهــا للشــاعر الأرمنى نيرسيس شنور هالى
Nersès Schnorhali : Elegie sur la Prise d'Edesse ; (R.H.C.)
والتى ستاتى مقتد منها ضمن الملاحق
Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولوريه على البيت رقم (٤٠)
Nersès : Ibid., p. 239.
Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953. هنا تعلق
سه لا، هذا الاشتقاق ولا اى اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .

(١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٩ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرهــاء) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ .

(١٥) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

وبابل وهذا الرجل بنى سلوقية وافاميه والرهـا وحلب واللاذقية »(١٦) ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول « تبرز الرهـا بين المدن التى اسست فى سوريا على يد Seleucus Nicator والتى اعطى كلا منها اسما اغريقيا مثل سلوقية Seleucie ، اللاذقية Laodicée الرهـا Edesse » (١٧) . والواقع ان سلوقس عندما اعـاد تشييد مدينة الرهـا سنة ٣٠٤ ق . م اسماها « ادسا الجديدة » تقديرا لعـاصمة المقدونيين القديمة (١٨) . ويعقب ميخائيل السريانى على ذلك ويـؤكده بقـوله أن لفظ « ادسـا » الـذى اطلق على المدينـة فى ذلك الوقت كان معنـاه [عزيزتى — Cherie] (١٩) بما يحمل فى طياته روح الاجلال لعاصمة المقـدونيين القديمة .

وقيل ان الرها عرفت باسم انطاكية الكلرونيه فى عهد انطيوخس الرابع — Antiochus IV Epiphanes (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل على ذلك ما كتب على السكة التى ضربت فى الرهـا فى عهده (٢٠) وقد ذكر ذلك الاسم ايضا (Pliny) ولو ان دوفال يذكر ان الذى دفعه الى ذلك الاعـتقاد التباس اسم عاصمة (Osrhoëne) مع عاصمة سـوريا (٢١)

---

(١٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ص ١٤ ذكر ذلك ايضا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ عن يحيى بن جرير .

(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).

(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23. ابن الشحنه : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن اليـاس سركيس الدمشقى) . وهنا تذكر Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993 ان ادسا اليونانية استمدت اسمها من عاصمة مقدونيا (ايجيه Aigai القديمة والتى اصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena . ثم يؤكد هذا ايضا ما ذكر فى Cam. Med. Hist. Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319. ان ادسـا فيما بين النهرين غير ادسا المسماة فودينـا وهى احـدى بلدان البلقـان .

(١٩) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن الياس سركيس الدمشقى) .

(٢١) Duval : Op. Cit., p. 23.

وقد سميت المدينة ايضا ((Justinopolis)) اى مدينة جستين نسبة الى الأمبراطور البيزنطى جستين الأول Justin I (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى اعاد ترميمها بعد فيضان اصابها (٢٢) .
اما المؤرخون اللاتين فيعددون أسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣) وهو شائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره الشاعر الأرمني نيرسيس فى مرثيته عن الرها بعد سقوطها(٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه عليها الى ايامنا هذه(٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦) او — Edyessa (٢٧) . والبعض الاخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم من يسميها — Callirhoe (٢٩) . او (Rohas) (٣٠) او (Roas) (٣١)

---

(٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422
كان ذلك الفيضان سنة ٥٢٥م (Evagre ; Hist. Eccl.) من

(٢٣) Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de reliq. S. Slephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318, Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 80. (حاشية).

(٢٤) البيت ١٠٤ (ايه ادسا ، مدينة الرها)
Nersès : Op. Cit., p. 239.

(٢٥) على سبيل المثال لا الحصر
William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2, p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389, Archer ; The Crusades, p. 147.

(٢٦) Theodori Palidensis : Narratio Profectionis Godefridi Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.

(٢٧) Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.
وهو يضيف ايضا أنها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia

(٢٨) Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.

(٢٩) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos: (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 165.

(٣٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.

(٣١) Theodori Poldensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194.

أما الاسم الحالى للمدينة فهو أورفا Orfa او Urfa (٣٢) الذى قيل أنه مستمد من اسمها الارامى المبكر Urhai (٣٣) والواقع انه مهما تعددت الأسماء فالشائع من اسمائها هو الرها العربية وادسا الافرنجية واورفا الحالية .

فاذا انتقلنا الى تاريخ المدينة القديم ، بعد ان اعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فاننا نجد الرها ظلت بعد ذلك هلينستيه الطابع وعاصمة لملكة اوسروين (٣٤) التى كانت المعقل الرئيسى بين معاقل الثقافة السريانية فى زمن الامبراطورية الرومانية (٣٥). ثم كان أن انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسروين على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية (٣٦) وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى كانت الرها خارج الامبراطورية الرومانية وبالتالى داخل النفوذ الفارسى . وفى الحرب التى شنها الامبراطور تراجان Trajain على الفرس قاست الرها كثيرا اذ دمرت ونهبت على يد القائد الرومانى لوكيوس كيوتوس Lucius — Quietus سنة ١١٤م(٣٧) وقيل سنة ١١٦م(٣٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صار حكام أوسروين الضعفاء بين شقى الرحى بين

---

(٣٢) Grousset : وحاشيه لدولورييه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 239 Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII, p. 493, Le Strange : Op. Cit., p. 104.

(٣٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le Strange : Ibid. p. 104 (AR. Ruhâ)
ويذكر الأخير أنه تحريف للرها العربية

(٣٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888. p. 519
وكانت هذه المملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة يحدها نهر الفرات والخابور وانها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصارت مملكة مستقلة عاصمتها الرها .
(Cam. Anc. Hist., V. XII p. 493).

(٣٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).

(٣٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.
Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

(٣٧) يذكر ان ذلك القائد الرومانى خرب الرها ونصيبين واحرقهما فى هذه السنة .

(٣٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كفة روما كانت أرجح فاكرهتهم على الخضوع لتبعيتها .. وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما فى اخلاصهم وولائهم لها ، فاقامت الحصون فى اجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية فى بلدة نصيبين القوية ، كما ارسل ابجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا فى الأغلال الى روما ، بعد أن حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيما وراء الفرات » (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الرومانى سنة ٢١٦ (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ — ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم اذينه Odainath وزنوبيا — Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣م (٤٢) .

اما عن مكانة الرها فى ظل المسيحية فقد ذكر ابو الهيجاء أن الرها كانت من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهى احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فاشرفها بيت المقدس ثم إنطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

---

(٣٩) Burkitt : Ibid., p. 8, 9.

(٤٠) Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14, p. 1422.

(٤١) Lammens : La Syrie p. 12. وهى التى سماها اليونان بالميرا — Palmyra وهى تقع اقصى شمال دمشق فى الصحراء الكبرى فى واحة
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020.
Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.

(٤٢) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995.

(٤٣) أبو الهيجاء : تاريخه ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٢٥ تاريخ حوادث ٥٣٩ هـ .

(٤٤) أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الأثير : الباهر ، تحقيق طليمات ، ص ٦٦ — ٦٧ ، ابن قاضى شهبه : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) الباب السابع ٥٣٩ هـ .

ويقال انه من اسباب ارتفاع مكانه مدينة الرهـا الدينية ، انها تضم رفات بعض الحواريين مثل توماس وتداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اشار اليه ابو زيب اسقف قيصرية فى كتابه عن تاريخ الكنيسة من خطاب ملكها ابجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرهـا الاولى بانها كانت مقر مطران ما بين النهرين (٤٧) وعندما قامت فى الرهـا جالية مسيحية صارت احد المراكز الاولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخذت المسيحية فيها طابعا قوميا حيث انها ظلت تتكلم السريانية واحتفظت بحكامها وثقافتها الوطنية (٤٨) .

اما عن الرسائل المتبادلة بين المسيح عليه السلام وابجر ، وما يرتبط بها من صورة المسيح او منديله ، ثم اشتراك الرهـا فى ترجمة الانجيل فكلها نقاط جديرة بالاشارة . ذلك ان ابو زيب اكد ان الملك ابجر — الذى كان مصابا بمرض مزمن لا امل فى الشفاء منه (٤٩) — ارسل الى المسيح خطابا مع حنان — Hanânyâ او Hannan

قال فيه : « من ابجر حاكم الرهـا الى يسوع المخلص الصالح الذى ظهر فى نواحى اورشليم ، السلام . انتهى الى امرك وما تصنعه من

---

(٤٥) انجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد طبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٩٣٧ .
Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3 p. 543

(٤٦) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., p. 60.

(٤٧) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 241.

(٤٨) Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11.

(٤٩) E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11
وابجر هذا هو الذى كانت كنيته الاسود
(Duval : Op. Cit., p. 83)
وهنا يذكر الدبس : تاريخ سوريا ، ط ٢ م ٣ ص ٥٣ — ٥٤ « ان الاسود من باب الاضداد لان مرضه كان البرص وجسمه كله أبيض » ويشير نيرسيس فى مرثيته للرهـا الى ابجر على انه مؤسس مدينة الرهـا (البيتين ١٧٣ — ١٧٤) فهو يقول : اذ ان الملك ابجر قد شادني هناك
لكن دولوريه يعلق على ذلك بانه Nersès : Op. Cit., p. 232
ليس المؤسس لكنه من اشهر من اعتنى بتعميرها واصلاحها . والراجح ان ذلك التعليق صحيح لاننا لم نعثر على ما يؤيد رأى نيرسيس ضمن مصادرنا .

الشفاء دون عقاقير وادوية فقد ذاع انك تبرىء العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والأرواح الردية وتشفى المرضى امراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما بلغتنى هذه الأمور عنك رايت فى نفسى انك اما اله حقيقة هبط من السماء وضع هذه الآيات واما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تأنف من أن تزورنا وتبرىء امراضنا ، قد سمعت ان اليهود يشناونك ويحاولون قتلك على مدينة جميلة وان صغيرة فتكفينى وتكفيك » (٥٠) .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوباك يا ابجر لانك آمنت بى دون ان ترانى فقد كتب عنى أن من يروننى لا يؤمنون بى ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة . قد كتبت الى أن آتى اليك ولكن يلزمنى ان اكمل كل ما ارسلت من اجله واذا تممت ذلك صعدت الى من ارسلنى وبعثت اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرىء مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة» .(٥١)

بل ان بوركيت يضيف فى آخر رد المسيح — الذى نقله عن أبو زيب — تلك الكلمات « سيحفظ بلدك ولن يسود عليه اى عدو ابدا » (٥٢) . أما المصدر الأرمنى المتمم لتاريخ متى الرهاوى فيشير الى ان خطاب المسيح لابجر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يدخلا ابدا تلك المدينة »(٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منحت خصيصا لمدينة الرها مع الوعد بأن لا يتمكن أحد الاعداء ابدا من التغلب عليها . ويبدو ان هذا الوعد أصبح مادة مألوفة عند الرهويين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة(٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » او « الرها المباركة » وقد سمى كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

اما صورة المسيح التى تعتبر الأثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

---

(٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .

(٥١) نفس المصدر والصفحة .

(٥٢) Burkitt : O.p Cit., p. 14.

(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.

(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15

(٥٥) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

المدينة فنقرأ عنها الكثير من التسميات ،فالبعض يسميها منديل المسيح(٥٦) او منـديل عيسى بن مريم(٥٧) والبعـض يسميها الفيرونيـكا (٥٨) أو للورنيقـة (٥٩) وهنـا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ أم أنها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لرأى بن العبرى ، يقـول : « ان أبجر ملك الرهـا أرسـل الى المسيح يطلب منه أن يراه فمسح المسيح وجهه فى منـديل انطبعت فيـه تقاطيعه وارسله اليـه (٦٠) »ويتـفق مع هـذا الـرأى ما ذكره دولوريبه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « انه المنديل المقـدس الذى لم يصنع بأيدى انسـان (٦٢) ». والواقع أن هناك تفسيرا آخر يقترب من ذلك الرأى وهـو « انه صورة المسيح طبعت على القمـاش الذى قـدمه له القديس فيرونيكا ليمسح حاجبه حينما حمل صليبه وهو فى طريقه الى مكان الصلب (٦٣) فى حين انفرد Bar, Bebraeus, Burkitt برأى آخر هو « ان الملك ابجر ارسـل رساما يسمى حنـا لابلاريوس John Labellarius فرسم صـورة لوجـه السيد المسيح على

---

(٥٦) القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢٠١ ويذكر لوسترانج ان المسعودى : Le Strange Op. Cit, p. 103. يسميه (منـديل المسيح النـاصرى) اما Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 فيـذكر أنهـا « صورة المسيح ارسلت مع الرسول تاديوس فى منشفه » .

(٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٤

(٥٨) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T. 2, p. 270 وهنـا يعود (لوسترانج) فيذكر أنها أحد الفيرونيكات العـديدة : لكن هل فيرونيكة الرهـا هى الموجـودة الآن فى روما او جنوا ؟ لم يستقر الرأى بعد(Le Strange Op. Cit., p. 104)

(٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162, حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن السـاعى : اخبـار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) فى تعليق دولوريبـه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ فى قصيدة نيرسيس يذكر » أن ابجر ملك الرهـا سمع عن المسيح فارسل اليـه رسالة يعبر له فيها عن اعجابه واشتياقه اليـه طالبا فى الوقت نفسه رسمه . ويقـال ان المسيح اتخـذ منديلا وضـغط به على محيـاه فانطبعت فيه ثم ارسله لأبجر » .

(٦٢) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246

(٦٣) The American College Dictionary, p. 1351.

لوحة احضرها لابجر » (٦٤) ولو أن ابن العبرى يشترك فى الراى الأول، فربما نقل الرأيين فى موضعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة فى الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقال ان ذلك الاثر المقدس ظل موجودا فى الرها الى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٣ م فى عهد الخليفة المتقى لله العباسى حين ارسل ملك الروم يطلب منه المنديل الذى كان موجودا فى كنيسة الرها . وقد اغراه ان فعل ذلك باطلاق سراح عدد كبير من أسرى المسلمين . فاحضر المتقى لله القضاه والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فقال بعضهم ان تسلم وراى الآخر الا تسلم قائلين : « ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم ، وفى دفعه اليهم غضاضة »(٦٦) وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقال : « ان خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه اولى من حفظ ذلك وارسل الى الملك من يتسلم الأسرى من بلاد الروم فاطلقوا » (٦٧) .

أما دور الرها فى ترجمة الانجيل ، فقد كانت المدينة مركزا لجالية

---

(٦٤) Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1 ; p. 48

(٦٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).
وهنا يذكر المورد القاموس الانجليزى عربى ص ٦٥٢ تفسيرا لتلك الكلمة بانها تمثال (بالاس اثينا) آلهة الحكمة عند الاغريق ، وكانوا يعتقدون أن سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٢٩٤ ؛ ابن الساعى : اخبار الخلفاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦٧) المصدرين السابقين لنفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبرى فى تاريخه :
« ان المتقى جمع الكتاب الموثوق فيهم وسالهم ، هل القانون يخول لهم مثل تلك الذريعة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فاجابوا ؟ « بالرغم من انه افراط فى حق لنا للتبرك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب اعطاؤها لهم لان المسلمين يقاسون من الجوع والعرى »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل ان تتاثر بالمسيحية (٦٨) . ولمـا ذهب اليها (آديا(٦٩)) اوتداوس نزل عند احـد يـهود فلسـطين ونجحت مواعظه الدينيـة بين اليهود (٧٠) . ويروى ان (آديا) ارسـل بعض المؤمنين الى بيت المقدس ليترجموا العهد القديم من العبرية الى السريانية (٧١) . وتشير شـواهد مختلفة ان هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا متمسكين بعقيدتهم ولا وثنيين وانمـا كانوا يهودا تحولوا الى المسيحيةJudeo — Chretiens (٧٢) والواقـع ان ترجمـة العـهد القـديم الى السريانيـة من العبرية وبوجـه خاص الاسـفار الخمسة الأولى منـه توحى بان هذه الترجمة عمل فردى قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربمـا تمت ترجمة العهد القـديم إلى السريانيـة فى الرهـا نفسـها وليس من طريق بعض اهلها اليهود فى فلسـطين او القدس . ويؤيد هـذا الراى فيقول Duval : « ان ترجمة العهد القـديم تمت حـوالى منتصف القرن الثـانى فى الرهـا نفسها » (٧٤) .

وفى حوالى سنة ٢٠٠ م اعيد تأسيس كنيسة الرهـا من جديد على اسس من الاتحـاد الوطيـد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخـل الامبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رآسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا ان كنيسة الرها اتخـذت اتجاها غربيـا (٧٥) . بعـد ان كانت محافظة على طابعها وكان ان حمل ذلك الأسقف اليها ترجمـة من العهد الجديد — أو بمعنى آخر الاناجيـل الاربعـة الأولى من العهد الجـديد

---

(٦٨) Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour. Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

(٦٩) Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28
اما كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسـة ، حـ ١ ص ٦٣ فيسميه (يهوذا اوثـاديوس اوليبادس) .

(٧٠) Burkitt : Op. Cit., p. 72.

(٧١) اما E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36. Cam. Anc. Hist. V. XII, p.494 فيذكر ان الجالية اليهودية فى الرهـا وفى نصيبين هم الذين ترجموا العهد القديم الى السريانيـة .

(٧٢) E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37.

(٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 71.

(٧٤) Duval : Op. Cit., p. 110.

(٧٥) Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

=

مع سفر اعمـــال الرسل ورسـالات بولس الانجيلية الأربعة عشر ونسخة من العهد القديم نقحت تنقيحا بسيطا عن اليونانية ، ووسمت بترجمات عن اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجـــاه نحو التقـــارب من الكنيســـة الشرقية قد اثـــار كثيرا من الاضطرابات في الرها وهي الاضطرابات التي راح ضحيتها بعض الشــهداء ، اشهرهم الأسقف برسوما — Barsamya في منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا — Rabbûla (٤١١ — ٤٣٥م) انهى تلك الاضطرابات في الرهـــا (٧٧) ■

وهكذا يبدو لنـــا من هـــذا العرض الموجز اهميـــة الرهـــا في تاريخ المسيحية المبـــكر .

اما عن دخول الرهـــا في حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨هـ (٧٨) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم وتم ذلك صلحا ، فعندمـــا نزل عياض ببـــاب الرهـــا واشتبك الجانبـــان ارســـل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصـــالحه عياض على أن أمن جميع اهلها على انفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفي عهد معـــاوية الأول اعيد بنـــاء جزء من كنيسة الرهـــا القديمة كان قد دمره احد الزلازل (٨٠) .

اما في عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفـــة الأموي كنيســـة للتعميد بالرهـــا (٨١) .

— هنـــا يضيف افناطيوس افرام الثاني : مقـــاله في ســـورية ص ٢٣ (عني السريان منذ القـــديم فنقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التآليف اليونانيـــة الدينيـــة والعلميـــة والتـــاريخية والادبيـــة وانتشرت على يدهم تصانيف الاقدمين الى العربيـــة . واتصـــلت الينـــا كتابات شتى بالسريانيـــة الرهـــاوية منقوشـــة بالقـــلم الاسطرنجيلي (نشر بعضها العـــالم المستشرق يونيون في جـــامع الكتابات الســـامية — Inscriptions — Sémitiques في المـــائة الاولى قبل الميلاد على حجر في جوار الرها . والخط الاسطرنجيلي هو خط المسيحيين الشرقيين Nastorians.

I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

(٧٦) Burkitt : Op. Cit., p. 77.

(٧٧) Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

(٧٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة الســـعادة بمصر ١٩٥٩) ، الطبري : تاريخـــه جـ ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ (١٩٣٩م — ١٣٥٧هـ ولو أن الطبري في موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (جـ٣ ص١٥٥) ولكن الراجح ان ذلك كان سنة ١٨ هـ .

(٧٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٨٠) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

(٨١) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105.

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جدران الرها المتينة التى كانت قد بنيت فى عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢) لكن اهالى الرها اعادوا بناءها على نفقتهم فى عهد الخليفة المأمون سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش بيزنطة (٨٦٧م — ١٠٥٦م) فكانت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى امتدت حوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م المع فترة فى تاريخ الامبراطورية السياسى والحضارى حتى لقد اطلق عليها المؤرخون اسم (العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع ان البيزنطيين تحولوا فى القرن العاشر من ناحية حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هذا القرن عصر صحوة بالنسبة لبيزنطة (٨٥) . وكان من أهم العوامل التى أدت الى اتخاذ البيزنطيين سياسة الهجوم فى ذلك القرن هو رغبتهم فى استعادة مستعمراتهم القديمة فى الشرق الأدنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها فى القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وازدادت شدة تلك الرغبة نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ — ٩٥٩م) وبالتحديد سنة ٩٤٣ م استولى القائد حنا كوركواس — John Curcuas

---

(٨٢) فهو يذكر انه عندما Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 279. اراد الخليفة أبو جعفر المنصور — الدوانيقى — أن يبنى قصر فى الرقه ، ارسل الى الرهويين يطلب بعض اعمدة صغيرة من الرخام من تلك التى كانت مكدسة فى الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئا وجعلوه يثور فذهب واقام الحصار على تلك المدينة ودمر هيكل مارسرجيوس Mar Sergius وفى اثناء الحصار سقط ذلك الجدار العجيب ولم يبق منه سوى دور واحد .

(٨٣) Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٦ . وهنا يشير Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957) أن العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها فحاصرها ثم عاد الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان اخذ من الرهـا منديل المسيح الذى كان موجود بها منذ عهد الملك ابجر (٨٧) .

وفى سنة ٩٤٩م استولى البيزنطيون على مرعش وفى سـنة ٩٥٨م استولوا على سميساط(٨٨) وفى سـنة ٩٦١ استولوا على عين زربه ومرعش ورعبـان ودلوك(٨٩) .

اما فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م)، فقد حاول هـذا الامبراطور بنفسـه الاستيلاء على انطاكيا سـنة ٩٦٦م لكنـه لم يستطع وعـاد الى القسطنطينية لكن المدينـة سقطت بيد قـائدين بيزنطيين فى ٢٨ اكتوبر ٩٦٩ م وهذان القـائدان همـا Peter Phocas وميخائيل البرجى — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابى المعالى بن سيف الدولة وذلك فى اواخـر سنة ٣٥٨هـ(٩١)/٩٦٩م وبالفعل قـدم الروم فى بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدته وانسحب ابو المعـالى عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (صفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠م . (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

---

(٨٧) Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p. 718 — 719.

(٨٨) Ostrogorsky : Ibid., p. 250.

(٨٩) Ostrogorsky : Ibid., p. 252.

(٩٠) Ostrogorsky : Ibid., p. 257. كان الاستيلاء على انطاكية فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ (يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخ الذيل ص١٢٥ (باريس ١٩٢٤)

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغوية قد تولى شئون حلب مع ابن استاذه ابو المعالى سـعد الدولة بن سيف الدولة الحمدانى . وذلك فى ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العـديم : حـ ١ ص ١٥٥ ، الغـزى : نـهر الذهب ، حـ ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك فى المحـرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصـدر السـابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم: المصدر السابق ص ١٦٣ ، يحى بن سعيد الانطاكى : تاريخـه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشـور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ٦٣ ، عمر كمال : مقـدمات العدوان الصليبى ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعـاهدة بالتفصيل فى زبدة حلب ، حـ ١ =

فى اواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى — خاصة انطاكية وحلب — للنفوذ البيزنطى (٩٥)

وفى عهد الامبراطور حنا تزيمسكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) فى خلال الفترة الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قام هذا الامبراطور باربع حملات هامة فى الشرق الادنى ، الثلاثة الأولى منها كانت فى شمال العراق فى اقليم الجزيرة فى الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

أما حملته الرابعة على بلاد الشام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التى ارسلها الامبراطور لحليفه آشوت الثالث (٩٧) .

اما الامبراطور باسيل الثانى (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توجه مرتين الى شمال الشام الأولى سنة ٩٩٥ م والثانية سنة ٩٩٩ م دون أن يحقق اى نجاح يذكر (٩٨) وفى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين اى احتكاكات تذكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفى عهد الامبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبدو انه لم يكن هناك اى احتكاكات أيضا أما فى عهد الامبراطور رومانوس الثالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George Maniaces — على الرها سنة ١٠٣١م (١٠٠) أو ١٠٣٢م (١٠١) / ٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فظلت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٣٦ ،.
Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

(٩٥) Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك الحملات بالتفصيل .

(٩٧) Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957).

(٩٨) Ostrogorsky : Ibid., p, 273. (1957).

(٩٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311.

(١٠٠) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠١) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

(١٠٢) Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

ويفهم مما كتبه ميخائل السرياني مدى الحب الذى كان يكنه أهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الدينى لمسيحيى الرهـــا عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون فى الرها يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة،اخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعتين (١٠٣). وقـــد ذكر ميخائيل « أنه عندما دخـــل البيزنطيون الرهـــا ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم اطفالهم ، كذلك هجرهـــا أهلها من المسيحيين ومعهم اطفالهم ، تماما فعل العرب . ذلك ان أهل المدينـــة المسيحيين كانوا قد ألفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتابتهم فى حين كانوا فى رعب من البيزنطيين بسبب هرطقتهم وميلهم للشر . وهكذا اخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد ان اشعل احد العرب النار فيها فاحرقت المنـــازل والكنائس وظلت المدينـــة خاوية فى أيدى البيزنطيين » (١٠٤) .

ويبدو ان الرهـــا استعادت حيويتها بعـــد ان دخلت فى نطاق دولة فيلاريتوس الأرمنى سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتـــاريخ الرهـــا حتى عصر الحروب الصليبية ان تلك المدينة لم تكن بمناى عن التيـــارات السياسية والحضـــارية فى العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر فى ذلك الى موقعها الهـــام فى اقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هـــاما فى الهلال الخصيب بحضاراته فى العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الامبراطوريات الكبرى التى عرفها العالم القديم مثل الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانيـــة . فاذا اضفنا الى ذلك كله خصوبة الأرض التى تقع الرهـــا وســـطها بين عـــدة أنهار شهيرة كالفرات ودجلة والبليخ ، ادركنا السر فى نشاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت اهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، فى عصر

---

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف فى مجمع خلقدونيه (٤٥١ م) .
Charles Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T. II, Part 2, p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles, p.p. 42 - 43, R.P. Janin ; Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.

(١٠٤) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠٥) اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى ص ١٣٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort) Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت فى الرها أولى الامارات الصليبية فى الشرق ، وهى الامـــارة التى شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الموصـــل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (١٠٦) ذلك أن امارة الرهـــا الصليبية لم تكن تسيطر على اهم الطرق التى تصل بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضـــا اقرب من اية امـــارة صليبية أخرى الى عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد (١٠٧) هذا الى انها قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة فى العراق وفى فارس من ناحية وبين الصليبيين فى بلاد الشـــام من ناحية اخرى (١٠٨) ، وبذلك تحملت الرهـــا شرقى الفرات وتل باشر غربيه مشقة عبء الدفـــاع عن الجبهة الشرقيـــة للوجود الصليبى فى الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا عن الصدمات التى تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال وخاصة بنى أرتق الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين ودياربكر (١١٠)

وارتبط بتوسع السلاجقة فى آسيا الصغرى فى القرن الحادى عشر ، دخول أعـــداد كبيرة من الأرمن الى الرهـــا . ذلك أن حركة انتشـــــار السلاجقة فى آسيا الصغرى اتخـــذت اتجـــاها افقيـــا من الشرق الى الغرب ، عبر ارمينيا وكبادوكيا وفريجيـــا وايونيـــا ، حتى شملت جميع الجهات الشمالية والوسطى من شـــبه الجزيرة . أما الأقاليم الجنوبيـــة والشرقيـــة من آسيا الصـــــغرى ــ حول طوروس وملطيـــة ثم الرهـــا وانطاكية ــ فلم يتجه اليها السلاجقة فى أول الأمر مما أدى الى عزل تلك

---

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٤ (عن — Stevenson)
، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن — Daussaud) .

(١٠٧) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478,
وهنا يذكر بربية انها كانت الحد المتطرف للفتوحات اللاتينية
Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

(١٠٨) J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209.
(Duval : Op. Cit., p. 279).
هنا يشير دوفال انها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات التركية

(١٠٩) Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69,
Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

(١١٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

المنطقــة عن بقيــة بلاد الامبراطورية البيزنطيــة ثم وقوعها بين شقى الرحى فى الصراع القــائم بين البيزنطيين والسلاجقة فى آسيا الصغرى .
وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك أرمينيا وامرائها ضياعا واسعة فى اقليم كابادوكيا ، مما ترتب عليه هجرة اعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك الاقليم فى شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة فى كابادوكيا واستقرارهم فى ذلك الاقليم ، جعــل أولئك الأرمن يبحثون عن ماوى جــديد ، فاتجهوا نحو اقليم قيليقيــة الجبلى فى جنوب شرقى آسيا الصغرى ، وتركزوا فى الجهات المحيطة بملطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولــا كانت الرها قد غدت مدينة ارمينيــة بحكم الأرمن الذين نزحوا اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن فى منطقة الشرق الأدنى فى القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة اعنى القرن العــاشر للميلاد .

اما عن موقع ارمينيا الجغرافى فيقــول ياقوت : « ارمينيــا الكبرى خلاط ونواحيها ، وارمينيه الصغرى تفليس ونواحيها » . ويضيف انهــا « سميت ارمينية بأرمينا بن لنطا بن اومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وهى فى العصر الحاضر احــدى جمهوريات الاتحــاد السوفيتى (١١٤) .

---

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٧ عن (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٨ عن (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ١٦٠ .
وخلاط هى البلدة العــامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة .وهى من فتوح عياض بن غنم وهى قصبة ارمينية الوسطى .وبحيرة خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣٨٠ — ٣٨١) .

وتفليس بلد بأرمينيــا الأولى (الأصلية) وبعض يقول باران ، وهى مدينة قديمة ازلية افتتحها المسلمون فى أيام عثمان بن عفان ، على يد حبيب بن مسلمة وظلت بايدى المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم اغار عليها جيل من النصارى من جبل ابخاز هم الكرج منتهزين الخلافات بين حكامها السلاجقة فملكوها عنــوة . وظلت بأيديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة ٦٢٣ هـ ولكن الكرج عــادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهــالى ولكنهم خافوا من عــودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقــوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٣٥ — ٣٦) .

(١١٤) احمد عطية الله : القــاموس الاسلامى ، مجــلد ١ (١٣٨٣ — ١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر انها تحيط ببحيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبــل =

وللتعرف على احوال ارمينيا الكبرى فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد ، نذكر أنه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة فى أرمينيا، لكن يبدو ان امرائها كانوا متنافسين باستمرار مما اضعف قوتهم واطمع فيهم كلا من العرب والبيزنطيين(١١٥) وكان أن اصبحت ارمينيا عند نهاية القرن العاشر فى حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام باية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين او الاتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية فى عام ١٠٠٠م/٣٩١هـ على احتلال بعض الاقاليم الارمينية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكريم Senek'erim الارمنى الى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ — ١٠٢٢م/٤١٢ — ٤١٣هـ ، للامبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس فى آسيا الصغرى واقاليمها على امتداد الفرات وفى عام ١٠٤٥ م — ٤٣٧هـ اضطر الملك جاجك Gag I الارمنى حاكم آنى الى التنازل عن ملكه للامبرطور البيزنطى ايضا وعوض عنه أرضا فى داخل كابادوكيا . هذا بالاضافة الى جاجك صاحب قرس Kars الذى تنازل هو الآخر عن املاكه للامبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/٤٥٧هـ ومنح فى مقابلها منطقة فى كابادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الارمنية الصغيرة

= ارارات الذى قيل ان سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية اريفان وعاصمتها اريفان انظر:
Armenia - Armenie - Ecrivain.

(١١٥) Sirarpie Der Nersessian : Armenia and the Byzantine Empire, p. 9.

(١١٦) Sirarpie Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ٦٤٧ تحت مادة (ارمينية) : فى عهد آشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فاصبحت مقر ملكه ، واصبحت درة الشرق . وحكم سمباط الثانى (٩٧٧ — ٩٨٨) واخوه جاجيق الاول (٩٩٠ — ١٠٢٠م) حكما سعيدا موفقا وان كانت سياستهما الداخلية الخرقاء قد دفعتهما الى الاشتباك الدائم مع الامارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين امراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من ارمينيا نزاع مستمر . وفى ٩٨٨م هزم داود المقدام امير تيخ صاحب الجزء الاكبر من بلاد الكرج — مملون احد امراء المسلمين بالقرب من زمبو . ولما توفى جاجيق الاول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحنا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد فى تحرج الحالة تدخل اهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدات هجماتها الاولى فى ذلك العهد .

الواحدة تلو الاخرى وامتد النفوذ البيزنطى فى ارمينيا غالبا حتى (دوين) فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن انزلوا هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية فى موقعة مانزكرت قرب بحيرة فان سنة ١٠٧١م/٤٦٤هـ وهى الموقعة التى اسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ — ١٠٧١م) .

وقد نقل (جروسيه) عن (متى الرهاوى) (١١٨) نصا يبرز لنا مدى كره الأرمن لبيزنطه وشماتتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة فى ما نزكرت ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون عن استقلالهم امـام الضغط الاسلامى ، اذا بالإمبراطورية البيزنطية اليوم تتصدر لحملة الدفاع ضد الأتراك ولكنها انهارت أمام الضربة الأولى من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى أعداد هائلة ... أن الكوارث التى حلت بالأمة الأرمينية افدح من ان يستطيع أحد روايتها .. آلامها ودموعها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت مـا فقدت فيه مملكتنا سيادتها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخنثون . . . أنهـا الدولة البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت عرشنا القومى ، واسقطت ذلك الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشعبى الباسل ومحاربينا الشجعان » (١١٩) .

ولقد رأينا كيف اجبر البيزنطيون اعدادا كبيرة من الأرمن على الهجرة الى كبادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حاول البيزنطيون أن ينسوا أولئك الأرمن مسالتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم الأول ، وأن يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، ولجأوا من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

---

(١١٧) عن Sirarpie : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173 (Mattieu)

أسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1 فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستفدت منه لذا أخذته عن جروسيه .

(١١٩) Grousset : L'Empire ... p. 174.

وهنا يظهر مدى حنق متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى وصفهم بها والتى أوردنا ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصرت جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقيه للأرمن وهى العقيدة التى قامت على اســاس المذهب المونوفيزيتى او الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد فى الشرق من الرجال الارمن الشجعان .. وتجبرهم على البقاء فى الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الارمينية الى كابادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جماعات اخرى من الارمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق اخرى مثل اقليم طوروس وقيليقيــة ، امــام ضغط الأتراك السلاجقــة المتدفقين بشــدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الأتراك ، فى الاقاليم الواقعة شرقى آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الأصلية فى ارمينيــا الكبرى الى الاقاليم الواقعــة غربى الفرات وشماليه ليستقروا فى جهات كان بعض اخوانهم الأرمن قــد سبقوا اليها واسسو فيها جاليات فى عصــور ســابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعــة مانزكرت الســابقة الذكر ، اذ تحركٰ كثير من الأرمن من موطنهم الأصلى القــديم حول بحيرة فــان Van فى أواخر القرن الحــادى عشر امــام ضغط الأتراك السلاجقة الى شمالى انطاكية فى جبــال طوروس وسفوح تلالها الجنــوبية حيث كونوا العديد من الامارات الأرمينية (١٢٢).وهنالكٰ انقسم المهاجرون الأرمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطه وقسم اعلن استقلاله منها .

---

(١٢٠) وهنا يشير جروسيه فى Grousset : L'Empire, p.p. 174 - 175. نفس الصفحة الأخيرة فى سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الدينى احيــانا . فمثلا جاجك فى منــاطق نفوذه الجــديدة فى كابادوكيا كان على ســوء تفاهم مع المطران البيزنطى لقيصريه المسمى — Marcos الذى انزعج من اطلاق الهجرة الأرمينيةوركز عدوانه ضدهم الى درجة اعطاء كلبــه اسم Armen مما ادى الى غضب جاجك وقام بكثير من عمليــات النهب والضرب التى وصلت الى الحيوان نفســه ، وراح الأسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : ســلطنة المــاليك ومملكة ارمينــية الصغرى ص ١٣٦ من (Iorga) فقــد تحركت الهجرة الأرمنيــة الى الاقليم الوحيــد الذى ترك دون أن يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آسيا الصغرى وشمال ســوريا . حقيقة أن ارمينيا الجــديدة فى المنفى كانت تكوينا غير طبيعيــا لكنها فى الواقع عاشت مدة اطول من اى دولة فرنجية فى الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628).

(١٢٢) Setton.: Op. Cit., V. 1, p. 371.

اما عن القسم الاول فيذكر — Pasdermadjian « انه منذ أواسط القرن الحادى عشر قدمت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى اقليم طوروس . ولم تلبث هذه الجموع ان دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضايق الموصلة الى قيليقية — بوصفها احدى الاقاليم التى كانت أكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضايق (١٢٣) . فقد فكر الاباطرة فى تقوية اقاليم دولتهم الواقعة على حدود قيليقية بأن وضعوا الأراضى والممتلكات المهمة فى أيدى نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) ».

اما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قيليقية فهم العناصر التى اتجهت نياتها لا للخضوع لبيزنطه ، وانما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن أمثلة النوع الأول — والذى لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريتوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الارثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللعنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وانما ايضا من جانب مواطنيه من المؤرخين الأرمن » (١٢٦) وقد عمل فيلاريتوس هذا فى خدمة الامبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الامبراطور واسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١م ٤٦٤هـ . وعندئذ رفض الأعتراف بالامبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII Doukas — (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن اخذ فيلاريتوس يدعم مركزه حول مرعش ورعبان والابلستين حيث أقام امارة قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطيّة (١٢٨) .

---

(١٢٣) Paśdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198.
من (J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien).

(١٢٤) فانه عندما تبين للأباطرة أن Sirarpie : Op. Cit., p. 12.
الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولتهم ، فكروا مختارين أو مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا ووسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٣٧ عن (Ostrogersky)

(١٢٥) Pasdermadjiant : Op. Cit., p. 198.

(١٢٦) (Mattieu) عن Grousset : L'Empire, p. 177

(١٢٧) Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177.

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٨ .

ولم يلبث فيلاريتوس هذا ان استطاع ان يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقة كانت عناصره من الأرمن والبيزنطيين فضلا عن ثمانية آلاف فرنجي (١٢٩) . بل قيل انه كان ضمن جيشه «فرس واتراك» (١٣٠).

وقد تمكن فيلاريتوس بفضل هذه القوة ان يبسط سيطرته على كثير من المعاقل في اقليم قيليقية . فلما سمع الامبراطور البيزنطي بذلك ارسل اليه الهبات وذهب فيلاريتوس بنفسه الى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم واعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل واعطوه السلطة على قيليقية لكي يقاوم الاتراك (١٣٢) .

والواقع ان فيلاريتوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها نفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين ارسل احد ضباطه وهو باسل بن أبي خلب الى الرها ليحكمها ويدير شئونها ، فصده حاكمها من قبل بيزنطة ، لكن الأهالي ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لممثل فيلاريتوس (١٣٣).

وقد ظل فيلاريتوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرها حتى سنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه الى الشام لمحاربة الاراتقة الذين قتلوا سليمان بن قطلمش . فلما وصل ملكشاه الى الرها سلمها له الأهالي بسبب بغضهم لفيلاريتوس . فما كان من فيلاريتوس الا ان لجأ الى السلطان السلجوقي « ووعده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفة والسلطان (١٣٤) » .

---

(١٢٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٣٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229.

(١٣١) Bar Hebraeus : Ibid., p. 229.

(١٣٢) Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188.

(١٣٣) اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ومملكة ارمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (من Bréhier : Vie et Mort) الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٩ .
Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.
وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الارمينية ، وهو الذى كان في عهد الامبراطور رومانوس الرابع قائدا في الرها ونائبا عن الامبراطور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرها تافادانوس — حاكمها باسم الامبراطورليون — ولكن الأهالي ثاروا وقتلوه ووضعوا المدينة في أيدى باسيل. (من Mattieu). Grousset : L'Empire, p. 179.

(١٣٤) Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. Cit. p. 277
كان الخليفة آنذاك هو المقتدى العباسى (١٠٧٥ — ١٠٩٤) .

بل قيل انه اسلم بالفعل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير الى انه كان مستعدا فقط — اذا استلزم الأمر — لاظهار الاسلام خدمة لمصالحة (١٣٦) . لكن يبدو انه اعتنق الاسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لا حظ السلطان كره الرهويين له لم يعده الى الرها بل منحه مرعش بدلا منها ، حيث انهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريتوس هذا كان لا يعدو أن يكون مغامرا جسورا ، فلم يدخر أية وسيلة للوصول الى السلطان وفى ذلك يقول جروسيه : « اذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التى كنهما له مواطنوه بسبب تحوله الى مذهب الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية ، فان فيلاريتوس يبدو بوضوح مغامرا دون شك ، لم يحجم عن ارتكاب أية خيانة ليدعم قوته وسط مظاهر الانحلال البيزنطى والغزو التركى . وهكذا اندس فيلاريتوس بين الامبراطوريتين ، فظهر امام البيزنطيين فى صورة رجلهم ، المعبر عن قوتهم ، وفى نفس الوقت ، ظهر امام الاتراك فى صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين »(١٣٩) .

وقد اقدم فيلاريتوس على التعاون مع الاتراك مرتين ، الأولى ضد احد الرؤساء الأرمن ، الذى رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريتوس مع أمير ميافارقين ضد احد ابناء جلدته حتى قتل الأخير ، فاقتسم فيلاريتوس الغنيمة مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهى التى سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه الى الرها وعندئذ اظهر فيلاريتوس خضوعه لارادة السلطان السلجوقى . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرضى كلا الجانبين فى الوقت

---

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ص ١٣٩ (عن (Michel Le Syrien :

(١٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277

(١٣٨) Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٤٠) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦ Grousset : Ibid., p. 177.

واسم الرئيس الأرمنى الآخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم فى ساسون.

المناسب،مما جعله يحكم فى وقت من الأوقات المنطقة الشاسعة الممتدة من خرتبرت (١٤١) فيما وراء الفرات حتى المصيصه (١٤٢) وعين زربة وطرسوس فى قبليقية ، ماريين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش » (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام ارمينيا الجديدة التى وضع اسسها فيلاريتوس فى سنواته الأخيرة هو الحدث الذى جاء بين كارثة مانزكرت ومجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق (١٤٤) . واذا كانت نهاية فيلاريتوس قد جاءت فى الوقت الذى اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما راينا — فان هذا لا يعنى انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التى كانت تحت نفوذه ، اذ استطاع نوابه وبخاصة فى الرها وملطية ومرعش — ان يواصلوا سياسته .

ونكتفى هنا بالاشارة الى كل من ملطية ومرعش حيث اننا سنتعرض للرها فى موضع آخر .

اما ملطية فان آخر نواب فيلاريتوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو احد المغامرين الأرمن ، ادى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية الى ايجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فان اخلاقه كانت ثمة تقارب مع اخلاق فيلاريتوس ، فنجد انه عندما دعت الحاجة الى استرضاء الاتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فانه لم يحجم عن ارسال زوجته الى بغداد « للحصول على تأييد الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى لحكمه فى ملطية » (١٤٧) .وقد ذكر ميخائيل السريانى

---

(١٤١) — Khartabirt — الارمينية الآن معروفة اكثر باسم خربوت — Kharpût وهى قلعة حصن زياد التى يشير اليها ابن خردانبة بانها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط
(Le Strnage : Op Cit., p. 117

(١٤٢) وهى من ضمن مدن الثغور بين المسلمين والروم قيل انه كان بها خمسة من قبور الأنبياء (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق١ ، ص٥٨).

(١٤٣) Grousset : L'Empire, p. 179 عن (Laurent : Byzance et les Seljaucides)

(١٤٤) Grousset : Ibid., p 150

(١٤٥) Michel : Op. Cit., p. 179.

(١٤٦) Grousset · L'Empire, p. 184. Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٤٧) Michel : Op. Cit.. p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 عن وليم الصورى
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١. ص ١٧٨ (عن ميخائيل السريانى) .

ان جبريل هذا — هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق — وعدهم ثلاث مرات بأن يسلمهم ملطيــة (١٤٨) .

اما مرعش التى ذكرنا انها شهدت خاتمة حيــاة فيلاريتوس فقد نجح الأتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قــدمت الحملة الصليبية الأولى استعادتها منهم وردتها للامبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حــدث فى ١٣ أكتوبر ١٠٩٧م وكان أن عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد الأرمن واسمه ثاتول Thatoul بحكمها فظل فيها حتى ١١٠٤م حــين اخذهــا منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع أن ثوروس — حاكم الرهــا والذى سنعود للكلام عنــه — وجبريل وثاتول ايضــا — نواب فيلاريتوس والذين بداوا مثله حيــاتهم العــامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد أعطينا صورة عن ذلك النوع من تبعية بعض حكام الأرمن للدولة البيزنطية من قريب أو بعيد .

أما النوع الثانى من حكام الأرمن الذين ظلوا بعيــدين تمامــا عن الخضوع لبيزنطة فيمثله الاميران روبان وأوشين .

اما روبان (١٠٨٠ — ١٠٩٥م/٤٧٣ — ٤٨٩هـ) فقــد استطاع بمن انضم اليه أن يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

---

(١٤٨) Michel : Ibid., p. 188

(١٤٩) Grousset : L'Empire, p. 184,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص.١٧٨ — ١٧٩ من
Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)
The Crusades, V. 1,. p. 195.

(١٥٠) Runciman : Ibid., p. 195

(١٥١) Fridtjof Nansen : l'Arménie et le proche Orient, p 295
وهنــا يشير Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.)
« لقبت ولاية قيليقية باسم ارمينيــا Doc. Arm. T.2, p. 373
لأنه بعد أن خلص المسيحيون الأرمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا بها فترة طويلة وقد واصل أهل ارمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى حد كبير ».

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . واتخذ روبان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة أرمينيا الجديدة (١٥٤) ، التى اطلق عليها اسم ارمينيا الصغرى تمييزا لها عن ارمينيا العظمى (١٥٥) او الأم .

ولم يلتمس روبان هذا الحماية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائما فى صورة تفوق بقية البارونات الأرمن حتى مات وترك خلفه ابنه قنسطنطين (١٠٩٥م — ١٠٩٩م/٤٨٩ — ٤٩٣هـ) الذى « كان أول الروبانيين الذين حملوا لقب أمير اوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين أن وصول الصليبيين الى الشرق فى أواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هيأتها العناية الالهية ، لتمكن تلك الامارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها فى علاقات ود وتحالف مما شجع ارمينيا الصغرى على اتخاذ موقف عدائى تجاه الامبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

اما اوشين (١٠٧٢ — ١١١٠م / ٤٦٥ — ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القلاع القديمة فى ارمينيا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضغط

---

(١٥٢) وهو يضيف فى نفس Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198. الصفحة ان الجنرال Bremond يعتبر محددا جدا فى تسميتها مصر صغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.

(١٥٣) Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 387 وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زربة ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) وهو يذكر ان Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303. روبان اعتمد فى الوصول الى هدفه على احد الارمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خدع الحرب . ولما كان ينقض دائما فجاة على عدوه ، سمى باسيل اللص Basile Voleur

(١٥٥) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٦) Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166.

(١٥٧) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٨) Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ فجاء الى قيليقيا حيث اعطاه صديقه أبو الغريب الارزرونى قلعة نمرون ((Lampron)) وهى منطقة ذات اهمية كبرى لحماية كابادوكيا وأمنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الأول أن يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne كما استطاع اوشين أن يؤسس الدولة الهيثومية — Héthomienne وهما الأسرتان اللتان كونتا عظمة أرمينيا الجديدة (١٦٠) .

ويمكن ان نضيف الى هؤلاء الزعماء الأرمن كوغ باسيل أى اللص باسيل (١٦١)،وهو مغامر ارمنى بسط سيادته على كيسون ورعبان (١٦٢)، وظل فيهما منذ حوالى ١٠٨٢م — ٤٧٥ هـ حتى وفاته ١١١٢م — ٥٠٦هـ ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الاتراك (١٦٣).

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الأولى الى قيليقية فى سبتمبر ١٠٩٧م ، وجد الصليبيون فى الأرمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد الدولة البيزنطية من ناحية اخرى ولم يلبث ان قدم الأرمن الكثير من الخدمات للجيوش الصليبية المتهالكة بعد رحلتها الطويلة عبر هضبة

---

(١٥٩) Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et Relig.... p. 168. القلعة اليوم هى نمرون — كاليسى Nimroun-Kalessi شمال خليج طرسوس .

(١٦٠) Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر ان اوشين سيطر على مدينة اذنه) عن (Iorga) أما (ستون (فيذكر أن اوشين كان يسيطر على نصف اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit. V. 1, p. 301) ولكن احد البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الأولى استولى عليها (William : Op. Cit. V. 1, p. 181)

(١٦١) Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ وقد اطلق عليه اللص لأنه سرق عدة قلاع من الثغور فتملكها الارمن بعده .

(١٦٢) Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299, سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52,

(١٦٣) Grousset : L'Empire, p. 184.

الأناضول وخـلال الممرات المرتفعـة فى طوروس كما قـاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصـار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المسـاعدات التى قدمها الأرمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم اى شعب او اية امة مساعدات تلقائية للصليبيين اكثر من الأرمن.الذين امدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام» (١٦٤).

والواقع أننا نؤيد ذلك الراى الذى يذكر أن « الصـداقة التى قامت بين الأرمن والصليبيين فى أول الأمر انما كانت تستهدف مواجهـة العـدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية اخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايعين من السكان الارمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦).وفى مرعش قدم لهم حاكمها ثاتول الأرمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبى الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبـة ايضـا تنكريد ابن أخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبى ليعملا لحسابهما(١٦٨).لكن حدث بينهما صدامان أمامكل من طرسوس(١٦٩) والمصيصة (١٧٠) ـ سنتناولهما فيما بعد ـ وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبى

---

(١٦٤) Sirarpie : Op. Cit., p. 12.

(١٦٥) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى،ص ١٤٣

(١٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 207.

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p.298.

(١٦٨) F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

(١٧٠) William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : p. 138.

(١٧١) Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301.

الأصلى فى مرعش وهناك علم بوفاة زوجته (١٧٢). وبعد مضى حوالى يومين فى ١٥ اكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفـــاقه من جـديد ليبحث عن مستقر على ارض أرمينية (١٧٣) . ذلك بعد أن أخذ بنصيحة باكراد الأرمنى — اخو كوغ باسيل والذى سنتكلم عنه بعد قليل — بان قـــدره الحقيقى يرقد بعيدا فى الشرق على الفرات (١٧٤) . لانـــه هنـــاك لن يلتقى بتنكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وببداية بلدوين البولونى رحلته هـــذه تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخـــه كمؤسس لامـــارة الرهـــا الصليبية وهنا يؤكد احـــد الأرمن ان بلدوين البولونى « اتجه تحت تأثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجـــاه الى الســـهل القيليقى واصـــبح بذلك على اتصـــال مبـــاشر بالقـــوات الارمينية (١٧٦) » وانه بفضل باكراد الأرمنى نظم سيره فى قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر باكراد اتصاله بجيرانه الأرمن وامرائهم « وفى كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما اليعاقبـــة السوريون الذين كونوا بقيـــة السكان ، فكانـــوا اكثر شـــكا ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدوين ببكراد فقد بدا فى نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر وليم الصورى أن معرفـــة بلدوين ببكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو أن هناك اشارة لأحد اللاتين تذكر أن « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح أن بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف باكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

---

(١٧٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138.

(١٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49.

(١٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(١٧٥) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(١٧٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Albert)

(١٧٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

(١٧٩) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175.

(١٨٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 188
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١

(١٨١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 353.
هنـــا يوضح Ioga ان باجراد كان قد حبس كرهينة فى القسطنطينية (Iorga : LéArménie Coliciénne, p. 92).

هل كان صادقا فى معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه أم مصلحته هو ؟

هنا نرى وليم الصورى يصف باكراد بانه « كان محاربا شجاعا ولكنه كان مخادعا الى درجة كبيرة ومشكوكا فى اخلاصه .. كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشاركه فى حملة على الاقاليم المجاورة وهي الاقاليم التى قال عنها انه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رايه فى النهاية (١٨٢) » . فى حين يذكر رنسيمان « أن باجراد كان يود ان يضمن مساعدة بلدوين من اجل تثبيت اركان الامارات الأرمينية القريبة من الفرات حيث يستقر اقاربه « (١٨٣) أما جروسيه فيقول ان باكراد كان يرى « أنه بفضل الاعتماد على الفرنج يمكنه أن يفوز باقطاع كبير يحكمه حكما متحررا ، وعند اللزوم يستطيع ان ينقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هذه هى سياسة فيلاريتوس تجاه منافسيه اذ ناور بين البيزنطيين والأتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فانه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان أن اصطحب بلدوين معه حوالى مائة فارس وعددا قليلا من المشاه وبدأ رحلته من مرعش تحت ارشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المساعدات التى قدمها له بعض امراء الأرمن المحليين ، وبفضل هذه المعونة استولى على مدينتين هامتين هما تل باشر

---

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) (Albert) عن Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54

(١٨٤) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٦ عن (Albert) أن بلدوين انشق عن بقية الجيش الصليبى تحت ستار حماية ميسرة الصليبيين الزاحفين على أنطاكية ليبحث لنفسه عن امارة جديدة صالحة فى البلاد الأرمينية .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك فى عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح المدينتين مساعدة الأهالى الأرمن فيهما لبلدوين وثورتهم ضد الحاميات التركيـة وطردها الأمر الذى ساعد عليه ضعف تلك الحاميات (١٨٨) . وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلدوين راوندان لبكراد وتل باشر لأمير ارمنى آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا انه حدث فى تلك المرحلة — اى اثناء وجود بلدوين فى تل باشر — ان استدعاء ثرروس الأرمنى حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبى

---

(١٨٦) Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278
وهنا ذكر دوفال انهما .
شمال غربى حلب . اما المصادر اللاتينية فتذكر أن بلدوين استولى على كثير من المعسكرات بالقوة تارة وبالحيلة تارة اخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على افضلهم ويسمى تل باشر .
Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.
اما عن راوندان فقد ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ٩ ص ١٩ انها قلعة حصينة وكورة معشبة من نواحى حلب . واضاف ابن العديم انها قلعة صغيرة على راس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل اليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٦٩).

(١٨٧) Grousset : L'Empire, p. 204,
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨
عن (Albert) . وهو يسمى القلعتين (رافندل - Turbessel, Ravendel وتربسل وهى ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية
هنا نجد (شالندون) يخطىء فى ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر أن ذلك تم فى فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٣هـ (
Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)
ومما لا يرجح صحة هذا التاريخ ان المدينتين سقطتا فى ايدى الصليبيين قبل الرها التى تم دخولهم لها ١٠٩٨ م — ٤٩٢هـ .

(١٨٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

(١٨٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302-303, Grousset. Ibid., V. 1, p. 54.

(١٩٠) Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35.

بلدوين ذلك الطلب ويترك تل باشر ، كتب اليــه (فير) تقريرا بأن باكراد يتــآمر ضــده فى راوانــدان (١٩١) ويبـــدو كما يقــول (رنسيمان) « انه ليس هناك شك فى ان (فير) كان غيورا من باجراد الذى لم يرتكب ذنبــا اكثر من الاتصـــال سرا بأخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حسابا لسوء العــاقبة فدفع رجاله الى رواندان وقبض على باجراد الذى عــذب ليعترف فلم يصرح ســوى بالقليل النــادر ثم هرب فورا ليحتمى باخيــه . وهكذا بدا واضحا لعقلاء الأرمن ان بلدوين جاء لا لكى يحررهم ولكن ليبنى لنفســه سلطانا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لعبور الفرات ، ليلبى طلب ثوروس الذى استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلتــه الى الرهــا آمنــة ، اذ كمن له فى الطريق اتراك سميســاط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التى قــدمها له الأرمن فى تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع أن نتصور اهمية المساعدات الأرمينية لبلدوين البولونى من خلال تلك السطور التى كتبها (ميشو) : « لم يكن بلدوين فى حــاجة الى مرشـــد ولا لنجدات فى منطقة هرع سكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى فى الأماكن البعيدة جــدا حتى ان اخبار فتوحاته سبقته الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرهـــا (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة اخبارها وحكامها منذ ان بارحها فيلاريتوس بأمر السلطان السلجوقى ملكشـــاه

---

(١٩١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(١٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 303 هنا يضيف (Runciman) من
الدبس : تاريخ سوريا جـ ٦ ص ١٢ ان باكراذ استحوذ على بعض الأماكن ولكن التــاريخ لم ينبئنا ما آل اليــه آمره .

(١٩٣) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena, Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.

(١٩٤) Fulcherii Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid.,) T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

(١٩٥) Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240.

١٠٨٧ : ١٠٩٤م (٤٨٠ ــ ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقى بوزان (١٩٦) .

يقول ابو شامه أنه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلمش على يد تتش ان ملك تتش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ أرسل أهل القلعة الى ملكشاه ليسلموها اليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية النميرى كان قد باعها من الروم بعشرين الف دينار وسلمها اليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد واجلوا المسلمين عنها . وكان أن سار ملكشاه اليها فحاصرها رفتحها واقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذى وعد الأهالى الأرمن فى الرها باحترام مصالحهم فسلموا له المدينة جميعا(١٩٨).

وكان ان ظل بوزان هذا حاكما للمدينة الى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عندما قتل فى الحرب بين تتش وعمه بركياروق (١٩٩) وعندئذ استولى احد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيثوم على الرها بوصفه تابعا لفيلاريتوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته فى التارجح بين ارضاء

---

(١٩٦) Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.
وهنا يعدد لنا دفريمبرى اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .
(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٠

(١٩٨) Grousset : L'Empire, p. 183.

(١٩٩) الأثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ١٥ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٥ ــ ٦٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ٩ ص ٧٦/٧٧ . وهنا يرجع الحسينى : اخبار الدولة السلوجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل بوزان الى عدم اسراع بريكاروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله مع اتابكة الأمير الاسفسهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعقب على ذلك ببيت للصدر عماد الدين يوضح ذلك فيقول :

قد غرقنا فى الشرب والسكر حتى لم نفكر فى سنقر وبزان

(٢٠٠) The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628.

كل من الاتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحيــة أخرى « فقد تحــاشى الدخول فى صراع مع الأتراك ، ووفقا لملاحظة جيوبرت النوجنتى ، حفظ الرهــا من هجمـــات الاتراك بالمفاوضات ودفــع الجزية فى الوقت المناسب ، لابالسلاح (٢٠١) » . وفى نفس الوقت فعل مثلما كان يفعــل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للامبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس هــذا فكان هو حاكم الرها عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى وقت احس ثوروس بأن امارته الأرمينية انتابها الضعف . وانها لم تظل على قيــد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياســـة المهادنة التى اتبعها تجـــاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ محاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعــذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمينى فرصـــة كان يتمناها (٢٠٣) .

---

(٢٠١) سعيد عاشور
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.
الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)
(فقد اتره تتش اخر السلطان ملكشاه فى حكم الرهـــا سنة ١٠٩٤م)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٠١ ،

(٢٠٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel) Cruasades, p. 60.

البـــاب الأول

قيـــام امـــارة الرهــــا الصليبية واحوالها الداخلية

رأينـــا كيف كانت الرهـــا بمثـــابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الاتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الأرمنى بمعجزة فى المحافظة على ذلك الحصن المسيحى البارز على أرض اسلامية ، لكنه أخذ يفتقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركى على امـــارته (١) . وجاء ذلك فى الوقت الذى كانت شهرة بلدوين البولونى قد بلغت آفاقا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته فى حروبه ضـــد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس فى طلب المساعدة من بلدوين البولونى ولكنه فى نفس الـــوقت صمم على أن يســـتفيد من قوة الصـــليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك أنه أراد أن يستغل بلدوين لخدمة مصالحه اى بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم يفصح عن نيته هذه لأحـــد حتى اشـــد المقربين اليـــه بدليل ما سيتعرض له بعـــد ذلك من معـــارضة حين تنكشف سياسته لبلدوين ولأهالى الرهـــا انفسهم .

ومهما يكن من امر فقد ارسل ثوروس الى بلدوين فى تل باشر يتوسل اليه ان يحضر لنجدته ضد اعدائه الأمراء المجاورين «الذين اقلقوه كثيرا(٦)»

---

(١) Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56.

(٢) Fulcharii : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, T. 3, p. 337.

(٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 352.

(٤) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54.

(٥) C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée p. 56, L'Empire, p. 204.

(٦) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد احد المصادر اللاتينية بقوله أن ثوروس استدعى بلدوين « ليسكت معارضيه فى الدولة (٧) » . ولهذا الغرض أرسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من أسقف المدينة يرافقه اثنى عشر كبيرا من كبار الامارة ، فطلبوا من بلدوين الحضور الى مدينتهم لحمايتهم من الأتراك (٨). ويقال انه من أسباب تلك الاستغاثة او ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من ان كربوغا اتابك الموصل كان يعد فى ذلك الوقت جيشا عظيما ليتجه لنجدة انطاكية ، مما اثار المخاوف من أن يستولى فى طريقه على الرها وغيرها من الولايات الأرمينية (٩) .

ومن هذا يفهم ان استغاثة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وأنه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة أخرى فانه لم يفهم من ظاهر هذه الاستغاثة رغبة ثوروس فى استخدام بلدوين كأجير مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الاتراك ، وان كان بعض المؤرخين ذكروا أن استغاثة ثوروس كانت تتضمن مؤازرة بلدوين لثوروس ضد الأتراك مقابل اجر مجز (١٠). والراجح أن بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو فى راوندان، وانما اكتشفها بعد أن وصل الى الرها ذاتها (١١) .

ولا عبرة هنا بما جاء فى بعض النصوص المعاصرة من ان بلدوين لم يكن يعلم شيئا عن الرها حتى وصوله اليها صحبة رجاله ، وأنه تعرض لأطرافها بالنهب والسلب (١٢) . اذ لا يعقل أن بلدوين قام بعمليات أسر ونهب فى منطقة ارمينية .. مع أن مرشديه كانوا من الأرمن ، هذا فضلا عما فى هذا الراى من تعارض مع ما ذكره وليم الصورى من تقرب الأرمن

---

(٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 352.

(٨) Alberti : Ibid., p. 352.

(٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Runciman: Op. Cit., V. 1, p. 203. (Albert of Aix) عن
سعيد عاشور و الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٨١

(١٠) C. Cahen : Op. Cit., p. 210.

(١١) C. Cahen : Ibid., p. 210.

(١٢) Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

لبلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما أن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصلبان والأعلام معلنين جبنا المتواضع للسيد المسيح ، حتى قبلوا اقدامنا وثيابنا المزقة ، لأنهم سمعوا اننا فى سبيلنا لحمايتهم من الأتراك (١٤) » .

ومهما يكن من امر فان بلدوين لم يكد يتلقى سفارة ثوروس حتى استجاب لها فى الحال لما راى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد فى المسير فورا ليعبر الفرات فى نحو ثمانين فارسا فقط ، فى حين ترك بقية اتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها فى فبراير ١٠٩٨م(١٦) (٤٩٢هـ) استقبل استقبالا رائعا صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما اثار شعور الغيرة والحسد فى نفس ثوروس الذى اخذ يحس أن زمام الأمور سوف يفلت من يديه امام

---

(١٣) William : Op. Cit., V. 1, p.. 188 - 189.

(١٤) Fulcherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 337.

(١٥) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. أمـا متى الرهـاوى فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا .
(Mattieu : Op. Cit., p. 36)
فى حين يشير مصـدر لاتينى آخر أنهم كانوا ثمانون .
Balduni III : Hist.
Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

(١٦) Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman Op. Cit., V. 1, p. 24 من (Albert)
ذكر المرجعان أن ذلك كان فى بداية فبراير اما
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « انه دخل مدينة اذاسا فى العشرين من فبراير ١٠٩٨م » . من (Hagenmeyer : Chronologie)

(١٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191, Michaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وامام حب الأهالى الجارف له (١٨).ويروى بعض المؤرخين المعاصرين ان ثورس « حسد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . فى حين يذكر وليم الصورى أن ثوروس « بدأ يفكر فى التخلى عن الترتيبات التى أقحم نفسه فيها . فعندما استنجد ببلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه ايرادات المدينة ، على أن ينفرد بلدوين بكل شىء بعد وفاة ثوروس . ولكن الأخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير فى أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة واهلها ضد ضغط الاتراك،ويحميها من عدوانهم مقابل اجر معين . وهنا اخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل ان يعمل اجيراً مقابل مكافأة سنوية »(٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكا له فى الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحميه هو وشعبه مقابل مكافأة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح فى النص اللاتينى الذى يشير الى أن ثوروس عرض « أن يقدم الى بلدوين كثيرا من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والآلاف من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط أن يثبت له وللأهالى والجهات المواجهة لكمائن الاتراك انه سيدفع عنهم خطرهم(٢١) » . ويقول وليم الصورى « ان بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى اعطاء بلدوين اجرا مقابل خدماته كأى جندى عادى ، وبدأ يعد العدة للعودة »(٢٢) . ويشير جروسيه أن بلدوين هدد « بالتخلى عن مهمته(٢٣) » بل اشترط « اما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

---

(١٨) Cahen : Op. Cit., p. 210.

(١٩) Albert Aquensis : Historiae... Liber III, T. 4, p.p. 352-353.

(٢٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٢١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 353.

(٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٢٣) Grousset : L'Empire, p. 204.

الرها ويتنازل عن المدينة لهجمات الأتراك »(٢٤) . .

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته ان ثوروس تبنى بلدوين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الرأى ؟ أم أن بلدوين هو الذى أجبره على ذلك ؟ أم ان هذه الفكرة كانت رغبة أهل الرها انفسهم ؟ أم رغبــة أعيان البلد الممثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لتوروس فى الحكم ؟

هناك اشـــارات فى المصادر المعاصرة الى أن هــذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر ان « هــذا الأرمنى كان شيخــا لم ينجب اولادا ، ولذا تبنى بلدوين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه»(٢٥). هــذا فى حين جــاء فى مصادر اخرى أن بلدوين « اجبر ثيودور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر أن هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع اهالى الرهــا انفسهم ، وعندما احس ثوروس بالحاحهم وافق وأذعن على مضض(٢٧) .

اما عن موقف اعيــان الرها ومجلس شيوخها من بلدوين فيقال انه بمجرد أن هدد بلدوين بترك البلد والعودة من حيث اتى « وانه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدوين بالذهب أو الفضة أو بأية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيــان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافــة الوســائل والرجاء الا يسمح لمثــل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعــودة وأن يتخذه شريكا لنفسه من أجل المحافظة على مصير الامارة »(٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

---

(٢٤) Grousset : L'Epopée, p.p. 56 - 57.

(٢٥) Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 81.

(٢٦) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278.

(٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبنى (٢٩) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لمراسيم التبنى فى الكنيسة الأرمينية فى القرن الحادى عشر(٣٠) . وتم ذلك فى حضور سكان المدينة وفى احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين(٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « ارمنى — فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سميساط لمحاربة أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

---

(٢٩) Alberti : Ibid., p. 353. William : Op. Cit. V. 1, p. 191.
Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,

ويحكم هذا التبنى أصبح بلدوين الوارث الوحيد لثوروس

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 149.

(٣٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56,

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢ . عن
(Guibert de Nogent)

Grousset : L'Epopée, p. 57.

وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا الشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاريين لحمه وقميصه . . . الى آخر الشعائر ويؤيده فى ذلك
(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

(٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٣٢) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

(٣٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58.

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكأنهم لم يكفهم ما حدث له ولسلطانه الذى اصبح مناصفة بينه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان عوامل الكره لثوروس ترجع الى اسباب عديدة اولها واهمها فى نظر الاهالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الارمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الأصلى ، فضلا عن انفصالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالمذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القاعدة .. فأصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين أرمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) .

فاذا أضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧)) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه أرهق رعاياه بالضرائب ليرضى جشع الأتراك ويدفع لهم الأموال (٣٩) . فضلا عما يقال من ان سخط الاهالى عليه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . أدركنا فى النهاية أسباب التآمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهاوى يعتبر ان كل تلك الأسباب الصادرة عن الرهويين : « والتى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سوى ، عللا وضعوها لكى يبرروا خيانتهم لثوروس وتآمرهم ضده ،

---

(٣٤) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36 - 37, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. عن Albert)

(٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208

(٣٦) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139.

(٣٧) Cahen : Op. Cit., p. 210.

(٣٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)

(٣٩) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

حتى قتلوه وسط هيـاج شعبى مفتعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عـديدة للمدينـة ، لانه « بسبب مهارته الحـذرة وبعبقريته وشجاعته استطاع ان يجنبها فعلا خطر السقوط فى قبضة المسلمين »(٤٢) . ويقال أن اهـالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قنسطنطين حاكم كركر(٤٣) . ولكن الذى يعنينـا ويتطلب منـا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين فى تلك المؤامرة . او على الأقل دراسـة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصمت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الموضوع ، فى حين نجد متى الرهاوى يتهم بلدوين صراحة بالمشاركة فى المؤامرة (٤٤) . هـذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احيط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض أن يشارك فيها (٤٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعـد عن الظهور على

---

(٤١) Mattieu : Op. Cit., p. 30.

(٤٢) Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56.
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. من (Mattieu

(٤٣) Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

(٤٤) Mattieu : Ibid., p.p. 37 - 38, Chalandon : Hist. de la première Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570.

(٤٥) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoé : Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert) وهنا يذكر البرت انه عندما طلب أهالى الرهـا من بلدوين مشـاركتهم فى التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى اخـذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى أتوسل اليكم أن تسمحوا الى ان لا الوث بموته وبدمـه . وان تجعلوا اسمى خسيسا بين قـادة الجيش المسيحى .

مسرح الجريمة مع المتآمرين ، حيث ذكر انهم « اجتمعوا معه وذكروا له انهم سيجعلوه سيدا أوحدا على الرها اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . أى أنه « اخبر بها لكنه ابعد عنها (٤٧) » . .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجمها الثوار ومعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة أن يمنع الهياج المدبر ؛ اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شيء وترك ثوروس يلقى مصيره(٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين عن طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا ليحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين أن يقوم بدور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه أن يسلم خزائنه للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تآمر كل المواطنين وحكام هذه الامارة ضدك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الاسلحة وفى هياج شديد وفى تهور واندفاع ، وهذا كله يسبب لى الألم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك أن تطلق سراح نفسك باية وسيلة ، او بالتنازل عن كل سلطاتك ، فلن اتوان فى الاسراع اليك » . وكان أن استمع ثوروس بصعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى ارمينيا القديمة ، فحلف بلدوين على تلك المقدسات المبجله بالايصاب ثوروس بأذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

---

(٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, Grousset : L'Epopée, p. 57.

(٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 - 206.

(٤٨) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140.

(٤٩) Grousset : Hist. des Crois , V. ,1, p. 57, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

(٥٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354.

لبلدوين فدخلها مع كل اعيان المدينة(٥١) .

وثمة رواية أخرى تقول أن ثوروس استدعى بلدوين « وسكب امامه خزائنه بغزارة ملتمسا منه التشفع لمصلحته لدى الأهالى (٥٢) » . ويصور لنـــا احد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتى لا مثيل لها فى السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية »(٥٣) . ويبدو ان المتآمرين وافقوا بعد ذلك على ان يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مســلح (٥٤) . فينزح الى ملطيـة التى كان اميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الأهالى وندموا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصاحوا بالاجماع الا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا او معافى حتى لا يحدث أى تغيير للظروف او استرداد للأشياء »(٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بانهم اتهموه « بانـــه لم يوقـــع على الصـــلح الا مخادعا (٥٧) » . لذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخترقوا القلعة فى ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من اعلى الاسوار (٥٨) »

أما وليم الصورى والبرت فيذكران انه فى حالة شعور ثوروس باليأس . حـــاول أن يهرب من احـــدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدأ ينزل

---

(٥١) Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 57, L'Epopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)

هنا يذكر ميشو (انـــه بمجرد ان استسلم ثوروس ووعـــد بالتنـــازل عن حكومة الرها وطلب الانسحاب مع عائلته الى ملطية حتى قوبل ذلك الاقتراح بفرح وحلف الأهالى على الصليب وعلى الأنجيل باحترام الشروط)

Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud . Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جسده بالاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل انهم سحلوا جثمانه فى الشوارع وقطعوا راسه وحملوا جثمانه للتشهير به فوق الحراب خلال كثير من قرى الامارة (٦٠) . والواقع اننا نطل من وراء هذا النص على البداية المبكرة لعملية السحل والتمثيل بالجثث .

هنا يكتفى فولشر بقوله ان بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن فى استطاعتهم عمل شىء من اجله » (٦١) دون ان يشير الى المؤامرة باى شىء، وربما يرجع ذلك الى شدة قربة ببلدوين حيث كان قسيسه الخاص . وهناك رأى وحيد يشير الى « ان بلدوين اشترك بالفعل فى المؤمراة وان له يدا فى مصرع ثوروس وانه اشترك مع زوجة ثوروس فى تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعد ذلك لكى يضفى على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قد يكون بعيدا عن الحقيقة فى نظرنا ، خاصة واننا لم نجد ما يؤيده فى المصادر المعاصرة

وفى ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغم من اعتراض بلدوين ، نادى الأهالى به حاكما لهم وحلفوا يمين الولاء له وقادوه فى موكب عظيم واجلال الى داخل قلعة المدينة حيث اغدقوا عليه كل الأموال والثراء الواسع الذى احتزنه حاكمهم السابق خلال سنوات عديدة ..وبهذا عاد للمدينة الأمن والطمانينة (٦٣) » .

والواقع اننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول انه كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو فى بداية امره كان يتطلع — شأنه شأن باقى امراء الحملة الصليبية الأولى — الى ان

---

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355.
William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.
(٦٠) Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Mattieu Op Cit, p 38
(٦١) Fulcherii Carnotensis : Historia ..Hist Occid. T. 3, p. 338.
(٦٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٢٠٥ .
(٦٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid T. 4 p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له امارة يحكمها فى الشرق . وعندما أراد ثوروس أن يجعل منه جنديا مرتزقا هدد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة انه ـ وشعبه ـ لن يتخلوا عنه . ثم عندما دبرت المؤامرة ضد ثوروس رفض بلدوين المشاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس فى صورة الرجل الحافظ على عهوده ، ومن ناحية اخرى حتى لا يكون مثارا لشك الأهالى بعد نجاح المؤامرة واخيرا وبعد ان تمت المؤامرة وقتل ثوروس ؛ وعرض عليه حكم الامارة اذا به يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيها .

لكن هل جاءت فكرة تاسيس بلدوين « لامارة الرها الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعد استدعاء ثوروس له ومقتل الأول واختيار الأهالى لبلدوين مكانه ، أم أن تلك الفكرة كانت موجودة أصلا لدى بلدوين . وتم تنفيذها ، عندما اتيحت لها الفرصة ؟ .

هنا نجد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر ابدا فى فتح كنيسة القيامة ـ يقصد بيت المقدس ـ بل كان لديه نشاط جامح لاقامة مملكة خاصة به فى الشرق (٦٤) » . لذلك نجد أن بلدوين انفصل عن بقية الجيش الصليبى منذ وقت مبكر ـ وشاركه فى ذلك تنكريد ابن اخت بوهيموند ـ ليعملا لحسابهما (٦٥) . بل ان البعض يؤكد ان رغبة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطاع امارات لانفسهما فى آسيا الصغرى (٦٦) . هذا الى جانب راى وحيد انفرد بالقول بأن هذه الفكرة نبعت من منافسة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولته تاسيس امارة بالشرق لعمه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح ان عنصر المنافسة وحده لايكفى أن لم تدعمه الامكانيات المختلفة . والواقع ان الفكرة كانت كامنة لدى بلدوين حتى كشف عنها فى الوقت المناسب عندما وجد المكان الصالح لتحقيقها وكان أن وجد فى اقليم الرها السكان الأرمن المتلهفين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له أرض افضل للعمل بما يتفق مع خططه . ولكى ينجد مسيحيى

---

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Crois. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتر : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٩ .

(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ . وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الافضل ان يتحالف مع أولئك المسيحيين ضد الأتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التى رتب لها ، فهو لم يفكر فى قهر أرض على جانب من الأهمية بدون الأعتماد على السكان الوطنيين . وفى اقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع انها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الأتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلدوين أن يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باءت بالفشل محاولة ثوروس فى اقامة حكومة ارمينية فرنجية (٦٩) . فقد كانت امارة الرها التى حكمها ثوروس بمفرده بيزنطية ارمينية ، ثم اصبحت لاتينية ارمينية بعد تبنيه لبلدوين (٧٠) . ثم تحولت شيئا فشيئا حتى أصبحت امارة لاتينية صرفه (٧١) .

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها : ١٠٩٨ — ١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على ان امارة الرها هى اولى الامارات التى أسسها الصليبيون فى الشرق ، وان تأسيسها يرجع الى بداية مارس ١٠٩٨م (٧٢) (٤٩٣هـ) (٧٣) وهى السنة التى انفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

(٦٨) Zoé : Op. Cit., p. 139.

(٦٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629.

(٧٠) Grousset : L'Empire, p. 297,

(٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٤ : Grousset : Ibid., p. 184.

(٧٢) هنا William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304. اخطأ البعض فى ذكر تاريخ تاسيس الامارة (الميلادى) فقد اشار مرجعان انها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩م وهما : Dictionnaire d'Histoire et de Geographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 1.
فى حين يشير مرجع آخر الى أن ذلك كان سنة ١٠٩٧م Cam. Med. Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا ايضا اخطات بعض المصادر فى ذكر التاريخ الهجرى فمثلا ابن ايبك الدوادارى كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٥٠ يذكر ان ذلك كان سنة ٤٩٠هـ . أما التاريخ المظفرى : ميكر وفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة ٤٩١هـ ، أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٩ فيذكران ان ذلك كان ٤٩١هـ .

وهكـذا دخلت الرهـا فى حوزة الفرنـج بعـد أن « كانت مركزا بيزنطيا فى مواجهة مركز اسلامى فى حران » (٧٤) . والواقـع انه اذا كنا قـد بينا من قبل اهمية تاسيس امارة الرهـا بالنسبة للبناء الصليبى فى الشرق ، فان بعض البـاحثين يرون أن تاسيس امـارة الرهـا يعتبر سـابقة خطيرة ، لأنه شجع بقية امراء الحملة الصليبية الأولى على أن يحذوا حذو بلدوين فى تكوين امارات لأنفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبى فى الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا فى الشـام أربع امارات صليبية اختلفت اهدافها باختلاف اصول مؤسسيها . وفى ذلك يقول (براويـه — Prawer) أن امارة الرها كانت امارة أرمينية لورينية،(٧٦)ثم امارة انطاكية التى اسسها بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية وامارة طرابلس التى شيدت على الأسس التى وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية Provençale ومملكـة بيت المقدس ، امـارة لورينيـة وفرنسية شمالية (٧٧) .

وقـد اختلفت امارة الرهـا عن بقية الامارات الصليبية بانها اخـذت ولم تقهر (٧٨) أو بمعنى آخر تحولت السلطـة فيهـا من رئيس أرمنى الى رئيس فرنجى (٧٩) .

امـا عن شخصية مؤسس امـارة الرهـا الصليبية ، وهو بلدوين البولونى او بلدوين دى بوايون (٨٠) الـذى حكم الرهـا من ١٠٩٨ —

---

(٧٤) Cahen : Op. Cit., p. 111.

(٧٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) سـار على راس احـد الجيوش الصليبية ، الذى جند من فالونيا وفـلاند واللورين ، قـادة فرنسـيين هـم : جـود فرى دى بوايون Godefroy de Bouillon واخويـه بلـدوين وايوسـتاش وابن خـاله بلـدوين دى بـورج . (F. Charles — Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 15).

(٧٧) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 249.

(٧٨) J. Prawer : Ibid., p. 249.

(٧٩) Cahen : Op. Cit., p. 225.

(٨٠) وبوايون Bouillon هى مدينـة فى بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج =

١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) (٨١) فالمعروف أنه كـان أخـا لجود فرى دى بوايون وكان يصغر أخـاه بسنة أو اثنتين . (٨٢) جمعته هو وأخوه بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) كذلك تشابها فى الغطرسـة والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين فى طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحى المدنية والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة العظيمة ، اذ تربى تربية أميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن انه « كرس فى طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحيـة أخرى كان ذكيا طماعا ، صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شـديدا كما كان رجل سياسـة ورجل دولـة (٨٧) .

والواقع أن بلدوين عرف منـذ البدايـة أنه لايستطيع أبدا الاعتماد الا على خاصته ولكن بالرغم من انـه لم تكن له شعبية مثل أخيه جود فرى أو مثل بوهيموند ، الا انه عرف كيف يجعل نفسه محترما، مهاب الجانب ، فشجاعته وحزمه وحسمه للأمور فرضت احترامه على كل من أصدقائه

شمال فرنسـا . وكـانت بوايون فى القرن الحادى عشر الميلادى تحت حكم أمراء الأردن Ardennes والذين تولى خمسـة منهم فيما بين ١٠١٢ — ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجرمان . ولـما كانت بوايون هى قلعتهـم الرئيسية فقـد اصبح من المـالوف أن يلقب هؤلاء الأمراء : بأمراء بوايون ، رغم أن بوايون نفسها لم تكن دوقية . والى بوايون هـذه ينسب أميرنا الصليبى بلدوين .
Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

(٨١) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٨٢) Zoé : Op. Cit., p. 116.

(٨٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.
ويضيف المرجـع الأخير بأن بلدوين كان المحـارب الأكثر ضراوة ، الأكثر شجاعة ، الذى لا يبالى بالتعب اطلاقـا (ص ١١٧) ذو السـلاح جيد وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

(٨٤) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C.). Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1. p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

(٨٥) Zoé : Ibid., p. 135.

(٨٦) Zoé : Ibid., p. 117.

(٨٧) Zoé : Ibid., p. 117.

واعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الأصدقاء (٨٨) وربما يرجع السببه فى ذلك الى أنه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حينا والتهديد بالقوة أحيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الأقوال فى ذكر صفاته الا أنها فى مجموعها لا يمكن أن تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تفخر بهم الحروب الصليبية ، والا لما استطاع ان يصل بعد أن كان أميرا لامارة الرها اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠م .

ومنذ اللحظة الأولى لاعتلاء بلدوين حكم امارة الرها ، وضع نصب عينيه ان يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الأول فى الصرح اللاتينى فى المشرق ، من طريق تدعيم الجبهة الداخلية للامارة وعن طريق التوسع الخارجى .

ان ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرها هو خطر الأتراك المحيطين به من كل جانب وتهديدهم لامارته ، هذا الى جانب قلة عدد قواته من فرسان الصليبيين ، (٩١) وعدم ثقته الكاملة فى اهالى الامارة الأرمن بعد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالاضافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع أن يحقق بها مايدور فى خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تغلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع أن المشكلة الأولى التى واجهت سبيل بلدوين كانت قلة عدد فرسانه من الصليبيين الغربيين ، وهنا ساعده الحظ لأن عددا كبيرا من الصليبيين الذين شاركوا فى حصار انطاكية سئموا طول الحصار بعد أن ضاقت بهم الحال فاتجهوا الى الرها ينشدون حياة افضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجح البعض انه اغراهم على

---

(٨٨) Zoé : Ibid., p. 141.
يقصد هنا بخاصته (فرسان بطانته وذوى قرباه والسادة الصليبيين الذين ارتبطوا به من طريق بعض الهبات)

(٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 180.

(٩٠) William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.

(٩١) ولو ان (آرتشية) يذكر هنا أنه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.

(٩٢) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 465.

القدوم الى امارته لانه كان فى حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من أمام انطاكية الى الأمير بلدوين بالرها كانوا على نوعين : نوع كان يأمل فى الحصول على اقطاعات (٩٤) وبالتالى ينشد الاستقرار فى الرها . وفريق آخر اسرع الى الرها للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الأصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الاخير واظهر لهم احتراما كبيرا ثم اعادهم الى اخوانهم بالشام فى حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هذا الفريق عن الرها الا ان الصليبيين تدفقوا فى أعداد هائلة على المدينة بعد ذلك حتى أصبحوا مصدر ازعاج للأهالى الأصليين (٩٦) . وكان ان نجح بلدوين فى اخضاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الأماكن الرئيسية الحصينة فى الامارة اقطاعات لهؤلاء الفرسان (٩٧) ومن بين الاقطاعات التى وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقد قدمهما لأخيه جود فرى عندما انسحب من انطاكية اثناء حصارها فى اغسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرها (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طموح جود فرى الذى غادر الرها بعد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكسب بلدوين ود الأرمن ويقربهم منه ، ويضفى على حكمه صبغة شرعية فى نظر السكان المحلين (١٠٠) . فانه أسرع بعد وفاة

---

(٩٣) Zoé : Op. Cit., p. ...

(٩٤) Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234.

(٩٥) William : Op. Cit., p.p. 301 - 305.

(٩٦) William : Ibid., V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 248.

(٩٧) Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٩٨) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p.p. 440 - 441, William : Op. Cit. V. 1, p. 304.

(٩٩) Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 - 234, Zoé : Op. Cit. p. 142, 143.

(١٠٠) Grousset : L'Epopée, p. 58.

زوجته الاولى بالزواج من اميرة ارمينية اسمها اردا Arda (١٠١) .
وكانت ابنة احـد كبار النبلاء الارمن ، وأنها تنحـدر من نسل روبان على
قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهـذه الزيجة أن يكسب ود الأرمن داخل
الرهـا ؛ فنظروا اليه فى البداية على انه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا
مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (١٠٣) هذا الى انه
حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد
جزء من ديونه . ويقال ان هـذا الصداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت
يضـاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بأن يرث أرضـه بعد وفاته
وان يؤمنه ضد الأتراك وان يحميه من خشونة الأرمن فى قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهوين ويرجع
ذلك فى الواقـع الى تـدفق الصـليبيين الغربيين الى الرهـا باعـداد
هائلـة والذين لم يلبثوا أن سببوا مضـايقات للأهالى الأصليين رغم
ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فمنذ السنة الأولى لحكم بلدوين
فى الرهـا تكونت ارستقراطية فرنجية اتصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت
الارمن والسريـان باحتقـار وعنف واعتبرتهم اجناسـا اقـل منهـم فى
المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالى الرهـا من المسيحيين الغربيين ـــ
سـكان الرهـا الجـدد ـــ على بلدوين نفسـه فانه لم يحسن انتقـاء

---

(١٠١) Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 433, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(١٠٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 عن (Dulaurier)

(١٠٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٠٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 301. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman : Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.

(١٠٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٦) Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

العناصر الصليبية الغريبة الوافدة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصورى يسهبون فى وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا فى المدن المسيحية حيث استقبلوا فيها كاصدقاء ، اذ اساؤا معاملة النبلاء الأصليين ونزعوا منهم بالقوة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانات (١٠٧) . وفى ذلك المجال يذكر وليم الصورى ان بلدوين قلل من الاعتماد على مشورة نبلاء الرها الاصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مساعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعه ، وندم اهل الرها لأنهم مكنوه من السيادة عليهم وخافوا ان يسلبهم فى النهاية من كل ما يملكون (١٠٨) . يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « ان الاثنا عشر زعيما لدولة الرها — الذين يكونون مجلس شيوخها — تأملوا تدفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الاماكن على مدينتهم ؛ انهم دفعوا بلدوين معهم فى كل عمل ولكنه اهمل قراراتهم بصورة مفاجأة فاستشاطوا غضبا ضده وندموا كثيرا لانهم عينوا بلدوين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) .

وهكذا لم يلبث ان تآمر اهل الرها مع بعض امراء الأتراك المجاورين ، لقتل بلدوين على غرة ، او على الاقل طرده من مدينتهم — (١١٠) . ولكن المؤامرة كشفت وتغلب عليها بلدوين بوسائله العنيفة المعروفة عنه (١١١) ، فتبض على المتآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف فى الدولة البيزنطية بسمل اعينهم وقطع انوفهم وايديهم واقدامهم (١١٢) . اما الذين اشتبه فى امرهم فقد طردهم من المدينة، وصادر ممتلكاتهم ، فى حين عاقب من سمح لهم بالبقاء فى الرها ، بمصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على اموالهم (١١٣) .

وهكذا يبدو ان بلدوين استفاد من تلك الحركة باثراء خزانته واشباع

---

(١٠٧) Zoé : Ibid., p. 141.
(١٠٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.
(١٠٩) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., T. 4, p. 442.
(١١٠) Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306.
(١١١) Grousset : L'Empire, p. 297.
(١١٢) Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141.
(١١٣) Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306.

اتباعه من الصليبيين عن طريق المصادرات التى شملت كميات كبيرة من الذهب تقدر بحوالى عشرين الف قطعة (١١٤) . هذا الى جانب الأموال التى طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتى تراوحت بين عشرين او ثلاثين الف بيزانت وستين الف للفرد الواحد (١١٥) .

ويجدر بالذكر ان بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية التى واجهته بطرق مختلفة اشرنا الى بعضها ، منها صداق زوجته والمصادرات والفديات ، هذا الى جانب الأموال المكتنزة فى قلعة الرها والتى كان الكثير منها قد سك من ايام البيزنطيين والتى كان ثوروس قد اضاف اليها الكثير (١١٦) .

ومهما يكن من امر ، فان بلدوين بعد تغلبه على المؤامرة السابقة اصبح يشعر بأنه سيد هنليم يمتلك امارة واسعة الأطراف . استطاع ان يقبض على زمام امورها الداخلية ، مما جعله يحس بأنه يقف على أرض صلبه . وهذا كله حمله يوجه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان ان وجه بلدوين اولى ضرباته ضد الاتراك سميساط (١١٧) الذين بدأوا بمعاداته وهو فى طريقه الى الرها عند استدعاء ثوروس له ولو انهم لم يصيبوه هو وجماعته بأى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدا بلدوين رحلته الأولى الى الرها ، سمع الاتراك المقيمين فى مدينة سميساط المنيعة الخبر فاسرعوا الى اقامة كمين له فى الطريق الذى تصوروا انه سيسير عبره . لكن احد الأرمن استضافه وجماعته ، فاختفى فى ذلك المكان حوالى يومين ، حتى مرت الأزمة بسلام (١١٨) .

وما أن تم تبنى ثوروس لبلدوين – كما راينا – واصبح الأخير شريكا للأول فى حكم الرها ، حتى طلب منه ثوروس ان يحمى المدينة من اتراك

---

(١١٤) Alberti : Ibid., p. 442. William : Ibid., p. 306.

(١١٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١١٦) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208.

(١١٧) مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٥٨) .

(١١٨) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

سميساط وعلى راسهم الامير بلك بن الدانشمند (١١٩) . يوصفه أشد الاعداء قربا وعنادا وخطرا على الرها (١٢٠) .

كان بلك وفقا لما ذكره وليم الصورى والبرت محاربا شجاعا ، ماكرا شريرا ، سبب لأهالى الرها مضايقات عديدة عن طريق فرض الاتاوات على حقولهم وأرهاقهم بالخدمات ، والاحتفاظ بابنائهم ليكونوا بمثابة رهائن لديه (١٢١) لذلك توسل اهل الرها باميرهم بلدوين لكى يحميهم من طغيان بلك حاكم سميساط (١٢٢) . الأمر الذى جعل بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) على راس حملة ضد سميساط مصطحبا معه فرسانه الفرنج وجموع من اهل الرها انفسهم ، فضلا من المساعدات التى حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) . وبهذا الجيش الكبير سار بلدوين نحو سميساط حتى قارب اسوارها ونهب رجاله ضواحيها فى الوقت الذى كان الاتراك واثقين من قوة تحصينات المدينة ولذا قاوموا بشدة (١٢٤) . ومع ان كفة بلدوين وأتباعه كانت راجحة فى البداية ، الا ان انصرافهم الى الغنائم لاقتسامها بينهم (١٢٥) . اتاحت فرصة للعدو فهاجمهم ثلثمائة فارس تركى وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فولوا الادبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك الغزوة حوالى الفا أو الفين من الرجال (١٢٧) . من بينهم ستة من

---

(١١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 55, 61.

(١٢٠) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢١) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٢) William : Ibid., V. 1, p. 192.

(١٢٣) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher), Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٥) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 55.

(١٢٦) Mattieu : Op. Cit., pp. 36 - 37.

(١٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢

فرســان بلدوين الاشــداء ؛ لذلك ســاد الحزن العميق وانتشر العويل في كافة انحاء الامارة (١٢٨) .

ولمـا راى بلدوين انه يصعب التغلب على حامية سميساط عــاد الى الرهـا بعد أن ترك حامية في حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعي أمامي يحول دون تهـديد اتراك سميســاط للرهــا . ويبدو أن هــذا الاجراء خفف عن الرهـا فعلا ضغط الأتراك مما حقق لبلدوين قسطا من الشعبية والثقة داخل الرهـا ذاتها (١٢٩) .

وقــد سبق ان راينا كيف انه بعـد حملة سميساط الســابقة الذكر دبرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان ان اخـذ بلدوين بعـد انفرادمه بحكم الرهـا يعد من جـديد للاستيلاء على سميسـاط الأمر الذى افزع بلك ، وكان ان ارسل بعثة الى بلدوين يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصورى أن بلدوين وافق بعـد تفكير وروية على ذلك العرض ، اذ وجـد أنه من الصعب اخـذ سميسـاط بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . أما (البرت) فيقول ان بلدوين لم يسـتجب اولا لعرض بلك ، لانــه كان يعتقد ان الاخير اسـتولى على سميسـاط من المسيحيين دون وجــه حق . وما ان احس بلك بنوايا بلدوين وجفوته ، حتى عقــد العزم على احراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من اهل الرهـا ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلدوين على العرض المقــدم اليه من بلك (١٣٢) .

ولم يعجز بلدوين عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سـميسـاط اذ كان في الخزائن التى تركها ثوروس كثير من الأموال المكدســة (١٣٣) .

---

(١٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 354.

(١٢٩) Alberti : Ibid., p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 (Albert - Mattieu) عن .

(١٣٠) Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 355, Runciman : Op. Cit., V. 1. 1, p. 208 عن (Albert).

(١٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٣٢) Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355.

(١٣٣) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصورى) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفقة واستولى بلدوين على سميساط واصبح بلك منذ ذلك اليوم تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجـد فى قلعتهـا رهائن عـديدين كـان بلك قـد اخـذهم من الرهـا ، فردهم بلـدوين الى ذويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة فى الرهـا (١٣٦) .

ومـع ذلك فان بلدوين كان يتشكك فى اخـلاص بلك لـه وهو الأمر الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية فى حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته فهى ضم مدينـة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات اهمية تجاريـة كبيرة ، بسبب ضـاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قـدوم الصليبيين هو الأمير التركى نور الدولة بلك بن بهرام الارتقى (١٣٩) . وبلك هـذا هو الذى سماه كل من البرت ووليم الصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين فى الرها حتى بدا بلك الأرتقى يشعر بقلق زائد حيث كان تأسيس امارة الرهـا الصليبية يمثل كارثة حقيقية لأقاربه من

---

(١٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer : Op. Cit. p. 62. عن (Albert.)

(١٣٥) Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194.

(١٣٦) William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على مثل صلح الرهـا فى أيام الخليفة عمر (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٢١٦) وكانت تقـع الى الجنوب الغربى من الرهـا .
(Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

(١٣٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869.

(١٣٩) Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - Mattieu) Runciman : Op. Cit.. V. 1, p. 209. عن (Albert)

(١٤٠) Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194, 306.

بنى ارتق ، الذين كانوا منذ فقدوا فلسطين يعملون على جعل الرها مركزا لممتلكاتهم فى الشمال . لذلك حاول بلك فى بادىء الأمر الدخول فى علاقات ودية مع بلدوين (١٤١) . ويقال ان بلك حاول من وراء ذلك ان يستعين ببلدوين والفرنج لتحقيق مصالحه الخاصة وظن ان بلدوين لا يعدو احد المغامرين (١٤٢) .

وفى مكان آخر يذكر وليم ان الأمير (بالاس) كان يضايق باستمرار مدينة الرها، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليه الأهالى ان يجمع جيشا ويتحرك ضدها . ولكنه عندما توجه اليها وحاصرها وبدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الأمان فى مقابل تسليم المدينة (١٤٣) . وما ان سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم يفكر اطلاق فى تركها تحت حكم بلك (١٤٤) . لذا فرض ضريبة على اهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية ارمينية تحت قيادة احد الرجال الذين تولوا المفاوضات بينه وبين بلك (١٤٥) هو فولشر دى شارتر (١٤٦) وهو غير سميه قسيس حملة بلدوين الذى كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذى يعتبر احد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . واتما كان فولشر هذا رجلا له تجارب كثيرة فى الحرب (١٤٧) وكان « فارسا ذو شجاعة عظيمة وذو سلوك

---

(١٤١) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., p.306

(١٤٢) Grousset ; Hist. des Crois., V. 1, p. 62 عن (Albert) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٦ من البرت ايضا .

(١٤٣) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194-195.

(١٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63.

(١٤٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 195.

(١٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4, p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869 عن (L'Anonyme) المصدر الأخير يسميه Foucher de Chartres — اما متى الرهاوى فيسميه Putshir فى حين يسميه وليم الصورى Folkert - Fulcher اما البرت فمره يقول Folbertus Carnotensis واخرى Folkerum Carnotensis

(١٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 308.

حميد ؟ (١٤٨) ترك بلدوين فولشر فى قلعة سروج مـع مائه من أمهر الجنود المتمرسـين علـى القتـال (١٤٩) ، ومجهزين تجهيزا جيـدا للتحرك (١٥٠) . وكان لفتح سروج فى ذلك الوقت اهمية كبيرة بالنسبة الرهـا لأنه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين أنطاكية (١٥١) .

ويبدو ان بلك لم يحافظ على علاقاته الودية مـع بلدوين ، مما ادى الى فقـد الأخير ثقتـه فى الأتراك وادى بالتـالى الى تخلصـه من بلك الدانشمندى حـاكم سميساط السـابق ـ كما سنرى ـ والذى كان حتى ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت ووليم الصورى فى بيـان اسباب ذلك فيقولا انه عندما لاحظ (بالاس) ان عاطفة بلدوين تجاهه فترت دفعته مشـاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منـه ان يحضر شخصيا لتسلم القلعـة الوحيـدة التى بقيت فى يديـه وانـه سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته وأولاده رهينـة الى الرهـا وتظاهر بأنه فى خوف عظيم من الأهالى لأنه اصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣). ويذكر البرت « أن الغرض الحقيقى الـذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليـه لتسليم القلعة توجه بلدوين مـع مائتين من فرسـانه الى المكان حيث كان بلك قـد سبقه وقوى دفاعها بأن وضـع بها مائـة فارس مسلحين تسـليحا رائعـا . اختفت تلك القوة عنـد وصول بلدوين . عندئـذ طلب بلك من بلدوين الا يدخـل الا بقوة صغيرة فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتموا رائحـة الخيانة منعوه بالقوة من الدخول (١٥٦) . وتقرر أن يدخـل المكـان اثنا عشر فارسـا على ان يبقى بلدوين وبقية قوته عن قرب لمشـاهدة ما يحـدث . وما أن

---

(١٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(١٤٩) Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446.
(١٥٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 308.
(١٥١) William : Ibid., p. 195.
(١٥٢) Alberti : Op. Cit,, Liber III, T. 4, p. 355.
(١٥٣) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443 - 444, Williad : Op. Cit., V. 1, p.p. 306 - 307.
(١٥٤) Alberti : Ibid., p. 444.
(١٥٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 307.
(١٥٦) Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : Ibid., p. 307.

دخل فرسان بلدوين حتى وقعوا فى الكمين التركى المدبر لهم . عندئذ اقترب بلدوين من المكان وحاول أن يذكر بلك بلليمين الذى تعهد به وطلب منه اعادة فرسانه لكنه « رفض أن يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابة على طلبه هو الأخر واقسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرسانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصانة القلعة وانه من الصعب الاستيلاء عليها عاد الى الرها وهو فى شدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تضايق فولشر حاكم قلعة سروج — ايضا مما حدث وصمم على الانتقام من بلك ورجاله عن طريق الخديعة . فوضع كمينا بالقرب من القلعة ثم تقدم مع بعض حرسه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطعان ماشية هنا تتبعته حامية بلك ، فتظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انقض رجاله على الأتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الأخر واسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعد فترة تبادل فولشر هؤلاء الستة بستة من رجالهم المأسورين لدى (بالاس) ثم استطاع أربعة آخرون الهرب من قبضة الأتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١) . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا كره بلدوين الأتراك بشدة واسقط تحالفاته معهم (١٦٢) .

ولما كان اهالى سروج واثقين من ان بلدوين سيعود اليهم من جديد للانتقام من (بالاس) (١٦٣) . لذا ارسلوا الى بلك الدانشمندى الموجود فى الرها والى بعض القوى التركية القريبة يطلبون منهم

---

(١٥٧) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., V. 1, p. 307.

(١٥٨) Alberti : Ibid., p. 445.

(١٥٩) Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307

(١٦٠) Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308.

(١٦١) Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. هنا يضيف البرت ان الاثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ، Piscello اجمل وانبل جند — Wizan .

(١٦٢) Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308.

(١٦٣) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356.

الحضور لاستلام المدينـــة . وهنـــا يبدو ان بلك طمـــع فى الاستيلاء على سروج ، عسى أن يكون فى ذلك تعويضـــا عما لحقه من خســـارة بضياع سميساط من يده ، ولذلك اخذ يستعد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤).

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الآخر بقوة كبيرة للتوجـــه الى سروج وما أن علم أهالى سروج بذلك حتى انتابهم الـذعر وارسـلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينـــة فى ســـلام مع تعهدهم بدفـــع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تملك بلك الخوف الشـــديد فقصد بلدوين ليعلن له أنه انما كان يقصد سروج ليخضـعها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير ان يسلمه زوجته واطفاله رهائن . ولـــا ماطل بلك فى ذلك قبض عليـه بلدوين وقطـع رأســـه (١٦٧) سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سميساط وسروج الى الرهـــا وبذلك « استطاع بلدوين ان يجعل من الرهـــا ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سميساط وسروج » (١٦٩) .

وفى سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهى مركز استراتجى هـــام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

---

(١٦٤) Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 62.

(١٦٥) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63. عن (Alberti)

(١٦٦) Alberti : Ibid., p. 356, Runciman ; Op. Cit., V. 1, p. 210, Grousset · Hist. des Crois. V. 1, p. 63,

(رنسيمان وجروسيه عن ألبرت)

ويفسر جروسيه ذلك بقوله « اسرع بلك الى الرهـــا ورمى بنفسه على اقدام بلدوين متوسلا اليه بانه لم يات الى سروج الا لكى يحث الأهالى على تسليم المكان » .

(١٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

(١٦٨) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445.

(١٦٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

الى عينتاب (١٧٠) . وبعد ان استولى بلدوين على المدينـة تركهـا فى يد أحـد الرؤسـاء الأرمن المحليين واسمه ابو الغريب (١٧١) .

وهكذا نمت امارة الرهـا نموا واسعا على عهـد بلدوين البولونى حتى اشتملت على « كل الاقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) .

وبعد ان اكمل بلدوين البولونى تحقيق امنيته (الخاصة) واقـام امارة لاتينية لا يشـاركه أحـد فى حكمها .. وبعد أن ضمن لامـارته قـدرا من الاستقرار الداخلي والخارجى . بدأ يفكر فى زيارة بيت المقـدس هو والأمير بوهيمّوند أمير انطاكية (١٧٣) حيث انهما حتى ذلك الوقت « لم يريا تلك المدينـة التى خرجـا من الغرب من اجلها(١٧٤) » وهنـا يحرص فولشر المؤرخ اللاتينى المعـاصر — وقسيس حملة بلدوين الخـاص — على الدفـاع عن بلدوين وتبرير عـدم مصاحبته للجيش الصليبى الكبير فى زحفـه على بيت المقدس ، فيقول ان بلدوين كان مشـغولا فى ذلك الدور بتأمين الجنـاح الشرقى للصـليبيين ضـد الأتراك على جبـهة الفرات . ويشارك فولشر فى هذا الراى المؤرخ وليم الصورى(١٧٥) . ومهما يكن من أمر فقـد قـام بلدوين وبوهيموند أمير انطاكية بتلك الرحلة وصادفا فيها كثيرا من المتاعب والأخطار التى يفصـلها فولشر(١٧٦) . وسنتعرض لتلك الزيـارة بالتفصيل فى باب العلاقات الخارجية مع مملكة بيت المقـدس .

---

(١٧٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, (Ray Colonies Franques), L'Empire, p. 204, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٦ . عن (Grousset)

(١٧١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64.

(١٧٢) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

(١٧٣) Gesta Tancredi in Expedione ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 704.

(١٧٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261.

(١٧٥) Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بـدأت تلك الرحـلة — كما ذكر فولشر ص ٣٦٥ فى نوفمبر سنة ١٠٩٩م Fulcherii : Ibid., p. 364 - 366 وانتهت فى مارس ١١٠٠م كما حددتها الجستا Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكفى أن نشير الآن الى أن بلدوين وبوهيموند استقبلا فى بيت المقدس من جودفرى ورجال الدين والأهالى استقبالا طيبا وزاروا الأماكن المقدسة وراوا باعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه فى الماضى عن طريق الأخبار والتعليم فقط(١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين الى الرها خضعت له ملطية . والمعروف ان ملطية كانت احدى المدن الرئيسية للارمن فى ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الأطراف الشمالية للامارة ، وكانت تحت حكم الامير جبريل » (١٧٩) والراجح أن ملطية سلمت تحت ضغط الظروف الى بلدوين ، ذلك ان جبريل قصد بوهيموند فى انطاكية فى شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعلن خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله احاطت به كمائن التركمان من بنى دانشمند واسروه(١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية أن بوهيموند أرسل الى بلدوين طالبا نجدته ولكى يتاكد بلدوين من أن الأمر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على ان يرسل خصلة من شعره الذهبى الى بلدوين مع الرسول الأرمنى(١٨١) .

وهنا اظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا اسيرهم بوهيموند وفروا بسرعة(١٨٢)

---

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١٧٨) William Ibid. V. 1, p. 421.

(١٧٩) R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia).
وتسمى ملطية هنا

(١٨٠) Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519, Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, pp. 551 - 552, Balduni III ; Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.) T. 5, Part 1, p. 177.
اما جروسيه فينقل لنا راى المؤلف السورى المجهول عن سبب توجه بوهيموند الى ملطية فيقول « أن بوهيموند كان متوجها الى ملطية ليتزوج مورفيا ابنة جبريل التى قدم والدها يدها اليه لكنه اسر »
عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٨١) Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

(١٨٢) Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanac ... Hist. Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعـــة نكسار(١٨٣) قرب البحر الاســـود(١٨٤) .

وعندما يئس بلدوين من اطلاق سراح بوهيموند ، عاد الى ملطية(١٨٥) ليستولى عليها بالاتفـاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكدته المصــــادر اللاتينيـــة(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيموند ببلدوين وهو الراى الارجح او أن بلدوين هو الذى توجه بنفسه لنجدته ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة ام اخضعت له تلقائيـــا فقـــد ظل جبريل حاكما عليها وتابعا لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرهـــا بعد ذلك ، حتى وافاه الحظ مرة اخرى ليصبح الرجـــل الأول بين أمراء الصليبيين فى بلاد الشـــام . وذلك انه حـــدث فى شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (٤٩٤هـ) بعد عودة بلدوين الى الرها ان وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، اعلن له موت جودفرى فى الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطالبه بالحضور فورا ليحل محل اخيه فى حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح أن انتخاب بلدوين خلفا لأخيـــه الشقيق أثار خلافا عظيما واشعل نـــار الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسالة لم تكن من السهولة بمكان ما ذكره وليم الصـــورى من أن عرش بيت المقـــدس ظل خاليـــا

---

(١٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

(١٨٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٢٨٢

(١٨٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. Occid., T. 3, p. 519.

(١٨٦) Fulcherii Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525, Secundi Pars : Historiae... Hist. Occid., T. 3, p. 552. Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap.. LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(١٨٧) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae... Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85 - 86, Zoé : Op. Cit., p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

(١٨٨) Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706.

حوالى ثلاثة اشـــهر حتى استدعى بلدوين ليـــخلف اخـــاه فى العنـــاية بشئون المملكة(١٨٩) .

والواقع ان دايمبرت ، بطريرك القـــدس كان يطمع حتى فى حيـــاة جودفرى فى اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصـــل الضيق بجودفرى فى احـــدى المـــرات الى القـــول بان دايمبرت « كان اكثر ازعـــاجا له من المسلمين » ، بل لقـــد وعـــد بالتخلى عن حكم بيت المقـــدس للبطريرك اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها فى الأهمية مثل القاهرة أو دمشق(١٩٠). بل وقيـــل ان جودفرى اوصى قبل وفاته بان يخلفـــه البطرق دايمبرت فى حكم بيت المقـــدس ، وذلك فى حـــالة عـــدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى نفسه(١٩١) . ومن الواضح ان تنفيذ هـــذه الوصية كان يعنى تحـــويل حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على أن قيـــام حكومة ثيوقراطية فى بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظاما ملكيـــا وراثيـــا ، كان امر صعب التحقيق . ذلك أن المدة القصيرة التى تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقـــدس كانت كافيـــة لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية فى بيت المقدس . هذا فضلا عن ان ارنولف مالكورن ــ البطريرق السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايمبرت ــ كان له انصـــاره من رجـــال الدين وهؤلاء شـــايعوا فكرة قيـــام ملكية علمانية وراثية فى بيت المقدس ، لا لشىء سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف فى وجه اطماعـــه وآمـــاله(١٩٢) .

ولم يلبث ان تكون حزب معارض للبطريرك دايمبرت « وامتلكوا برج داود واعلنوا انـــهم لا يعترفون بسيد عليـــهم الا اخ او قريب لســـيدهم الراحـــل »(١٩٣) . وكان من الطبيعى أن يتجه رفاق جودفرى واتبـــاعه تلقائيـــا الى بلدوين فقـــد بدا لهؤلاء الذين خدموا تحت زعـــامة جودفرى انه ليس من الامانة والشرف أن يعترفوا بسيد آخر(١٩٤) .

(١٨٩) William : Op. Cit. V. 1, p. 415.

(١٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 179.

(١٩١) سعيد عاشـــور : الحركة الصـــليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن وليم الصـــورى .

(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن (Albert)

(١٩٣) Zoé : Op. Cit., p. 180.

(١٩٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526. William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180. وسوف نذكر فى الملاحق نص الرسالة اشفوية التى حملها اتباع جودفرى لأخيه بلدوين .

وعندما احس دايمبرت بالمعارضــــة الشـــديدة ضده فكر فى ان يجعل الحكم لتنكريد ابن اخت بوهيموند ولكن هــذا الراى صـــادف معـــارضة شديدة من ارنولف(١٩٥) وعندئذ لم يجد دايمبرت وسيلة سوى أن يرسل الى بوهيموند فى انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس(١٩٦). لكن خطاب دايمبرت الى بوهيموند لم يصـــل اليـــه فقد احتجزه أتبـــاع ريموند الصنجيل قرب طرابلس ، وفى نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا فى قبضة بنى داشنمند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق أن اشرنـــا(١٩٧) .

وهكذا تبدد آخر امل امـــام دايمبرت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين فى ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى ديار بكر وما بين النهرين(١٩٨) . والواقع انه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من اجـــل امـــارته فقط حتى انه هجر القضية الصليبية من اجلها ،لكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقـــدس فـــانه لم يتردد أبدا فى ترك الامـــارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا(١٩٩) .

وكان ان رتب بلدوين أمور الرها ، وأثقل كاهل اهلها بكافـــة انواع الضرائب كما اغتصب منـــهم امـــوالا كثيرة ليســـتعين بهـــا فى نفقـــات سفره (٢٠٠).ثم اتخذ اهبته واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة فى رعاية احد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها فى ٢ اكتوبر سنة ١١٠٠م(٢٠٣) مصطحبا معه

---

(١٩٥) Charles — Joseph Hefele : Histoire de Conciles. T.V, Part 1, p. 484. (Albert) من

(١٩٦) Zoé : Op. Cit., p. 181.

(١٩٧) Zoé : Ibid., p.p. 182 - 183.

(١٩٨) Grousset : L'Epopée, p. 59.

(١٩٩) Grousset : Ibid., p. 59.

(٢٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 52. Setton : Op. Cit. V. 1, p. 381.

(٢٠١) Mattieu ; Ibid., p. 52, William : Op. Cit. V. 1, p. 422, Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII ... Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(٢٠٢) Gesta Francorum ; Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 543, William : Ibid.. V. 1, p. 422.

(٢٠٣) William : Ibid. p. 421, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher). Grousset : L'Epopée, p. 60.

مائتين من الفرسان وسبعمائة من المشاه(٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الأميرة الأرمنية(٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوفا بالمخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتى فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت المقدس . « لكنه كان يتصف دائما بالحذر فاستطاع ان يعبر البلاد دون أن يؤسر أو يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكية ثم اللاذقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، فخر الملك بن عمار (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وابلغه عن كمين وضعه المسلمون فى طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع ان يتحاشى تلك العقبة(٢٠٨).

اخيرا وصل بلدوين الى القدس فى ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م(٢٠٩)، بعد عدة مصاعب فى الطريق واشتباكات مع القوات الاسلامية(٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالى مدى الصعاب التى تجشمها « وكان أن خرج رجال الدين والناس بالقدس لاستقباله ومعهم الاناجيل وهم ينشدون التراتيل والاناشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه فى حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايمبرت عندئذ ؟ والواقع ان (اولدنبرج) يشير الى أن الحماسة الجارفة التى قوبل بها بلدوين جعلت دايمبرت يلوذ

---

(٢٠٤) Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher)

فى حين يذكر وليم الصورى أن المشاه كانوا ثمانمائة
(William : Op. Cit., V. I, p. 421)

اما البرت فيذكر أن عدد الفرسان كان أربعمائة وعدد المشاه كان الفا .
(Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

(٢٠٥) Zoé : Op. Cit., p. 183.
Zoé : Ibid., p. 183.

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩

(٢٠٨) Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520,
Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٢٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٢١٠) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ — ١٣٩
William : Op. Cit., V. 1, p. 422. Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٤٠
William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة فى جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد وليم الصورى ذلك بقوله « أن دايمبرت الذى توقع شرا من مجىء بلدوين انسحب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كافـــة الخلافات ، وبذلك لم يحضر احتفالات استقبال الأمير بلدوين ليشـــارك فى تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الأهالى(٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارســـل الى البـــابا متهما البطريرك دايمبرت بالقتل وبانه حنث فى يمينـــه ، لأنه حرض الأمير بوهيموند على قتله عندما كان فى طريقه من الرهـــا الى القـــدس ، لذا ارسل البـــابا مندوبا عنه هـــو الكردينال موريس دى بورتو فاوقف البطريرك حتى يبت فى أمره(٢١٤) .

على انه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريرك وبلدوين(٢١٥) وكان ذلك عن طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء . مما ادى الى تتويج بلدوين ملكا على بيت المقـــدس فى كنيســـة العـــذراء ببيت لحم فى ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م(٢١٦) وبيد دايمبرت نفسه(٢١٧) .

---

(٢١٢) Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185.

(٢١٣) William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426.

(٢١٤) Aeblrti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 484

(٢١٥) Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484.

(٢١٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Bréhier : l'Eglise..., p. 86, عن (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1, p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 326 عن (Fuacher) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٧ عن (Stevenson)

(٢١٧) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, Part 1, p: 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.

ويبدو أن العلاقات الطيبـــة لم تستمر طويلا بين دايمبرت وبلدوين فقـــد ذكر البرت انه فى سنة ١١٠٢م أرسل (البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ — ١١١٨م) مندوبا عنه مرة أخرى الى بيت المقدس هو الأسقف موريس ، للبت فى أمرد أيمبرت ولتصحيح الأمور الخاصـــة بالكنيســـة الشرقية . ويظهر من كلام البرت ان الخلاف بين بلدوين والبطريرك فى هـــذه المرة كان بسبب ما يخفيـــه البطريرك من نقـــود تحت الأرض . وانتهى الأمر بتنحيه دايمبرت من جـــديد عن منصبه

(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك فى ان تتويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا فى تاريخ الصليبيين بالشام لان اخاه جود فرى لم يتوج ولم يحصل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولانه فى ذلك المكان « لبس عيسى المسيح تاجا من الاشواك » ولكن قدر لبلدوين دى بوايون ان يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب فى بيت المقدس (٢٢٠) .

امارة بلدوين دى بورج على الرها : ١١٠٠ - ١١١٨م (٢٢١) (٤٩٤ - ٥١٢هـ) .

اما عن امارة الرها بعد ان وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بوايون .

والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عند حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان «رجلا جديرا بالتقدير فى كل علاقاته» فعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشاط عظيم ، جعلت الاعداء المحيطين به ينظرون اليه نظرة احترام ورهبة (٢٢٢) » . فاذا اردنا ان نقارن بين الاميرين الاولين للرها نجد ان دماثة خلق الثانى بالمقارنة بشراسة الاول مكنت بلدوين دى بورج من ان يستحوذ على مشاعر الارمن الودية (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان امير الرها السابق مكروها من الارمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طاغية فظا جشعا ، اما بلدوين دى بورج فقد استحوذ على مشاعر الاهالى الصادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الذى يقول : « كان هذا الامير احد الفرنج المشهورين بمكانتهم العالية ، كما كان محاربا قديرا ، عفيف النفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئة ، يفيض رقة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شاب هذه الصفات الطيبة جشعة ، فهو ماهر فى الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

---

(٢١٨) Bréhier : L'Eglise... p. 86 عن (Hagenmeyer).

(٢١٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist: Occid. T. 4, p. 526.

(٢٢٠) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Fracos, (R.H.C.) Hist., Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.

(٢٢١) G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3.

(٢٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٣) Grosset : L'Empire, p. 298.

(٢٢٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

نتيجة شراهته فى المــال فضــلا من بخله وامساكه . أما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جــدا محافظا فى سلوكه وطباعه » (٢٢٥) .

وكانت اولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذى كانت غالبيته من الارمن ، هو الزواج من الأميرة الارمينية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتى سبق أن ذكرنا ان والدها كان قــد توجــه لطلب النجــدة من بلدوين ضــد الأتراك الذين أسروا بوهيموند وهو فى طريقــه لنجدته وللزواج من ابنته هــذه .

وكانت هــذه فرصــة امام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن ان يتزوج من ابنة جبريل ، حيث انه لم يكن له زوجــة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين صــداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح أن جبريل كان يمتلك ثروة خرافيــة لأن ابنتــه حملت هديــة زواج بلغت ٥٠٫٠٠٠ بيزانت ذهبيــا ، بل أنه ســاعد بلدوين فى عــدة مناسبات بعــد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد أفادت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقــة فعالة . ومن ناحيــة اخرى ، فانــه على الرغم من انه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعــة الا انــه كان الزواج الوحيــد الذى شــارك فى شعائره الأمراء الاقطــاعيون وقوبل بسرور كبير ، فضــلا عن ان بلدوين يعتبر مثاليــا بين الأزواج (٢٣٠) . بل ان بلدوين فى زواجــه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركيــة الأرمينية ، باسيل الأول الــذى قــدم سنة ١١٠٣م (٤٩٧هـ). من آنى (٢٣١) الى الرها ، فاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

---

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٦) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cohen : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٨) William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٢٩) William : Ibid., p. 450.

(٢٣٠) Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٣١) كانت آنى فى نظر الشــاعر الأرمنى نيرسيس شــنورهالى الــذى رثى الرهــا بعد سقوطها هى (عاصمة المشرق)

Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,

أما الناشر دولوبيه فيقول : (البيت رقم ٢٧٦) Op. Cit., p. 236 =

وقــدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا » (٢٣٢).

والواقــع أن قدوم هــذا الخبر من آني ذات الاهمية الدينية الكبير لدى الأرمن يشهد باهمية تلك الزيجة . هــذا فضلا عن اهمية مركز كل من جبريل وبلدوين دى بورج فى نظر الأرمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هى احــدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التى اكدت الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلــدوين ان يثبت اولى دعائم حكمــة فى الرهــا .

أمــا عن مــدى انتفــاع جبريل من تلك الزيجــة فان بلدوين استطاع ان يحميــه من العــديد من هجمات بنى دانشمند ، وان لم يستطــع أن يمنــع سقوط ملطية فى ايديهم سنة ١١٠٣م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التاليــة لتدعيم حكم بلدوين دى بورج الداخلى فى الرهــا وهى انه اختــار مســاعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) او بعدها بقليل (٢٣٥) . ولــما كان جوسلين « لا يملك مــالا ولا اى مصــدر آخر من مصــادر الثروة فقــد اغــدق عليه بلدوين ١١٠٢م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة العيش . وشــملت تلك الهبــة قورس (٢٣٦) . ودلــوك (٢٣٧) .

---

* « كانت آنى من أشــهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهى تقع فى منطقة كماخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة فخمة وقد تعرضت للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥م والأتراك ١٠٦٤م والجيورجيون ١١٢٤م والمغول ١٢٣٩ . وفى ١٣١٩ قضى عليها نهائيا زلزال مــدمر حولهــا الى خرائب واطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70 - 71, Grousset : L'Empire, p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

(٢٣٣) Grousset : L'Empire, p. 185.

(٢٣٤) Grousset : Ibid., p. 298.

(٢٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصورى Gouris, Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126.
وقورس كما ذكرهــا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤١٢ هى «مدينة ازليةبـها آثار قديمة وكورة من نوحاحى حلب».

(٢٣٧) بليدة من نواحى حلب ، بالعواصم (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٨ ص ٤٦١) وهى قديمــة لها ذكر ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة قيل ان مقــام داود عليــه الســلام كان بها (ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧).

وعين تـاب (٢٣٨) . وقلعـة تل باشر المتراميـة الأطراف (٢٣٩) . والشديدة للخصوبة ورلوندان ومدنـا اخرى واحتفظ الأمير لنفسه بالاقليم الواقـع غربى الفرات لقريـة من ممتلكات العـدو واستبقى فقط احدى المـدن فى الجزيرة وهى سميساط » (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الأجزاء لجوسـلين لكى يستطيع أن يتفرغ كليـة لممتلكاته شرقى الفرات والى الجنوب من امارة كوغ باسيل . ومن تل باشر استطاع جوسلين منـذ نهاية ١١٠٣م أن يقطـع طرق الاتصـال بين حلب والفرات ، بينمـا غزا بلدوين دى بورج الامتدادات الشرقيـة لنفس تلك الطرق حتى حـدود قلعـة جعبر والرقة ، وتتابعت غزواتـه حتى اقليم ماردين (٢٤١) .

هكذا اصبح جوسـلين دى كورتناى الرجل الثانى فى امارة الرهـا بعـد بلدوين دى بورج وشـاركه فى السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقـع أن جوسلين هـذا كان من أقوى الشخصيات الصليبية على الاطلاق لـذا كان سندا قويا لبلدوين دى بورج ولحكمه فى الرهـا .

ولم تلبث الأحـداث ان شدت بلدوين دى بورج الى سروج ، اذ حدث فى يناير ١١٠١م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . أن توجـه سقمان بن أرتق ـ عم بلك حاكم سروج السـابق الى سروج لها جمتها وكان بصحبة جمـع كبير من التركمان (٢٤٤) . وقـام بالعـديد من الغارات على كل الاقاليم المجاورة (٢٤٥) . فتوجـه بلدوين دى بورج لمحاربته مع فوشيه حاكم

---

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقطـاع تل باشر يمتد من الفرات الى حـدود انطاكيـة (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(٢٤٠) (R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٢٤١) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٤٢) سعيد عاشـور : الحركـة الصليبيـة حـ ١ ص ٤٣٩ (عن (Setton

(٢٤٣) Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 63.
العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٣ ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلانسى: الذيل ص ١٣٨، ابن الأثير : الكامل حـ ٨ ص ٢٠٤

(٢٤٥) Mattieu. : Op. Cit., p. 52.

سروج (٢٤٦) . وبمؤازرة العديد من السكان الذين ضغط عليهم فوشيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصومهم واهمالهم ادى الى هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع فى كمين الا انه افلت منه وهرب مسرعا الى الرها ومنها اسرع الى انطاكية لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والاتراك هزم فيها الفرنج(٢٥٠).واستطاع الأراتقة الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة التى التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتينى Benoit أو Babios الذى قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . أما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير من الأهالى فى حين وقع عدد كبير فى الاسر (٢٥٢) . لكن بلدوين ارسل الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالى خمسة وعشرين يوما وصل بلدوين ومعه ستمائة فارس وسبعمائة من المشاه (٢٥٤) ، وفجأة فى الفجر اشعلوا بعض المشاعل على اسنة الرماح وباغتوا المعسكر التركى ومن ناحية اخرى ساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين فهزم الأتراك وفروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيرا من اهالى سروج وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما (٢٥٦) » . وكان ذلك فى أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع الفرنجى

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869 عن (L'Anonyme Syriaque).

(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (L'Anonyme)

(٢٥٠) ابن دقماق : نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١ تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53,

(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270 عن (L'Anonyme)

(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;

(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.

(٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث ٣٠١ — ٥٠٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ، ص ١٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ٥٤٠ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٨٩ .

(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (Mattieu)

يرجع هزيمة المسلمين الى قوة وبراعة بلدوين فان المصدر العربى يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمان فخمفت نفس سكمان وانهزم (٢٥٨) » . وبذلك استولى الفرنج على سروج بالسيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) .

وكان ان شجع هذا الانتصار بلدوين على القيام باغارات على المدن والاقاليم الاسلامية المجاورة التابعة للأراتقة ومن ذلك ما قام به فى سبتمبر واكتوبر سنة ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) من هجمات على الأراتقة حول ماردين فأسر منهم كثيرين وحمل قدرا كبيرا من الغنائم (٢٦٠) . ومن النواحى التى استولى عليها « تل موزن (٢٦١) . وتل قراد (٢٦٢) . فى شمال شرق شبختان بالقرب جدا من ماردين (٢٦٣) » .

وهكذا استطاع بلدوين دى بورج ان يقضى على الخطر الارتقى فى سروج عن طريق الامدادات التى زودته بها انطاكية . ولا شك أن هذه الخطوة شجعته على أن يخطو خطوة اكبر ضد حران الواقعة الى الجنوب الشرقى من الرها ، والتى كانت المدينة الكبرى الوحيدة القريبة من الرها ، التى لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكتمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمساعدة بلدوين دى بورج فى تدبير فدية

---

(٢٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ .

(٢٥٩) الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية، حـ ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٥٤م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على أن ضم سروج لامارة الرها كان فى ٤٩٤هـ ـ يناير ١١٠١م فان ابن ايبك يذكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ الظفرى ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٤٩٥هـ فيذكر أنه كان ٤٩٥هـ . والراجح ان ذلك راجع الى الخطأ فى ضبط التواريخ او الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى)
Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قديم بين رأس عين وسروج . فتحه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور فى بلاد الأرمن من نواحى شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(٢٦٣)
Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

(٢٦٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871.

بوهيموند امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . أثره فى تعـاون أميرى انطاكية والرهـا فى هـذا العمل .

اوضـاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعة حران (١١٠٤م – ٤٩٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشىء من التفصيل يجـدر بنـا ان نعطى صورة واضحة عن الوضـع فى الحقل الاسـلامى المحيط بها بل والوضـع الداخلى فيها والذى شجع الفرنج على التوجه اليهـا .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجـة الحرب الأهلية بين السـلطان السلجوقى باركياروق وأخيه محمد . والتى امتـدت منـذ ٤٩٢هـ حتى ٤٩٧هـ (١٠٩٨م – ينـاير ١١٠٤م) . ففى سـنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب للسـلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ ١٠٩٩م دخل السـلطان بركياروق بغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه محمد فبعث الى الخليفة العباسى بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف أن دب من جـديد فى نفس السنة بين الأخوين فانهزم بركياروق واعيدت الخطبة لأخيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الأخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الأخوان من جديد فانهزم السـلطان محمد ولكن عندما دخـل بركياروق بغداد اسـاء السيرة فى أهلهـا ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه أخوه محمد ، فشـكا اليه الخليفـة العباسى من سوء سيرة أخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا ان رحـل الى واسـط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقاتل السـلطان بركياروق والسـلطان محمد وجرت بينهمـا حروب كثيرة انهزم فيهـا

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212. (٢٦٥)

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعـة سـابع عشر ذى الحجة (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٥٨ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابـع عشر رجب (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجـددت الحروب من جـديد بين الأخوين ٤٩٦هـ — ١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السـلاطين أن تذكروا انـه يجب عليهم ان يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم بعـد أن طمع العدو فى الأطراف لذلك بداوا التشـاور لعقـد الصـلح فارسل السلطان بركياروق رسولين الى أخيه لتقرير قواعـد الصلح « ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عـدو الاسـلام فى أطراف الأرض » . فأجابـه الى الصلح واستقر الأمر بينهما فى ربيع الثانى ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢). لـذا لم يكن لـدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضـد العـدو المشترك (٢٧٣) .

وفى الجزيرة نفسها اثار موت اتابك الموصل كربوغا حربا أهليـة ، فقـد فشل سقمان الأرتقى امير ماردين فى الاحتفاظ بالحكم المرشـح له مما اوقعه فى حالة حرب مع الاتابك الجـديد جكرمش الذى اختير بواسطة محمد السلجوقى (٢٧٤) .

أما حران فقـد كانت لمملوك من مماليك ملكشـاه اسمه قراجـه ، فاناب عنه فى حكمها محمد الأصفهانى وهو الذى تخلص من قراجه بواسطة الأهالى الذين ظلمهم قراجـه . ثم تخلص الأصفهانى من اصحاب قراجـه فيما عـدا غلام واحـد يسمى جاولى ، الـذى اتفق مـع احـد خـدم الاصفهانى فقتله وهو سـكران (٢٧٥) .

والواقـع أن حران الى جانب ذلك الاضطراب السياسى فى حكمها ، كانت تعانى من اضطراب اقتصـادى ايضـا بسبب سياسـة بلدوان

---

(٢٧٠) ابن كثيـر : البدايـة والنهايـة ، جـ ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الاثير : الكامل . جـ ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثيـر : جـ ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الأثيـر : جـ ٨ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ ، أبو المحاسن : جـ ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البدايـة والنهايـة جـ ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبرى : تاريـخ مختصر الـدول ، ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40 - 41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ، ٣ ص ٥٦٨ (عن تاريخ بيبرس) .

دى بورج نفســـه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاولة الزراعــة فى أراضيهم ، لاعتقاده انــه يستطيع أن يؤمن جزءا وفيرا من المؤن لمواطنيه من الاقليم الواقــع خلف الفرات ومن الاقليم الواقــع ايضا فى المنطقــة الوسطى بين الرهــا وذلك النهر ، ولذا وصل اهالى حران ــ الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليهــا من تلك الأرض المشتركة الى حالــة شــديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهز الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصـــادى الذى كانت تعانيه حران ، وارادوا أن يستفيدوا من موقــع تلك المدينــة بوصفها مركزا اماميا فى اتجاه بغــداد يمكنهم من مواجهــة اية طعنة اسلامية (٢٧٧) .

وكان أن اجتمع من زعماء الصليبيين بلدوين دى بورج وبوهيموند امير انطاكية ومعــه ابن اخته تنكريد (٢٧٨) ، هــذا الى جانب جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر وتضـــافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بــذلك جيشــا كبير العــدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مــع تلك الجيوش ثلاثــة من كبار رجال الدين هم برنارد دى فالنس Bernard de Valence — بطريرك انطاكية اللاتينى ، بندكت رئيس اســاقفة الــرها اللاتين هذا بالاضــافة الى دايمبرت بطريرك القدس الســابق الــذكر والذى كــان وقتذاك يعيش فى انطاكيــة منفيا لاجئا ــ والــذى تبــع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطــة الصليبيين تقضى بعبور الفرات وحصـــار مدينــة حران (٢٨١) .

---

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميهما سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ بيمند وطنكره) اما ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ، ص ٣٣ فيسميهما (سمند صــاحب انطاكية ونيكرى صــاحب السواحل ، اما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ فيقول (بيمنــد صــاحب انطاكية وتنكرى صــاحب الســواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX, T. 4, p.p. 614 - 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 403 - 404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V.1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403

Runciman : Op. Cit., V: 2, p. 42. عن (Alberti)

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William : Ibid. V. 1, p. 456

وفى ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصــة. فاتفق الأمير معين الدولــة سقمان بن أرتق القبطى أمير ماردين وحصن كيفا (٢٨٢) . مـــع شمس الدولة جكرمش امير الموصـــل وصـــاحب جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وانهوا خلافاتهما وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا الى الرهـــا فى ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مـــع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمـــان ومـــع جكـــرمش ثلاثـــة آلاف من الترك والعرب والأكراد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥).

وفى ذلك الوقت كانت حران كما اشرنا تعانى من محنة شــديدة بسبب قلة الاقوات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهـــاوى مثالا واقعيا فى تاريخه (٢٨٧) ولـــما عرف الأهالى ان المسيحيين وصلوا الى مدينتهم ارسلوا الى أمراء الشرق يطلبون منهم مســاعدة عاجلة ، فلمــا تأخرت عليهم هـــذه المســـاعدة ووجـــدوا انفسهم أمام الصليبيين وجها لوجـــه قرروا تسليم مدينتهم بدلا من تعريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على ان بلدوين دى بورج لم يشـــأ ان يشـغل قوات الصليبيين باقتســـام الغنيمة قبل أن يطمئن الى القضـــاء على خطر الجيوش الاســـلامية التى اقتربت

---

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ تحقيق بدوى عبد اللطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٥ ص ٣٣ بل ان ابن الأثير : الباهر ص ١٦ يذكر أنه « كان صـــاحب حصن كيفا وآمـــد من ٤٩٥ ـــ ٤٩٨هـ وقـــد توفى ٤٩٨هـ » . ويذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ص ٦٢٥ ان حصن كيفا ويقال كيبا وهى بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمـــد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٢٨٣) أبو المحـــاسن : النجوم الزاهـــرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٢٨٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٢٨٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبى العبر ، حـ ٣ ص ٣٢٥ ـــ ٣٢٦ فيذكر أن سقمان التقى بالفرنـــج فى حران ومعـــه عشرة آلاف وربما جمـــع بذلك قواتـــه وقوات جكرمش .

(٢٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p: 457.

(٢٨٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٨) Michel Le Syrien : Op.: Op. Cit., Cit., p. 195, William V. 1, p.p. 457 - 458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

منه لانقاذ حران (٢٨٩) . وكان ان دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حـــول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقـــاش حول ايهما يرفع علمـــه اولا على المدينـــة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالى . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالى وصـــل جيش كبير من الاتراك حتى أن المســـيحيين بداوا يشـــكون حتى فى امكانيـــة النجـــاة بأرواحهم (٢٩٢) » .

وفى المعركـــة التى دارت بين الفريقين كان جيش الرهـــا على اليســـار ليشـغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش انطاكية خلف تل منخفض على بعـــد ميل من جهـــة اليمين ، مستعدا للتدخل فى آخر وقت (٢٩٣) .

أما المسلمون فقـــد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين احـــدهما يشغل المسيحيين دون اى اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر أو الهزيمة وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بامدادهم بالطعام (٢٩٤). وفى الحـــال وبعـــد طلوع النهـــار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركـــة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم فى الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبى .

ويقـــال ان المسلمين خـــدعوا خصومهم ، فتظاهروا بالفرار ، وامعن الصليبيون فى مطـــاردتهم حتى وقعوا فى كمين (٢٩٦) . وهكـــذا حلت هزيمة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهـــاوى يقول ان جثث الأرمن

---

(٢٨٩) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michel)

(٢٩٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٢٩١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٢٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset : Hist des Crois., V. 1, p. 405.

(٢٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١
Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p.43.

ودمـــاءهم غطت ســطح الأرض فى حيــن امتــلأت ايــدى التركمــان بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك راى فى المصـــادر العربية يقول أن جيش بوهيموند وتنكريد لم يشتركا فى المعركـــة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصـــادر اللاتينية تشير الى غير ذلك وتؤكـــد ان الاتراك اســتداروا نحو بوهيمونــد وتنكريـــد واجلوهما (٢٩٩) .

ومهما يكن من امر فان المعســكر الأنطاكى لم يصب باى ضرر واخــذ قائداه بوهيموند وتنكريد « رجالهمًا الشجعان واسرعوا للبحث عن ملجــأ فى الرهـــا (٣٠٠) » . اما مصير قائــدى المعسكر الرهوى فكما روى المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم مـــع جماعة من تمامصتهم وخاضــوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجـــاء تركمـــانى من اصـــحاب سقمان فاخـــذهم وحمـــل بردويـــل الى خيم صاحبه (٣٠٢) » . اما المؤرخون اللاتين فثمة اشـــارة فى الجستا الى انه « لم يســـمح لأهل الرهـــا بالتطلـــع الى انفسهم او حاجياتهم واسر بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك اسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » . واشـــار (البـــرت) الى ذلك بقولـــه « هزم بلـــدوين واســـر واقتيـــد

---

(٢٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٩٩) Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710,
Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid., T. 4, p. 615.

(٣٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠١) ذكر اسم بلدوين دى بورج فى المصـــادر الاسلامية بهـــذا الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خـــلدون : العبـــر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العـــينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٩ ، بل انه احيانا يذكر (بردويل) فقط كما فى : عقـــد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٦٣ واحيانا اخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ ص ٤٩٧ ؛ اما ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القميص) .

(٣٠٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ ســوريـــة ، حـ ٦ ص ٤٥
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

(٣٠٣) Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

بعيــدا (٣٠٤) » . لكن لم يقتصر الأمر على اسر بلدوين وحــده ، بل اسر معه أيضا جوسلين اعظم أتباعه ، واقتيد الاثنان اسيرين (٣٠٥) .

وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) فى تلك المعركة التى تعرف باسم موقعــة حران أو البليخ (٣٠٧) . ويمكننا ان نستشف مدى عظمتهــا بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسى ووليم الصورى فيذكر الأول « كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله وبه قويت نفوس المسلمين وارهفت وارهفت عزائمهم فى نصرة الدين ومجــاهدة الملحــدين ، وتباشر الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم (٣٠٨) » . أما الثــانى فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل أو بعــد ذلك الحــدث عن معركــة فادحة الخســارة كهذه التى ترتب عليها مذبحــة مروعــة للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .

ونشعر بمدى وقــع موقعــة البليخ على الرهــا نفسها من خــلال تلك السطور التى كتبها متى الرهــاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح والكآبة والدموع . أى منظر ذلك الذى حل بالرهــا ؟ اننا لا نسمع فى كل مكان سوى التأوهات والصراخ والأنين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت لحزن شــديد (٣١٠) » .

والواقــع أن موقعة حران أو البليخ سنة ٤٩٧هـ (٣١١) (١١٠٤م)

---

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616.

(٣٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Cahen : Op. Cit., p. 238, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ .

(٣٠٩) William : Op. Cit.. V. 1, p. 459.

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٣١١) بينما اجمعت معظم المصــادر على أن تلك الموقعــة حدثت ٤٩٧هـ ــ ١١٠٤م مثل ابن الأثير: الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانس : الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احــوات ٤٩٧هـ . هــذا الى جــانب
(Mattieu : Op. Cit. p.p. 71 - 73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459
فان ابن الأزرق الفارقى : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ ينفرد بالقول بانها كانت سـنة ٤٩٩هـ . كذلك اذا كانت كل المصــادر تقريبــا تشير الى ان اسر

لم تترك اثرا واضحا فى حياة الرها السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حدا جغرافيا او حدا اقصى للتوسع اللاتينى جهة المشرق (٣١٢) . هذا الى ما ترتب على هذه الموقعة من فشل خطة الصليبيين فى عزل المسلمين فى الأناضول والعراق والشام بعضهم عن بعض (٣١٣) . اما من ناحية انطاكية فقد شجعت الهزيمة التى حلت بالصليبيين فى البليخ كل من البيزنطيين والمسلمين فى حلب على غزوها (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدا يتكشف من جديد الخلاف بين قادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قد اسر كما راينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلما راى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل قالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوثر شفاء غيظى بشماتة الأعداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحل سقمان واخذ

=
بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (برييه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقة على الفرات فى مايو ١١٠٤م . والراجح أن ذلك غير صحيح .
(Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,

(٣١٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٥ . عن (Runciman)

(٣١٤) (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,
فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية
فى حين استولى رضوان حاكم حلب على اللوعة وسرمين ومعرة مصرين .
Grousset : L'Epopée, p. 80)
(Brehier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390,
(الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١)

(٣١٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٣. ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء : حـ ١ ص ٣٩٣ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شبختان وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم أن اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، فى حين اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها فى حالة حداد عام بعد أسر أميرها بلدوين دى بورج ووقوع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى واسرى (٣١٧) . اما من نجوا فقد فروا نحو اسوار الرها للدفاع عن المدينة واقامة التحصينات ، قبل ان يصل الاتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان أن أسرع بوهيموند وتنكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للأهالى ووضعوا المدينة بسرعة فى وضع الدفاع (٣١٩) . أما اهالى الرها فقد حاولوا الخروج من ذلك المأزق بسرعة وبحزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتنكريد حاكما جاء مشروطا بأن يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) . أما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢). اى أن الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا فى

---

(٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ . اما كاهين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المسيحية فى شبختان أولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها . Cahen : p. 238

(٣١٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣١٨) Alberti Aquensis : Historiae ...Liber IX..., T. 4, p. 616,

(٣١٩) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3, p. 712, Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.

(٣٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٣٢٣) Zoé . Op. Cit, p. 235.

حين عـاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضـع ممتلكات جوسلين فى تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل امام الرهـا . حتى صـار السهل الذى فى مواجهتها مكسوا بآلاف من خيـام الاتراك ولكن تنكريد الذى لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن يصمد ويستثير حماسـة الأرمن ، ممـا جعـلهم يقومون بدور مرموق ، ذلك أن الأرمن فى الرهـا تكتلوا حول زعيمهم الفرنجى ليسـدوا الطريق امام الغزو التركى (٣٢٦) . وفى الوقت نفسـه ارسل تنكريد سرا الى انطاكيـة ليحـذر بوهيموند من أن الرهـا نفذ صبرها وانه بدون نجـدة سريعةفان العبء سيغدو ثقيلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند رغم حرج موقفه فى امارته امام غزوات حلب المتكررة ضـد انطاكيـة ، فاعد جيشـا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشـاه وسـار الى الرهـا لكنه لم يستطع أن يصـل اليها الا فى اليوم السـابع من الحصـار بعد ان اشتدت وطاة الهجمات التى شنها الاتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) . وعندما فقـد تنكريد الأمل فى وصول معونة اليه ، وضـع خطـة فدائية مع فريق من اهل المدينـة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا فى فجر احـد الأيام وباغتوا الجنـد الأتراك الذين كانوا قـد اشتد بهم

---

(٣٢٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, Wiliam : Op. Cit., V. 1, p. 459.

ذلك لأن جيرانها كانوا قد بداوا يستعدون لاحراز اى منفعة من وراء هزيمة الفرنج (Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 459.

(٣٢٦) Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Albert)

هنـا يذكر البرت ان تنكريد حصن المدينـة بحراسـة قوية وشجع المواطنين ووعدهم بانه سيحارب اعدائه بشجاعة وبدون تأخير . وما أن ادرك المواطنين مواسـاته وانه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجمين وطردوهم .

(٣٢٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 408.

وسنذكر نص رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنـا يذكر البرت ان سقمان اشترك فى مهاجمة الرهـا مع جكرمش . والراجح أن هذا غير صحيح .

(٣٢٨) Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408.

التعب وقيل أن بعضهم كان فى حالة من السكر ، واخذوهم على غرة واعملوا فيهم السيف فى الوقت الذى وصل بوهيموند على رأس فرسان انطاكية ليتموا النصر (٣٢٩) . أما جكرمش فقد عاد الى الموصل عندئذ (٣٣٠) .

الرها تحت حكم تنكريد :*

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكى ممثلا فى تنكريد . فماذا كان وضعها أثناء حكمه . الذىاستمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ — ٥٠٢هـ) ؟

ويبدو أن هذه الفترة كانت مظلمة فى تاريخ الرها بدليل ما يقول البرت عنه أنه « دنس المدينة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع أن الحاكم الحقيقى للرها فى تلك الفترة ، والتى قاسى فيها الأهالى كثيرا كان ريتشارد دي سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) .
ذلك أن بوهيموند اضطر الى السفر الى ايطاليا فى أوخر ١١٠٤م — ٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الأمبراطور البيزنطى (٣٣٤) .

---

(٣٢٩) Grousset Ibid., p. 408, L'Epopée, p. 79, Cahen : p. 238.
(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٣ .
Grousset : Ibid., p. 409

(٣٣١ Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T .4, p. 616.
(٣٣٢) Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872.
وريتشارد هذا هو الذى أسره جيش بلدوين البولونى من جيش تنكريد فى معركة المصيصة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م
(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)
وأسر مرة أخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشمنديين سنة ١١٠٠م .
Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).
(٣٣٣) Mattieu : Ibid., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 416,Zoé : Op. Cit., p. 235.
أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٩ فيذكران ذلك كان ٤٩٦هـ . وهو ماذكره الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١ . والراجح ان هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه حران التى شارك فيها بوهيموند .
(٣٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620, Matticu : Op. Cit., p. 73.

وعندما ابحر الى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) ». وترك حكم انطاكية والرها فى يد ابن اخته تنكريد (٣٣٦) فأودع تنكريد بدوره الرها فى يد ريتشارد دى برنسيبات(٣٣٧). لكن ريتشارد هذا أنزل كثير من الأضرار بأهالي الرهـا(٣٣٨) . ولم يتبع اسلوب بلدوين البولونى . وبلدوين دى بورج اللذين حكما قبله الرها (٣٣٩) . وبعبارة أخرى فان حكم ريتشارد فى الرها اتصف بالجشع والصلابة (٣٤٠) . وكانت تنقصه المقدرة ، لذا لم يستطع كبح طغيان وجشع اتباعه الفرنج ففقد بسرعة اخلاص اتباعه الأرمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب اذا وصفه المؤرخون بانه كان طماعا ، طاغية ، صادر مواطنى الرها المعروفين بثرائهم ، دون ان يعنى الا باثراء نفسه قبل ان يعود الأمير الشرعى للبلاد (٣٤٢) . ولذا تعرضت الرها فى ايامه للتهديد من جانب جكرمش (١١٠٥م) (٤٩٩هـ) . وقلج ارسلان (١١٠٦ — ١١٠٧م) (٥٠٠ — ٥٠١هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشارد للرها ١١٠٤ — ١١٠٨م تتصف بالضعف وتعرضها للخطر (٣٤٣) .

والواقع ان ذلك الوضع السىء الذى تعرضت له الرها طوال اربع سنوات لم يضع حدا سوى اطلاق سراح اميرها الشرعى بلدوين دى بورج .

وكان جوسلين هو اول من اطلق سراحه من الأسرى بسبب اخلاص رعاياه فى تل باشر « فقد ذهب بعض رجال من تل باشر وحددوا فدية جوسلين وبقواهم انفسهم فى السجن كرهائن وخرج جوسلين ليحمل

---

(٣٣٥) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٧) Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872, V. 1, p. 415.

(٣٣٨) Michel : Ibid., p. 195.

(٣٣٩) Zoé : Op. Cit., p. 293.

(٣٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 246.

(٣٤١) Setton : Op. Cit, V. 1, p. 393.
اما جروسية فيقول « انه كدر العنصر الأرمنى » بسبب جشعه واخفاقه العسكرى
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.

(٣٤٢) Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque)

(٣٤٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

الذهب المطلوب لاطلاق سراح الرهـائن (٣٤٤) » . وبمجـرد أن اطلق سراح جوسلين نقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذى سجنوا فيه وهربوا « واطلق سراح جوسلين بدون فديـة (٣٤٥) » .

اما المصـادر العربيـة فتذكر ان جوسلين افتدى نفسـه بالفعل « بعشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل نائبا على اطلاق سراح سيده الأعلى بلدوين دى بورج الذى كان قـد فقد الأمل فى استعادة حريته . وحـاول جوسلين جـاهدا ان يغرى حكرمش باطلاق سراحـه فى مقابل مبلغ من المـال لكن طلبـه رفض (٣٤٧) . وبعـد موت الاتابك حكرمش غـدا الأمير بلدوين فى يد جاولى (٣٤٨) . امير الموصل الجـديد .

كانت ولاية جاولى سقاووا او سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هى اولى بوادر الامل لاطلاق سراح بلدوين . على ان جاولى لم يلبث ان عزل عن الموصـل وحـل محلـه الأمير مودود بن التونتكين سـنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعـه الأمير بلدوين

---

(٣٤٤) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 433.

(٣٤٥) Michel : Ibid, p. 195, Grousset ; Ibid., p. 433.

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (أ) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434.

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (أ) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ ويذكر الأخير ان حكم جاولى على الموصل امتد من ٥٠٠هـ — ٥٠٢هـ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصـدر السـابق ، حـ ١ ص ٢٠ (٢١ ب) ، ٢١ (أ) Michel : Op. Cit. p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابو الفضـايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارقى ، تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . واذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ . ابو الفـدا المختصر حـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ١٩ يذكرون ان ذلك كان فى صفر ٥٠٢هـ فان ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٣٩ يـذكر « ان مودود ابى شتكين اسـتولى على الموصـل واعمالهـا فى المحرم ٥٠٢هـ » ولكن الراجـح ان ذلك التاريـخ غير صحيح استنادا لراى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بورج ليطلق سراحه بعد قليل ، بعد ان قضى فى الأسر خمس سنوات (٣٥١) . وقد تعهد بلدوين بان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وأن ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعساكره وماله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحدد اما ميخائيل ومن اخذ عنه فيحددها بسبعين الف دينار (٣٥٣) .

وكان ان سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضات فى أمر اطلاق سراح بلدوين دى بورج كل من سالم بن مالك نفسه وجوسلين دى كورتناى الذى كان قد اطلق سراحه من فترة قليلة . وقد تم الاتفاق بينهما على اطلاق سراح بلدوين على ان يبقى جوسلين رهينة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجاب جاولى بشخصية جوسلين الذى كان الجميع يتحاكون به . ويفصل ميخائيل السريانى قصة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضع نفسه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل — يقصد جاولى — بعودة جوسلين اخذته الدهشة وطلب رؤيته لأنه لم يره من قبل وبالفعل توجه جوسلين الى الموصل فلما رآه السلطان انقص عشرة آلاف دينار من فدية بلدوين . فسجد جوسلين ورفع وجهه من الأرض ليحييه ، وعندئذ انقص السلطان مرة اخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج السلطان مع قواته امر جوسلين ان يركب حصانا وان ياخذ سلاحه . وعندما راى

---

(٣٥١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ، وكان اطلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، مخطوط حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٣٥٣) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434.

(٣٥٤) (Dussaud) عن Grousset : Ibid., p. 434

(٣٥٥) ابن الأثير الكامل : ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات: مخطوط ، حـ ١ ص ٢٢ (أ) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، اعجب بـه واسقط كل الفدية المطلوبة عن بلدوين ، فعاد جوسلين وهو فى غـاية الفرح (٣٥٧) » .

فى هـذا النص يشير ميخائيل الى ان جوسلين توجـه الى سلطان الموصـل — ويقصـد هنا جـاولى — ولكن المعروف ان اطـلاق سراح بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصـل فلم يكن اميرا لهـا وقتـذاك . وان اطـلاق سراح بلـدوين كان فى ماكسين والمفاوضـات كانت فى قلعة جعبر وليست فى الموصـل . كما يفهم من النص السـابق ايضـا ان بلدوين دى بورج اطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن الراجح ان جاولى اخـذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقى كما سنرى .

ويذكر متى الرهـاوي أن جوسلين اطلق سراح بلدوين امير الرهـا فى مقابل مبلـغ كبير من المـال (٣٥٨) . اما المصـدر اللاتينى فيقول « أن بلدوين بعـد ان امضى خمس سنوات فى الأسر ، وبعـد ان قتلت الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن(٣٥٩) » . ويؤيد هـذا الراى ما ذكره وليم الصورى من انه « فى صيف ١١٠٨م أو فى بداية ١١٠٩م ومن طريق الصـدفة قتـل رهـائن بلدوين وجوسـلين الحراس المسـئولين عن الاشراف عليهم بينما كـان هؤلاء الحراس فى سبات عميق اثر شرب الخمر ، ثم سـاروا فى الليل بواسطة بعض الطرق الجانبية الملتويـة استطاعا ان يتخذا طريقهما الى بلادهما (٣٦٠) » .

اما ابن الاثير فيذكر انه « لمـا وصل جوسلين الى قلعـة جعبر واقام رهينـة عوض القمص واطلق القمص وسـار الى انطاكيةواخـذ جاولى

---

(٣٥٧) Michel : Op. Cit. p.p. 195 - 196, Zoé : p. 294.
والأخير يعلق على ذلك بقوله
أن لطف جوسلين ورقته سـاعدته تلقائيا على اقامة
علاقات انسـانية مـع اعدائه ، وهو يقصـد هنـا جاولى(p. 295)
اما جروسيه فيعلق على ذلك النص بانه لم يكن الا صدى للأخبار المروية عن آدب الفروسية : ونوع من التحالف الشخصى بين جاولى من ناحيـة وبلدوين دى بورج وجوسـلين من ناحيـة اخرى .
(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

(٣٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 85.
(٣٥٩) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.
(٣٦٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخـذ عوضـه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليحثه على اطلاق الأسرى وانفاذ المـال وما ضمنه (٣٦١) » . اى انه كانت هنـاك فديه بالفعل . هنـا تذكر المصـادر العربية أن فداء بلدوين كان « خمسـة وثلاثين دينـارا ومائة وستين آسيرا من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصـادر فى موضوع الفدية ـ التى يرجح وجودهـا من ناحية المبدأ بالفعل ـ فان الجميع اتفقوا على ان بدوين اطلق سراحة وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحيـة وبلـدوين وجوسـلين من ناحيـة اخرى .

وتقول بعض المصـادر انه عندما تم اطلاق سراح بلدوين فانه توجه الى امارته السـابقة فى الرهـا ولكنه لم يستطع دخولها ، لأن رجـال تنكريد منعوه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح ـ كمـورد فى المصـادر الاسـلامية وغيرهـا ، انه توجـه فور اطلاق سراحـه الى انطاكيـة للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكى يسترد امارته من تنكريد ، السيد الاعلى للرها وقتذاك،فاعطاه تنكريد ثلاثين الف دينارا وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك (٣٦٤) ، ولكنه رفض رد امارته اليـه فخرج بلدوين من عنده غاضبا الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصـدر تنكريد اوامره الى نائبه فى الرهـا ريتشـارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

---

(٣٦١) ابن الأثير : الكامل ، ﺣ ٨ ص ٢٥٣ . الصبغ الحلبى : اعلام النبلاء ، ﺣ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الأثير : المصـدر السـابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون العبر ، ﺣ ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمـان ، ﺣ ١٥م ٢ ، ص ٥٦٩ ، الدبس : تاريخ سورية ، ﺣ ٦ ص ٤٥ . الطباخ : اعلام النبلاء ، ﺣ ١ ص ٣٩٣ .

(٣٦٣) Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., V. 1, p.p 373: 474.

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، ﺣ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ﺣ ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، ﺣ ٥ ص ١٤١ العينى : عقد الجمان ، مخطوط ﺣ ١٥م ٢ ص ٦٣٨ .
Grousset : Hist des Crois.. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الأثير : نفس المصـدر والصفحة ، ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون المصـدر والصفحة . العينى ، ﺣ ١٥م ٢ ص ٦٣٩ ،
Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

(٣٦٦) Mattieu : Op. Cit p 86

والواقـــع ان اصرار تنكريـــد على التمســـك بحق غير شرعى له ، ادى فى النهاية الى انقســـام الصليبيين ـ بل الى انقســـام المسلمين ـ على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها فى باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرهـــا فى بعض المصـــادر والمراجع (٣٦٧) . وعندما وصل الأمر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حرصـــا على الكيان الصليبى فى الشرق . فتدخل الرؤســـاء والنبلاء فى البلاد وذوى المكانـــة العاليـــة . لقـــد عرموا ان قيـــام العداوة بين الرجلين فى مثل تلك الدرجة العالية امر بالـــغ الخطورة وســـوف يكون مصـــدرا لضرر فعـــال للأهـــالى المسيحيين . وبنـــاء على ذلك اخـــذوا على عاتقهم مهمـــة التوفيق بين الطرفين ونجحوا فى ايجاد صـــلح بينهما (٣٦٨) . والراجح ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا فى المقـــام الأول الى تـــدخل رجـــال الدين فقـــد « توسط بينهما البطرك الذى لهم ، وهو عنـــدهم كالأمام الـــذى للمسلمين ، لا يخالف أمره وشهد جماعـــة من المطارنة والقسيسين ان بيموند خـــال طنكرى قال له لـــا اراد ركوب البحر والعودة الى بلاده ان يعيد الرهـــا الى القمص اذا خلص من الأسر (٣٦٩) » .

ويؤكـــد وليم الصورى وفولشر ان تنكريد « بعد تفكير عن رؤية فيه غيرفكره (٣٧٠) » . وتذكر ذلك القسم الذى اقسمه بوهيموند « حتى يتجنب أى صراع فى اى مكان أو اى زمان (٣٧١) » . وبذلك اســـتعاد بلـــدوين امارتـــه فى التاســـع من صفر ٥٠٢هـ (٣٧٢) ، ١٨ سبتمبر

Mattieu : Ibid., p. 85 - 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, (٣٦٧)
Cahen : Op. Cit. p. 249 - 251, Zoé : Op. Cit., p.p. 239 - 240, Grousset : L'Epopée, p. 83, Hist. des Crois., V. 1, p.p. 439 - 442.

William : Op. Cit., V. 1, p. 475. (٣٦٨)

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ١٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ .

ويورد ابن خلدون نفس المعنى فى كتابه العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ مـــع الاشـــارة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيموند باســـم اسسد .

William ; Op. Cit. V. 1, p. 474. (٣٧٠)

Fulcherii ; Op. Cit., T. 3 p. 410. (٣٧١)

(٣٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) وينفرد ابن خلدون عن ذلك كان فى صفر سنة ٥٠٢هـ (ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١) .

١١٠٨م (٣٧٣) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بورج قد عاد من جديد لامارته الا انه بدأ فترة جديدة من الصراع العنيف ضد القوى الاسلامية ممثلة فى الأتراك الذين نمددت هجماتهم على الرها ، كما سيأتى شرح ذلك بالتفصيل فى باب العلاقات مع جيران الرها من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين : سنة ١١١٣م — (٥٠٧هـ) .

فى ١١١٣ م (٥٠٧هـ) بدأت العلاقات تسوء بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقد انفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث فى تلك السنة ان ارسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسله فى مهمة خاصة الى روجر بن ريتشارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر اولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حدث اثناء وجودهم فى ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يذمون الرسل وينتقدون فقر الامير بلدوين ، وفى نفس الوقت تفاخروا بثراء سيدهم جوسلين ، وبما يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخمور والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاه وضمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها أن الأمير بلدوين غدا غير صالح لحكم تلك البلاد وأنه من دواعى الحكمة أن يبيع امارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المال يعود به الى فرنسا(٣٧٤) . ويعلق جروسيه بان جوسلين نفسه اخطأ فى حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل أنه يستطيع ان يشترى ارض الرها من سيدها المفلس(٣٧٥) .

وكان أن عاد الرسل الى اميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله(٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

---

(٣٧٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.
اما وليم الصورى فيذكر ان ذلك كان فى ١٨ ابريل ١١٠٩م (William : Op. Cit., V. 1, p. 475)
والواقع ان ٥٠٢هـ يقابلها ميلادى من ١١ أغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية ١١٠٩م (زامبور : معجم الأنساب ، جـ ٢ ص ٥٢٧) .

(٣٧٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٥) Grousset : L'Epopée, p. 111.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

بلدوين تاثر تاثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لانه السبب فى نعمته ، وعز عليه ان يتنكر له وينسى الجميل والمعروف(٣٧٧) .

وكان ان تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر فى الحال دون أن يتسرب اى شك الى قلبه. وعند وصوله الى الرها وجد الأمير بلدوين فى قلعة المدينة ، مستلقيا ، فى حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد أن ادى التحية المعتادة سأل الأمير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تتمنى » . ثم أخذ بلدوين يوبخ جوسلين لعدم وفائه وتنكره له . وطالبه بان يسلم له فورا ممتلكاته التى انعم بها عليه(٣٧٨) . وفى الحال أصدر بلدوين أوامره بزج جوسلين فى السجن حيث تعرض لكل أنواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلى عن كل المناصب والحقوق التى تلقاها على شكل هبات من بلدوين(٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة ممتلكاته فترك الرها ، وتوجه الى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا مفصلا عما حدث وافصح عن رغبته فى العودة الى وطنه فى الغرب الأوربى وبعد أن استمع اليه الملك ، اقطعه طبرية(٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . « لأنه يعلم أن جوسلين سيفيد المملكة بخدماته العظيمة ورغب فى أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله » (٣٨١) ويشير ابن الفرات الى تلك القصة

---

(٣٧٧) William : Ibid., p.p. 498 - 499.

(٣٧٨) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشيه
Grousset : L'Epopée, p.p. 111 - 112 :

(٣٧٩) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126.
Cahen : Op. Cit., p. 265.

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57.
بينما يذكر ميشو انه اخذ اقطاع طبريه يذكر أولدنبرج انه اخذ اقطاع الجليل الذى كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق
Hugues de Saint-Omer
ويؤيده فى هذا الراى كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265) ويجمع جروسيه بين الرايين بقوله « اعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث اظهر فى تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيوجودى سانت أومير
(Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.126,
Grousset : L'Epopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402,
Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كان اللعين جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو واللعين بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدوين صاحب القدس فاقطعه طبرية »(٣٨٢) .

وبعد أن تخلص بلدوين دى بورج من كل العنصر المنسوئه له وقبض بيد قوية على شئون امارته وحماها من الاخطار التركية . اخذ يتطلع نحو الشمال ، اى الى المناطق الارمينية ليتوسع على حسبها . والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان دخلت مدينة مرعش فى حوزة امارة الرها ، تحت سيادة جوسلين دى كورتناى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) (٣٨٣) . وسنشير الى توسع بلدوين دى بورج فى هذا الاتجاه بالتفصيل فى فصل العلاقات مع الارمن خارج الرها .

وهكذا دعم بلدوين دى بورج الأسس التى وضعها بلدوين البولونى فى الرها واضاف اليها الجديد ، كما امن الامارة من الأخطار الخارجية والداخلية . « فلأكثر من ثمانية عشر عاما حكم الامارة بنشاط ونجاح . واخيرا ، اى فى السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تاكد من ان امارته غدت فى حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على زيارة ملك القدس سيده الأعلى وقريبه وولى نعمته ؛ فضلا عن رغبته فى نفس الوقت فى زياره الأماكن المقدسة(٣٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته الى ابن خالته جاليران دى بويست Galeran du Puiset حاكم البيرة(٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة فى اخلاصه ويقظته(٣٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه أن قابلته سفارة ، اخبرته أن الملك بلدوين قد مات فى مصر ، فقلق كثيرا لتلك الاخبار . ومع ذلك فانه استمر

---

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ص٦٧(أ) ،

(٣٨٣) Michel : Op. Cit., p. 75.
سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٢) ص Runciman،

(٣٨٤) William Op. Cit., V. 1, p. 518.

(٣٨٥) Grousset L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 91
عن (L'Anonyme)

(٣٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 518.

فى رحلتـــه مسرعا نحو بيت المقــدس ؛ حتى وصلها فى يوم عيد ســـعف النخيل(٣٨٧) وهو احد الشعانين(٣٨٨) وكان توافقا عجيبا انه « فى نفس الوقت الذى دخــل فيه الأمير بلدوين دى بورج وحرسه المدينة من باب الحرام كان تابوت الملك بلدوين الأول محمولا فى موكب جنائزى فى الجهة المقـــابلة من جهة باب دمشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الأول ، قد خرج فى اوائل تلك السنة ١١١٨م (٥١١هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى الفرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث أن مرض فقرر العودة بسرعة الى القــدس ، ومات فى الطريق قبل وصوله الى العريش(٣٩٠) . وذلك فى ٢ ابريل ١١١٨م (٥١١هـ) (٣٩١) .

ولا شك فى ان وفاة بلدوين الأول المفاجئة ادت الى موقف صعب فى مملكة بيت المقــدس الصليبية لأنه لم يخلف أولادا (٣٩٢) - ولذا تضاربت الآراء فى كيفية ملء عرش القدس . فذكر متى الرهـــاوى « انه قبـــل أن يموت الملك بلـــدوين مبـــاشرة أوصى باستدعاء بلـــدوين دى بورج ليكون وصيا على مملكة بيت المقدس حتى يصل أخوه ايوستاش **Eustache** من فرنسا وأن يعطوا التـــاج ذلك الأخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لأخيه وليست لبلدوين دى بورج .

أما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الأول قد « اوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « واجتمع له القدس والرهـــا (٣٩٥) » اى ان

---

(٣٨٧) William : Ibid., p. 518.

(٣٨٨) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56.

(٣٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, p. 56.

(٣٩٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تـــاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٨٠ .

(٣٩١) Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.

(٣٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 410.

(٣٩٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 118 - 119.

(٣٩٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العمـــاد : شذرات الذهب ، حـ ٤ ص٣٠ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب الســابع .

(٣٩٥) ابن الأثير : المصدر الســـابق والصفحة ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، حـ ١ ص ١١٢ (أ) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج،وربما يرجع ذلك الى محض الاستنتاج لأنه الذى تولى بعده بالفعل ، أما المصدر السريانى فيذكر « أن الملك اوصى أن يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن اخت الملك ملكا من بعده (٣٩٦) » والواقع أن بلدوين دى بورج لم يكن ابن اخت الملك بلدوين الأول لكنه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشير بعض المراجع الافرنجية الى أن الملك اختار أيوستاش اولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى ان الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى فى حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش المملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من أمر فان وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى وصل فيه جثمان الملك الراحل ، تويل من أهل المدينة وأمرائها على أنه نوع من التدبير الالهى ، على قول متى الرهاوى ، فعهدوا اليه بالوصاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق ابدا على ذلك ، ووعد بأن ينهض بمهمة الوصاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها اخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش المملكة (٤٠١) .

على ان هذا الحل تويل بمعارضة من جانب المتمسكين بمبدأ الوراثة وفق القانون الاقطاعى والذين راوا ضرورة انتظار وصول اخى الملك بلدوين من الغرب مهما تكن الأحوال (٤٠٢) . وهنا تدخل جوسلين دى كورتناى لحسم الموقف ، وانضم الى جانبه البطريرك أرنولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك فى الحال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

---

(٣٩٦) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٣٨
Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.

(٣٩٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٩) Zot : Op. Cit., p. 261.

(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٩٨ (عن (William)

(٤٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٤٠٣) Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

باخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن انه من اقاربه الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة فى الحرب ، ولا يمكن ان يطمع الصليبيون فى رجل آخر افضل منه . وبناء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقاذا لموقف المملكة بدلا من الانتظار وسط اخطار مجهولة (٤٠٤) » .

ولما كان الخير ما شهد به الأعداء ، فقد ادرك جميع النبلاء الحاضرين عندئذ كلمات جوسلين واكبروا صراحته وصدقه ، لمعرفتهم بالعداء الذى كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤٠٥)

والذى سبق ان اشرنا اليه بالتفصيل . وهنا اشار بعض المؤرخين الى أن جوسلين راى فى ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما فى نفسه من رواسب الماضى (٤٠٦) . كما اشار وليم بأن هدف جوسلين الحقيقى من وراء موقفه « انه كان يهدف ان يخلف بلدوين دى بورج فى امارة الرها فى المستقبل (٤٠٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيار بلدوين دى بورج ملكا على بيت المقدس (٤٠٨) . وحدث ذلك باجماع كل الآراء والأطراف (٤٠٩) فتوج بلدوين ملكا فى ١٤ ابريل ١١١٨م وهو يوم عيد الفصح (٤١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بامير صليبى له خبرته وتجاربه الشاقة فى محاربة المسلمين ، بل قضى بضع سنوات فى سجونهم (٤١١) » . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثانى (٤١٢) .

---

(٤٠٤) William : Ibid., p. 520.

(٤٠٥) William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159.

(٤٠٦) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٩٨

(٤٠٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 520.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٠٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 709.

(٤١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

اما ميخائيل السريانى فقد ذكر أن ذلك تم فى يوم الثلاثاء ٩ (نيسان) ابريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين فى كنيسة بيت لحم فى يوم عيد الميلاد .
William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤١١) Iorga : Op. Cit., p. 81.

(٤١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534.

ولكى يكافىء الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى ان ينسيه القسوة التى عامله بهـا من قبل ، اعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد ان حلف بلدوين دى بورج اليمين تخلى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل باشر وذلك ١١١٩م ــ ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدات بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تتويجه ملكا للقدس ، فى رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالة بلدوين نفسه (٤١٥) . وبتعيين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ – ١١٣١م (٤١٧) ٥١٣ – ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمة بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد اجمع المؤرخون على امتداح شجاعته واخلاقه فيذكر (اولد نبرج) « انه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الأمور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . اما ميخائيل السريانى فيصفه بانه

---

(٤١٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 196.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٤١٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٩٩، عن Stevenson

(٤١٥) Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2. p. 874
عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما لالبيره منذ سنة ١١١٧م اى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من أبو الغريب الأرمنى .

(٤١٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874 - 875.

(٤١٧) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٤١٨) Zoé : Op. Cit., p. 294.

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . فى حين يشير اليـــه متى الرهـاوى بانه « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسـالته الفائقة (٤٢١) » . ولو أنه يفهم من كلامه أنه كان قاسى الطباع قبل ان يتولى امارة الرهــا ، ثم تخلى عن تلك الصفة بعــد ذلك « واظهر العطف والشفقة على سكان الرهــا وتخلى عن القسوة التى اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكـد جوسلين يتولى امــارة الرهــا حتى باشر حيـاة نشطة وخاصــة فيما يتعلق بمحاربة المسلمين ، ففى أثناء توجهه من بيت المقدس الى الرها ليتولى امرتها « اسرى الى وادى بطنان والى مايلى الفرات من جهــة الشـــام وقتل وسبى مــا يقرب من الف نفس ، واغار على منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية واخــذ كل ما وجده من دواب واسر رجالا ونســاء واسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمــان كـانت قطعت الفرات فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) » . وعند وصوله الرها وجــد امامه موقفا يتطلب العمل فورا لانقاذ المدينـة . ذلك انـه حــدث قبل وصول جوســلين مباشرة ان راى بعض الارمن ان الاتراك قــد نهبوا اقليم الرهــا وتقـدموا حتى اسوارهــا ففضلوا الاستسلام لهم ، وادخلوهم فى احــد الابراج ، ولكن شــاءت الناروف ان يصــل جوســلين فى تلك اللحظة فتصــدى للاتراك فى البرج وقتل منهم جماعــة فى حين القى الباقون بانفسهم من البرج (٤٢٤) .

على انه يلاحظ ان جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الاول اتخــذ من تل باشر مقرا لحكمــه وفعل ذلك من بعــده ابنه جوســلين الثــانى (٤٢٥) . وربما يرجــع ذلك الى ارتباطه الشــديد بها ، فقــد كانت مقر نفوذه منذ قــدم من فرنســا حتى صــار اميرا على الرهــا باكملهــا . وبالاضــافة الى ذلك كــان جوســلين محبوبـا جــدا من اهلهــا (٤٢٦) .

---

(٤٢٠) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٤٢١) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٢٢) Mattieu : Ibid., p. 126.

(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ .

(٤٢٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٤٢٥) Cahen : Op. Cit., p. 116.

(٤٢٦) Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة ارمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه فى حكم الرهـا ، اما هـذه الأميرة فكانت اخت الأمير ليون Léon الأرمنى وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، أو ابن قنسطنطين وانتو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعـا من امراء ارمينيـا الصغرى (٤٢٩) .

ثم ان جوسلين تزوج بعـد وفاة زوجته الأولى الأرمينية من ابنـة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هديـة الزواج التى قدمتها لزوجها مدينة اعزاز او عزاز الواقعة على الحـدود بين الامـارتين (٤٣١) . وعلى ذلك فاذا كانت الزيجة الأولى قـد وطدت علاقاته بالأرمن فان الزيجة الثانية ، الى جانب انها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فانها اضافت الى امارة الرهـا ارضـا جديدة .

اما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخـاء ، رغم انه كان عليه أن يتابـع حربا مستمرة ضـد الأتراك ، صـادف فيهـا الأنتصـار تارة وتعرض للأسر تـارة اخرى (٤٣٢) . ذلك أن مهمـة جوسلين فى حكم الامارة بعـد اتسـاع اطرافها كانت غاية فى الصعوبة ،

---

(٤٢٧) Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 من L'Anonyme), Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87 - 88.

(٤٢٩) Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

روبان الأول من ١٠٨٠م الى ١٠٩٥م
قنسطنطين الأول (ابن) ١٠٩٥ — ١٠٩٩م
ثيودور الأول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
ليو الأول (أخ) ١١٢٩ — ١١٣٨م

(٤٣٠) Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875. المرجعان الأخيران عن (L'Anonyme)

(٤٣١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.

يشير اليها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٣ ص ١١٨ بانها عزاز ويقول انها ربما قبلت بالالف فى أولهـا . والعزاز الأرض الصـلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب .

(٤٣٢) E.R. Hayes : Op. Cit.. p. 290.

فاقت مهمة من سبقوه فى حكمها ، اذ كان لزاما عليه أن يثبت تلك الدعامات الأساسية فى بنــاء الامـــارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الأطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون أن يكون فى حالة حرب مع المسلمين ، وهــذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيد المســلمين .

اسر جوســلين :

حدث فى سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) — رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن تقدم بلك بن بهرام ابن أخى ايلغازى (٤٣٥) . ابن أرتق صاحب ميافارقين وماردين وحلب (٤٣٦) وامير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينــة الرهــا وبقى على حصرهــا مدة فلم يظفر بها فرحل عنهــا فجاءه أحــد التركمــان واخبره أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكبسه . وكان بلك عندئذ قد تفرق عنه أصحابه وبقى فى أربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتــال الفرنــج . وفى الموقعــة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمــة بالصليبيين ووقع جوسلين نفسه أسيرا ، ووقع معه فى الأسر ابن خالته

---

(٤٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 166. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583 عن (Mattieu).

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقــد ذكر هذا التاريخ (Gibb : Ibid., p. 166) ، كل من العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ ، العينى عقــد الجمان ، حـ ٥ أم ٤ ص ٨١٧ . ولو أن الأخيران يعودان مرة أخرى فيذكران أن ذلك كان ٥١٥هـ (الطباخ ص ٤٤٢ ، العينى ص ٧٩٢) والسبب يرجــع الى أنهما نقلا مرة كلام أبى العديم ومرة أخرى كلام ابن الاثير الذى يذكر أن ذلك كان ٥١٥هـ . وشــارك ابن الاثير فى ذلك مصــادر اخرى (ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٠٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ . اما ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ .

(٤٣٥) (Mattieu : Op. Cit., p. 131)
ينفرد متى الرهاوى بالقول انه ابن أخته
اما معظم المصادر العربية فتذكر انه ابن اخيه
مثــل ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تــاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨(ب) .

(٤٣٧) Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875 عن (L'Anonyme)

جاليران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) او كاليام (٤٤٠) وتشير اليـه بانه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضـع بلك جوسلين « فى جـلد جمل وخيط عليـه وطلب منـه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسـه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يقبـلها بلك (٤٤٢) » وهنا يورد لنـا ابن العديم رد جوسـلين على بلك عندما عرض عليـه فداء نفسه بتسليم الرها قـال : « نحن والبلاد كالجمـال والحدج ، متى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بايدينا قد صـار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بلك معه اخذه مع ابن خالته وحبسهما فى قلعـة خرتبرت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

---

(٤٣٨) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات ، مخطوط حـ ٢ ص ٤٨ (ب) ، ابو الفدا : حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : حـ ٥ ص ١٩٨ (كلمام) .

(٤٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ ، ابو الفـدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ . والحدج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤) Matthieu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois, V. 1, p. 584 (عن متى الرهـاوى) ، ابن كثير : البداية والنهايـة ، حـ ١٢ ص ١٨٨ . ابو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، كرد علي : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٥) Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit . p. 162.

وهكذا اصبحت امـارة الرها مرة اخرى دون امير يرعى شئونها ، وهى الامـارة الأكثر تعرضا للخطر من غيرها من الامـارات الصليبيـة فى الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس يسارع بتعيين جيوفرى الـراهب Geoffrey The Monk (٤٤٦) اميـر مرعش ورعبـان وكيسـوم اميرا على الرها (٤٤٧) وقد وصف متى الرهاوى هذا الأمير بانه محارب مقدام لقى ورع (٤٤٨) وزاد من وقـع اسر جوسلين انه جاء فى وقت سـاءت احوال الصليبيين فى الشرق بعد مقتل روجر امير انطاكية قبـل ذلك بثلاث سنوات (٤٤٩) فى حين تدهورت احـوال حكومة بيت المقدس (٤٥٠) بل ان الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس لم يلبث ان وقع اسيرا هو الآخر فى قبضة بلك فى العـام التـالى ١١٢٣م (٥١٧هـ) وكان ذلك عنـدما توجـه الملك بلدوين الى قلعـة كركر (٤٥١) لانقاذها من حصار بلك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين واسره ومعـه جماعة من أعيان فرسانه ، وسيق الى قلعـة خرتبرت مقيدا فى الأغلال (٤٥٢) .

---

(٤٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300 (Fulcher), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme).

(٤٤٧) Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٤٩) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI, (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

(٤٥٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(٤٥١) Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme)
هنا يذكر ان كركر كان
يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمنى فتخلى عنها تلقائيا لبلدوين الثانى وتلقى بدلا منهـا دلوك . ويذكر جروسيه رأيا آخر عن ميخائيل السريانى يذكر فيه « أن ميخـائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحـالف مع الفرنج وعرض عليهم التنازل عن مدينتـه خوفـا من بلك الذى كانت غزواته لا تنتهى على اقليم ملطية لذا توجه بلك الى كركر بحملة تاديبية فى ينـاير ١١٢٣م ، حيث كان جوسلين فى ذلك الوقت للمرة الاولى بعيدا عن بلاده .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587 عن (Michel).

(٤٥٢) ابن العـديم : زبدة الحـلب ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ ، ابن الفـرات : مخطوط جـ ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمـان ، جـ ١٥م٤ ، ص ٨٢٣ — ٨٢٤ .
Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 58, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا اصبح وضع الصليبيين فى بلاد الشـــام ١١٢٣م شـائكا للغاية . فبعـــد اسر المـلك بلدوين الثـــانى أصبحت مملكة القـــدس وامـــارتى الرهـــا وانطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . اما الامارة الرابعة وهى طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعـــل لهـــا زعامة مؤقتة على بقية الامـــارات (٤٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على اسرى خرتبرت حتى بدأت الجهود تتكتل لتخليصهم من السجن . وفى هذا المجال تتعدد الروايات والأخبـــار عن كيفية تخليصـهم (٤٥٤) .

والواقع ان ارمن الرهـــا كان لهم دورهم فى تخليص سيدهم جوسلين من اسره لانهم غدوا بعـــد اسره فى حزن عميق (٤٥٥) ذلك أن جوسلين كان محبوبا جدا من رعـــاياه الأرمن (٤٥٦) بسبب حبـــه هو الآخـــر الشديد لهم (٤٥٧) . بل أن حب الأرمن لجوسلين تعـــدى حـــدود الرها نفسها الى خرتبرت بمن فيها من الأرمن (٤٥٨) . لذا قرر رعـــايا جوسلين الأرمن ان يبذلوا كل ما فى وسعهم لانقـــاذ حرية سيدهم (٤٥٩) . فتنكر خمســـرن رجلا من ذوى الشجاعة والحنكة فى زى رهبان وتجار ومتسولين

---

(٤٥٣) Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121.

(٤٥٤) تذكر المصـــادر العربيـــة ان تخليص الأسرى كان عن طريق مصانعه حراسهم وباستخدام الحيله (ابن المـــديم : زيدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦)ب) ، ٧٧ (أ) تـــاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥١٧هـ) . اما ميخائيل السريانى فيقول أن ذلك كان عن طريق بعض عمال قلعة خرتبرت (Michel : Op. Cit., p. 211)

اما متى الرهـــاوى فيقول ان ذلك كان بمساعدة خمســـة عشر من اهـــل بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)

اما جروسيه عن مصـــدر سريـــانى فيقـــول انه كان عن طريق عشرين شخصا من أهل كيسون (L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876

(٤٥٥) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٦) (Fulcher) عن Grousset : L'Empire. p. 300.

(٤٥٧) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٥٨) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٩) Archer : Op. Cit., p. 162.

واخفـوا اسلحتهم تحت ثيـابهم وتوجهوا الى خرتبرت (٤٦٠) . وتختلف الاراء بين المراجع الافرنجيـة حـول ما تم فى خرتبرت ، فالبعض يشير الى انهم تضامنوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربمـا يقترب هذا الراى من راى ميخـائيل السريانى . والبعض يذكر « انهم هربوا الى داخل المدينة واحـدا اثر الآخر ، بحذر شـديد ، ومنها الى اسوار القلعة . هناك وجدوا حـارس القلعة غـافلا يتلهى يلعب الشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للمتآمرين (٤٦٢) » .

وكان ان امتلك الملك الصليبى ورفاقه القلعة ورفعوا علمـا مسيحيا على اعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك فى ربيع الأول ٥١٧هـمايو ١١٢٣م ، وعلى اثـر سـماع ما حـدث هرب قـادة المسـلمين الموجـودين فى البلد (٤٦٤) . اما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بلك فى القلعـة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اشـار عليهم جوسلين باخـذ ما فى المكان وتركه فقال « كناقد اشرفنـا على الهلاك ، والآن فقـد خلصنا ، والصواب ان نمضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغـدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا أن الملك بلدوين ظل فى القلعـة بعد استيلائه عليها . فى حين تشير بعض المصـادر الاسلامية الى ان بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان المـلك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبـدو ان الفرنج صمموا على الصمود

---

(٤٦٠) Zoé : Op. Cit., p. 297, Groussel : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : إعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخـطوط ، ص ٧٧ (أ) ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) .
واتفق رايهم على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل لحما ولا يشرب الا وقت القربان الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل بهم الى خرتبرت ومخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان فى فجر ٦ اغسطس (٤٧٠) مصحوبا بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية ايجمع القوات ويحمل النجدة للملك ورفاقه الاسرى (٤٧٢) وارشده فى الوصول انى الرها فلاح ارمنى (٤٧٣) .

أما بلك فكان بحلب عندما سمع بما حدث فى خرتبرت ، فاتى مسرعا عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الاسوار

---

(٤٦٨) Archer : Op. Cit., p. 163

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٤٩ .
Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٧٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧١) Fulcherii Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, p. 455
رهنا يذكر اولدنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من الارمن من البلاد وأن جوسلين خرج متنكرا فى زى متسول يموت من الجوع والعطش (Zoé : Op. Cit., p. 298).

(٤٧٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٧٣) Fulcherii Carnotensis : Historia: Hist. Occid. T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298, Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543
هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بلك انزعج فى تلك الليلة برؤية مرعبة ، فقد راى فى منامه أن الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة يديه لذا قام مذعورا وارسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل أن يصل الرسل كان جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فتراجعوا بسرعة . واخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير فى الحال القوات من كل مكان واسرع الى هناك .
(Fulcherii : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الاكبر بعد ان فشلت محاولات اخذ القلعة باسلوب التفاوض مع الملك (٤٧٥) . بل قيل انه نصب عليها اربعة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . اما المصدر العربى فيذكر « ان بلك فتح خرتبرت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من اصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى بغدوين الملك وقران وابن اخت بغدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بلك ان يسيطر من جديد على خرتبرت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقدم لنجدتهم ومعه جيوفرى الراهب على راس جيش فرنجى « سمعوا بذلك الحادث المشئوم فتوقفوا فى حزن بالغ وعادوا بقلوب دامية كل الى جهته (٤٧٩) » ويحكى ابن العديم الكثير عن اعمال الانتقام التى قام بها جوسلين ضد مسلمى حلب بالذات (٤٨٠) ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم ان جوسلين لم يهدا مرة اخرى فى صراعه ضد المسلمين بل ان الفرنج استطاعوا تحت قيادته ان يصلوا فى ١١٢٨ — ١١٢٩م (٥٢٣ —

---

(٤٧٥) Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧٦) Michel : Op. Cit., p. 211
ويذكر ميخائيل هنا ان عدد من قتلوا كان حوالى سبعين رجلا ، اما متى الرهاوى فيذكر ان الامير بلك اباد كل اسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسة وستون شخصا
Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ ابو الهيجاء ، جـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ . هنا قال ان ذلك كان فى ١٦ سبتمبر
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

(٤٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherii : Op. Cit., Hist Occid T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين وراس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرهـا يقـاتل المسلمين فى شجاعة لا تعرف اليأس حتى كانت وفاته فى دلوك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما سنرى فى الفصـل الخاص عن علاقة الرهـا بالمسلمين .

جوسلين الثـانى : ١١٣١ - ١١٤٤ - ١١٤٦م (٥٢٦ - ٥٣٩ - ٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثـانى من ام ارمينيـة هى اخت ليون الأرمنى (٤٨٣) السـابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من أمراء الفرنج الذين ولدوا فى الشرق ، وقد اتصف جوسلين الثـانى بالبراعة الحربيـة ، مع حب اللهو والأسراف فى الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، ارملة وليم حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية (٤٨٥) . وانجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنتين : الأولى هى آجنى Agnes التى تزوجت فيها بعـد رينـو Renaud حـاكم مرعش ثم من بعده عمورى امير يافـا الذى أصبح ملك القدس .

---

(٤٨١) (Bar Hebraeus) عن Grousset : L'Empire, p. 300
وآمد بلد قديم حصين على نشز دجلة . فتحت سنة عشرين من الهجرة وسـار اليها عيـاض بن غنم بعـد ما افتتح الجزيرة (يـاقوت : حـ ١ ص ٥٦) و ونصيبين مدينـة بالجزيرة ايضا (ياقوت : حـ ١٩، ص ٢٨٨) أما رأس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودينسر ، وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصيرنهر الخـابور (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga · Breve Hist. des Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : Ibid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية — وهى الصغرى — ازابيلا (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن ان امـه كانت ارمينيـة (٤٨٧) . ولكن جوسـلين كان دون شك اقـل من والده بكثير فى المقـدرة الحربيـة والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع أن امارة الرها كانت عندئذ فى حاجة الى محارب فذ من طراز والده جوسلين الأول . ولكن شـاءت الظروف الا يخلف ذلك الأمير القوى على عرش امـارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهاون فى شئون امـارته ، وهو أمر افـاد منه المسلمون .

ذلك ان تهـاون جوسلين الثـانى ادى الى ضياع الأراضى والممتلكات التى اجهـد والده نفسه فى الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجـر مدينـة الرهـا وانسحب ليقيم فى تل باشر ، مثلما فعـل والده ، ولكن على العكس منـه ، اقـام اقـامة مترفة على شـواطىء الفـرات ، وهنـاك استسلم كليـة لميوله المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات المـواقع ، ونسى العنـاية بالحكومة أمـام تهديد المسـلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشـار اليـه نيرسيس فى قصيدته عن رثاء الرهـا . فهو عندما يشير الى أن زنكى هـاجم المدينـة اثنـاء غيـاب جوسلين الثانى منها يقول (٤٩١) :

اختبـأ فى الحقـول (يعنى زنكى)
ثم أجهز على على حين غرة

---

(٤٨٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8.
(٤٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 399.
(٤٨٨) Zoé : Ibid., p. 292.
(٤٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 53.
(٤٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102.
(٤٩١) Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246.
الأبيات من ٦٢٤ — ٦٣٠

فى ســاعة لا انتظرهــا
اذ أنه ما أن تحقق وتيقن
من غيــاب رجالى وحماتى
حتى حاصرنى من كل جانب
وهـــاجمنى بقســواته

والواقع ان تلك الظروف ، الى جـانب ظروف أخرى ـ سنذكرها فيما بعـد عند الكلام بالتفصـيل عن عمـاد الدين زنكى والرهـا ـ شجعت عماد الدين زنكى على التوجـه الى الرهـا ١١٤٤م (٥٣٩هـ) وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنـه نور الدين فى نفس السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط امـارة الرهـا يعتبر من ابرز الموضوعات التى يمكن بحثـها فى عهد جوسلين الثـانى .

وباعطاء فكرة من جوسلين الثـانى وعهده تكن صـورة الوضـع الداخلى للامارة قد اتضحت ، وسـوف تتضح معـالمها أكثر بالكلام عن العلاقات الخارجية للامـارة سواء مع المسلمين او الصـليبيين أو مع الأرمن أو البيزنطيين ، وهو ما سنتعرض له بالدراسة فى الباب الثـانى من بحثنـا هذا . ولكن قبـل أن ننتقل من هـذا الباب الى ما يليـه ، يجدر بنا ان نوضح نقطة هـامة ربما تتردد على السنة المتسائلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضـارية بوجـه عـام لامارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى أى مصدر من المصـادر التى رجعنا اليها على مجرد اشـارة عـابرة عن أى نوع من المنشآت التى خلفها الصليبيون فى الرهــا ، وربمــا نجد تفسيرا لذلك فى أن الفترة التى عاشتها الامارة كانت أقصر من غيرها من الامارات الاخرى فى الشرق ، فهى لم تعش أكثر من نصف قرن تقريبـا ، قضى حكامها ـ اذا استثنينا جوسـلين الثـانى ـ معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم المتعددين . لذا لم تكن هنـاك اية فرصة للشعور بالاستقرار والطمأنينة بسبب موقع الامـارة المعرض للخطر كما راينـا . والمعروف أن النشاط الحضارى لابد له من سياج من الاستقرار والأمن ، وهو مـا لم يتوافر لتلك الامـارة القصيرة العمر .

الباب الثانى

علاقة امـارة الرهـا الصليبية بجيرانها

أ ــ علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها .
ب ــ علاقتها بالامـارات الصليبية فى بلاد الشـام .
جـ ــ علاقتها بالأرمن خارجها .
د ــ علاقتها بالدولة البيزنطية .

اولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع امـارة الرهـا وسط اقليم الجزيرة ، جعـل منها قلعة مسيحية وسط محيط اسلامى كبير ، أحاط بها من جميع النواحى والجـهات . ولا شـك فى أن هـذه الحقيقة تعنى أن امـارة الرهـا الصليبية كانت أكثر تعرضا من غيرها لضغط القوى الاسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثـانى عشر الميلادى فى صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

أما من تلك القوى الاسلامية التى أحاطت بامـارة الرهـا ودخلت معها فى صراع طويل ، فأولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية فى بغداد .

والى جانب تلك القوة الاسلامية الكبرى وجـد بالعراق مركز آخـر من مراكز القوى الاسلامية ممثلا فى بنى مزيد أمراء الحله (١) . وهؤلاء لعبوا دورا هـاما ــ وخاصـة أميرهم دبيس بن صدقة ــ فى مناهضة الفرنج كما سنرى فيما بعد . والى الغرب من نهر الفرات وجـد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم أو سلاطين قونية(٢) . أمـا فى الشمال الغربى من الرهـا ، فقـد وجـد مركز آخر للاتراك المسلمين ممثلا فى بنى دانشمند الذين استقروا فى شرق آسيا الصغرى(٣) .

---

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغـداد وكانت تسمى الجامعين (ياقـوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ٣٣٢ ــ طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسدى رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

(٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

فاذا اضفنا الى هؤلاء جميعا الأراتقة أو بنى أرتق وهم زعماء مجموعة هامة من التركمان اتحدوا مع السلاجقة فى غزوهم لبلاد الشام (٤) ونجحوا فى الاستقرار بالقدس قبيل قدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا فى استرداد القدس منهم مما جعل زعيمهم ايلغازى يسير الى بغداد فى حين اتجه اخوه سقمان الى الرها ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . ادركنا أن امارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعة قوية من جيراتها المسلمين .

اما عن علاقة الرها بسلاجقة فارس ، فيبدو أن محور هذه العلاقة كان اتابكية الموصل التى كانت تتبع سلطنة السلاجقة وبالتالى فقد عهد اليها سلاطين السلاجقة بمواصلة سياسة الجهاد باسمهم ضد الصليبيين فى اقليم الجزيرة فضلا عن بلاد الشام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١هـ) (٦) حتى خرج كربوغا اتابك الموصل (٧) على راس حملة كبيرة لتخليص انطاكية من الحصار الصليبى . وفى طريقه من الموصل الى انطاكية مر كربوغا بالرها فى مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢هـ) ، فشرع فى حصارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كربوغا أرسل مقدما الى الرها

---

(٤) Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٥) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كربوغا قد سجن فى حمص بواسطة تاج الدولة تتش اثناء الصراع بينه وبين بركياروق وكان كربوغا من الناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كربوغا من السجن وتوجه الى حران فملكها . ثم صار الى نصيبين فملكها ايضا وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلى - الذى استنابه بها تتش بن الب ارسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصل الى صدقة بن مزيد بالحلة . ثم سار كربوغا نحو ماردين فملكها ايضا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢٠٨) .

(٨) Setton :Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٩) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396.

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذى يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على أنه يبدو ان فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معـه تماما فى فكرة حصـاره للرها (١١) . ولكن كربوغا ــ على قول وليم الصورى ــ « صمم عندئـذ قبـل عبور الفرات ، أن يهاجم الرهـا وان يأخذهـا بالقوة (١٢) » . وبمجرد أن تلقى بلدوين البولونى انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرهـا لمسـاعدته ، واختزن فى المدينـة كميات كبيرة من الطعام والسـلاح ، استعداد لحصـار طويل ، ولم يبد تاثرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الامر كان أصعب مما تصور كربوغا ، فقـد ظل امام الرهـا حوالى ثلاثـة أسابيع دون أن يحقق غرضـه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض اعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستأنف طريقه الى انطاكيـة ، على أن يعودوا الى الرهـا لحصـارها وتأديب صـاحبها بلـدوين بعـد الفراغ من الاستيلاء على انطاكية (١٥) . وفعلا ترك كربوغا الرهـا واسرع الى انطاكية لمسـاعدة صـاحبها (١٦) ياغى سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصـل بدقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صـاحب حمص وارسـلان تاش صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجـه الجميع قاصـدين انطاكيـة (١٧) . ومن

---

(١٠) Alberti : Ibid., p. 397.

(١١) Alberti : Ibid., p. 397.

(١٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(١٣) William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246.

(١٤) Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500, Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345, William : Ibid., V. 1, p. 246.
(يذكر وليم انها من ٤ الى ٢٥ مايـو)
Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210 من (Fulcher, Mattew).

(١٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397, William : Ibid., V. 1, p. 246.

(١٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345.

(١٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٨٧ .

الواضح أن اخفاق كربوغا امامها ادى الى « رفـع مكانة بلدوين ، كما ان الصليبيين أمام انطاكية افادوا من الوقت الذى اضـاعه كربوغا امام الرهـا (١٨) » . ويؤيد وليم الصورى هـذا الراى فيشير الى أن التاخير من جانب جيش المسلمين أمام الرهـا انقذ الصليبيين امام انطاكية لانه لو كان كربوغا قـد سـار مباشرة الى انطاكية قبل وقوعها فى قبضـة المسيحيين ، لوقـع الصليبيون فى مازق (١٩) .

اما (الجستا) فتشير الى ان بلدوين تعمد تعويق كربوغا وجيشـه أمام الرهـا رغبة منه فى مسـاعدة اخوانه الصليبيين امام انطاكية (٢٠) . ومهما يكن من أمر ، فان كربوغا لم يقدر له أن يصبح مصدر خطر على الرهـا بعد فشله امام الصليبيين فى الشـام . وقـد خلف كربوغا فى حكم الموصل الأمير جكرمش (٢١) . الذى رأينا انتصـاره على الصليبيين فى موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما أثر على الرهـا تاثيرا شـديدا خاصة بعـد أسر اميرهـا بلدوين دى بورج وجوسـلين دى كورتناى اخطر اعوانه . هـذا الى ان جكرمش لم يكتف بأسر بلدوين بل اسرع الى الرها وحاصرها ولكنه أخفق فى الاستيلاء عليها بسبب بسـالة تذكريد فى الدفاع عنها وصمود سكانها الأرمن (٢٢) ، لذا عـاد جكرمش الى الموصـل بأسيره بلدوين (٢٣) .

ويبـدو أن جكرمش صمم على أن ينتقم من هزيمته هو وقواته أمام اسوار الرهـا ١١٠٤م فـعـاد الى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على راس

---

(١٨) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210 عن (Fulcher, Mattew)

(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينهما لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائبا عن كربوغا بحصن كيفا ، فلما مات كربوغا كاتبه أعيان الموصل ليسلموا اليه البلد فسـار اليها وقتل سنقرجة الذى عهد اليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتسـلم البلـد وقـد قتل موسى فى نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الأثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Alberti)

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ .

قواته ، ووصل الى المدينــة وقت الحصـــاد (٢٤) . وكانت أوضــاع الرهـــا قــد تبدلت فى ذلك الوقت اثناء اسر بلدوين دى بورج بسبب المظالم التى انزلها ريتشارد دى ســالرنو بأهالى المدينــة ، مما أتاح ظروفا مناسبة لجكرمش وجيوشـــه .

ذلك ان ريتشـــارد اندفع على رأس قواته المشــاه ، ليشتبك مــع جكرمش ، ولكن قوات الاخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت برجـــال ريتشـــارد والقت بهم داخل الخنــادق المحيطــة بالبلد . وخسر المسيحيون فى تلك الموقعــة أربعمائة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك اضـــافت تلك الحملة التركية الاسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ، جرحـــا جــديدا الى جرح العـــام الســابق فى الرهـــا .

وجدير بالذكر ان المؤرخ وليم الصورى انفرد بالاشــارة الى حملة قام بهـــا الأتراك الســـلاجقة اثناء اسر بلدوين وجوسلين . وفى الفترة التى حكم فيها ريتشـــارد دى سالرنو . وبدراســـة هذا النص (٢٦) . الذى ذكره وليم الصورى نجد هناك تشـــابها بين احداث تلك الحملة وبين حملة مودود على الرهـــا ١١١٠م ــ ٥٠٤هـ ، على انه لا يمكن ان نتصور أن وليم يقصـــد هنا حملة مودود لأن هـــذه الحملة كما سنرى فيما بعـــد كانت قـــد تمت بعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن فى فترة وصاية تنكريد على الرهـــا ، وانما حدثت فى وقت استحكم فيه الخلاف بين كل من بلدوين وتنكريد ، حتى أن تنكريد لم يحضر لمســاعدة الرهـــا ضد حملة مودود هـــذه الا تحت ضغط ملك القـــدس سيده الأعلى . وحقيقة هـــذه الحملة التى اشـــار اليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

ومهما يكن من أمر ، فقد امتلك الموصـــل بعد جكرمش ، جاولى سقاو الـــذى حكمها من ٥٠٠ ــ ٥٠٢هـ (١١٠٦ ــ ١١٠٨م) وهو الـــذى عصى الســـلطان محمد كما اشرنا ، كما أطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد أن تم اتفاق بين الجانبين بأن ينجد كل منهما الآخر وبأن يطلق بلدوين من لديه من اسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صـــاحب جاولى مايه

---

(٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 437 (Mattieu) عن

(٢٥) Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438.

(٢٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473.

وستين اسيرا من المسلمين بعد أن كساهم جميعهم ، وكان هذا من عجيب الأشياء (٢٧) » .

كذلك اتضح هذا التعاون بين الجانبين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م عندما لبى جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وساعدهما فى هجومهما على تنكريد أمير انطاكية (٢٨) . وعلل متى هذا العداء بين امراء الصليبيين بان تنكريد انتهز فرصة اسر بلدوين وجوسلين وانتزع اجزاء من اراضيهما ورفض رد تلك الأراضى بعد اطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم الى هذا الحدث فيقول انه « فى ٥٠١هـ أو ٥٠٢هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسلين الفرنجى على حرب تنكريد صاحب انطاكية واستنجد تنكريد برضوان فأمده بعسكر حلب والتقوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب ان نشير اليه هو انه اذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية اخرى من اجل استرجاع اراضى امارة الرها لصاحبها الشرعى بلدوين بعد اطلاق سراحه كان من الأسباب التى دفعت بلدوين الى ان يمد يده لجاولى ، فان جاولى من ناحية اخرى مد يده لبلدوين لانه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود — كما سبق ان اشرنا — كان يطمع فى تكوين امارة لنفسه ، ان لم يكن فى الجزيرة فليكن فى حلب على حساب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من ان جاولى صمم العبور الى الشام والاستيلاء على حلب بعد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التى كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قد استولى بالفعل ٥٠٢هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة بالس وهى من اعمال حلب (٣٢) . وانتزعها من اصحاب رضوان بن

---

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٢٨) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٢٩) Mattieu : Ibid., p. 86.

(٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (أ) .

(٣٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ .
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

متش وقتل جماعــة من اهلها (٣٣) . ولمـا تحقق الملك رضوان من عزم الأمير جاولى على قصـــده استنجد بتنكريد امير انطاكية وخوفه عاقبة استيلائه على حلب لأنه فى هـــذه الحالة لن يكتفى بتهديد انطاكية وحدها وانما سيهدد الصليبيين جميعا بالشـــام « والصواب أن أكون أنا وأنت يدا واحـــدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فاجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث أن خرج تنكريد من انطاكية فأرسل اليــه الملك رضوان بأحـد اعوانه من الاتراك ومعـــه ستمائة فارس (٣٥) .

ولمـــا علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صـــاحب الرهـا يستدعيه الى مســـاعدته ووهب له ما بقى عليه من مال المفاداة الذى قرره عليه حين اطلقه من أسره فســـار فى عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبـــدوا أن بلدوين لم ينس أن جاولى اكرمه فى الموصل (٣٧) .

وفى تلك الاثناء وصلت الأخبار الى جاولى بان الموصل اخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضـــاعت خزائنه وامواله فتالم لذلك (٣٨) . وبقى جاولى فى الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعـــة ونزل على تل باشر والتجأ الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضـــح ان احداث تلك الفترة تبدو مضطربـــة متداخلـــة فى

وسعيد عاشور . الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشــام بين حلب والرقـــة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، حـ ٢٥ (أ) ، العينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ، ص ٦٤٠ ، الطبـــاخ الحلبى . اعلام النبـــلاء حـ ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى)
Michel : Op. Cit , p. 215,

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (أ) - العينى : حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ .
Grousset : L'Empire, p. 83.

(٣٦) ابن الفرات : المصـــدر الســـابق نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ ـــ ٤١ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

(٣٧) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ، ص ٢٥ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، حـ ٥ ، ص ٤١ ، الطباخ ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

المصــادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق أن ذكرنا من ان جاولى قــد أخرج بالفعل من الموصــل عندما عبر الى الشــام واستولى على بالس واستعان ببلدوين مما يتعارض مع ما ذكرتــه بعض المصــادر من أن أخبار استيلاء مودود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشــام . ويبدو أن المقصود بذلك هو الاستيلاء الكــامل على الموصل من قبل مودود بدليل مــا ذكره ميخائيل السريانى من أن رجــال جاولى كــانوا متحصنين فى القلعة (٤٠) . وأن زوجته كانت بالقلعة لتتولى أمر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجى اسلامى ، الأول ويضم جاولى وبلدوين دى بورج وجوسلين ، فى حين يضم الثــانى تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحــدث الاشتباك بين الفريقين عند أطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الأول ، ولكنها تحولت بسرعة الى جانب تنكريد الذى نجح فى ان ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

وبعــد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد الى انطاكية (٤٤) ، فى حين فر بلــدوين هاربــا واحتمى بقلعــة الراوندان (٤٥) ، وقيــل بقلعــة دلوك (٤٦) . اما جوسلين ففر الى تل باشر حيث اصبح فى مأمن (٤٧) . ولابن الفرات وصف شيق لتلك المعركــة سنذكره عندما نتناول العلاقــة

---

(٤٠) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٤١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394.

(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ .
Grousset : L'Epopée, p. 83.

(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 87
الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٠٣
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

(٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 87.

(٤٥) Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٤٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649.
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ عن
Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert)

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 87
أمــا ابن الأثيــر : الكــامل ، حـ ٨ ، ص ٢٥٥ فيــذكر (أن القمص وجوسلين هربا الى تل باشر) يذكر هــذا أيضــا ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤١ .

بانطاكية . اما عسكر حلب فعاد الى رضوان وتسلم بالس من اصحاب جاولى (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه — ٤٩٩ — ٥١٢هـ/١١٠٥م — ١١١٨م (٤٩) . الذى خلف اخاه بركياروق فى حكم سلاجقة فارس — استاء من تقدم الفرنج فى الشام فعزم على تجهيز جيش قوى ليشرع فى حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته فى ديسمبر ١١٠٩م/٥٠٣هـ وارسل الى الأمير سكمان القبطى أو سكمان بن أرتق (٥١) . صاحب ارمينيا وأخلاط وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل يامرهما بالسير فى العساكر الى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) . وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة الى الأمير مودود امير الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش اسلامى كبير زاد عدده عن مائة الف مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الاسلامية على الرها فى شوال ٥٠٣هـ (٥٥) (مايو ١١١٠م) (٥٦) . وحاصروها . وهنا

---

(٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

(٥٠) Zoé : Op. Cit., p. 241.

(٥١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٩٩ . يسميه شالندون ، كقمان Kokman

Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

(٥٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، جـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٩٩ ، تاريخ ابو الهيجاء، جـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٠٣هـ .

(٥٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 449.

(٥٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٥٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، جـ ٢ ص ١٥٤ Gibb : p. 101

(٥٦) ابن القلانسى : نفس المصدر والصفحة .

Gibb : Ibid., p. 102.

يصور متى الرهـــاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيش انتشر حول المدينـــة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان مصطفا تحت اعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المســلمون بالمدينــة منعوا الداخل والخــارج بالمسير اليها ، مما اثر تاثيرا سيئا فى المدينــة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر (٥٨) . وفى ذلك الوقت كان ملك القــدس وامير طرابلس يحاصران بيروت فارســل اليهم الأمير بلدوين دى بورج الأمير جوسلين دى كورتناى يطلب النجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالشــام ، واجتمعت قوات بيت المقــدس وطرابلس وانطاكية لمحاربة المسلمين (٦٠) . وبعبارة أخرى « اتفق الفرنــج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء فتصــافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعــد النفار (٦١) » . وعندما سمع طغتكين فى دمشق باجتماع كلمة الفرنج ســار هو الآخر ليلحق بالجيوش الاســلامية المحــاصرة للرهـــا (٦٢) .

وعندما علم المسلمون باقتراب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

---

(٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 91.

(٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ

Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣١ ،

Gibb : Ibid., p. 99

Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٦٠) ابن القلانسى : الذيــل ، ص ١٦٦ Gibb : Ibid., p. 102.

وهذا ما اشـار اليه البرت بقوله « تم الأتفاق واتحدت القوات والاسلحة » .

Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحــاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١، حوادث ٥٠٣هـ .

Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

، وملاقات خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها فى آخر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ ـ الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا أرض حران على سبيل الخديعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حدث فى موقعة حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج فى فخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربة السابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمة أو من الخوف كما يفهم من كلام بعض المصادر والمراجع (٦٥) .

وفى ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقى (٦٦) . أما الفرنج الذين عبروا الفرات ليتعقبوا المسلمين فى حران فقد فطنوا لهذا التدبير فخافوا واستشعروا الهلاك واسرعوا بالانسحاب الى شاطىء الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم واتوا على عدد كبير من اتباعهم قتلا واسرا وتغريقا فى الفرات ، حتى امتلأت أيدى المسلمين من الغنائم والأسلاب والسبى والدواب (٦٧) .

وكان أن اسرع الفرنج الى الرها ليجلوا عنها كافة السكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الأرمن للدفاع عنها وزودوها بالمؤن

---

(٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء حـ ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ. Gibb : Ibid., p. 103.

(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 p. 453.

(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 196, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ .

(٦٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ ، وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « أن الملك وتنكريد تتبعوا المسلمين الى حران كى يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بداوا فى الهرب وانتشروا خلال المناطق المنعزلة لكن ارهق الكثير من بلاط الملك واحتجزت الكثير من القطعان والأطعمة وحملت بعيدا
Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافيــة (٦٨) . ويعلل المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حماية ممتلكاتهم فى الشـــام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صـــاحب حلب لمـــا عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التى كان الافرنج اخذوها باعمال حلب (٦٩) » . فى حين يشير (كاهين) الى ان من اهم الاسباب التى جعلت الصليبيين يجلون من الرهـــا وعلى راسهم الملك بلدوين هو « انه سمع ان الفاطميين انتهزوا فرصـــة غيابه وهاجموا بيروت والقـــدس (٧٠) » .

على ان الســـكان الذين اجلوا من الرهـــا لم يسلموا من المسلمين فقـد باغتهم مودود وقـــامت مذبحـــة كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعـــد ذلك فى كل ديـــار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالت اقامة الجيش الاسلامى حول الرهـــا اخـــذ المسلمون يعانون مشـــاكل الامـــداد والتموين ممـــا اضطرهم الى التفرق وانصرف كثيرون منهم (٧٢) . وهكـــذا تبددت الحملة الاسلامية بعـــد أن اشرفت على النجـــاح ، فعاد بلدوين دى بورج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

ومهما يكن من فشـــل هـــذه المحاولة ، فى سلســـلة الجهاد ضـــد الصليبيين فى تحقيق اهدافها ، فانها تدل فى الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقـــع أن تلك الحملـــة تركت آثارا واضحة على

---

(٦٨) ابن القلانسى : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر ان الرهـــا زودت بمحصول عـــام ، لأن المواطنين كانوا فى حاجـــة اليه كثيرا بعـــد أن دمر الاتراك المنطقـــة المحيطة بالمدينـــة .

Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ١٩٤ .

(٧٠) Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 105

(٧٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص . ٥٠٤ عن Albert .

Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرهـا من الناحيتين الاقتصـادية والسـكانية سنتناولهما بالتفصيل فى مكان آخر من هـذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان السـلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تنكريد لجـأ الى شراء مسالمة أمير حلب بالمـال ١١١٠م الا أنه عـاد فى العـام التالى وقام بغزوة على حلب اثارت الرعب فى قلوب الأهالى (٧٥) . الأمر الذى جعل رضوان صـاحب حلب يرسل مستصرخا كلا من السلطان السـلجوقى والخليفة العباسى فى بغداد (٧٦).

ويقال ان جماعـة من أهل حلب سـاروا الى بغـداد « مستنفرين الناس على الفرنج فأجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصـدوا جامـع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعـدهم السلطان بتجهيز العسـاكر وارسل من دار الخليفـة منبرا الى جامـع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية قصـدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغـداد فمنعهم صـاحب البـاب من الدخول فغلبوا عليـه ودخلوا الجـامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكسـروه وبطلت الجمعـة وارسل الخليفـة الى السـلطان فى المعنى يـامره بالاهتمام بهـذا الفتق (٧٧) » .

وفى ذلك الوقت كان العـداء قـد بلغ اشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الأمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقى يحضـه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . « وترك التراخى فى امرهم واستعمال الجـد والاجتهاد فى الفتك بهم قبل

---

(٧٥) Archer : Op. Cit., p. 148,

(٧٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦١ ، العينى : عقـد الجمان ، هـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الأثير ، وكان ذلك ٥٠٤هـ ــ ١١١٠م . بة

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٠ ــ ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضـــال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) » . وقــد كان وصول رسول ملك الروم الى بغــداد فى نفس ٥٠٤هـ ١١١٠م التى وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفــع أهالى حلب الى السلطان قائلين « أما تتقى الله تعالى أن يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك فى جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان أن يكون الكسيوس قــد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومــع ان هــذا الراى قــد خفى على المسلمين الا أن عزيمة بغــداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١).

وادى هذا التيـــار الى استئناف حركة الجهاد ضــد الصــليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥هـ) حركة تعبئـــة حقيقيـــة داخــل الدولة السلجوقية فى فارس (٨٢) ، وجهز الســلطان جيشـــا كبيرا ضم « الأمير مودود صــاحب الموصــل وسكان القطبى صــاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر و الاميران ايلنكى وزنكى أبنا برسق حاكم همدان وخوزستان والأمير احمد بك واحمديل أو احمد الثــانى الكردى (٨٣) صــاحب مراغـــة فى آذربيجان ، وابو الهيجـــاء صــاحب اربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

---

(٧٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع الســابق ، ص ٤٦١ عن ابن القلانسى ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الأخيران الامبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الامبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية فى طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٦ ، ســعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦١؛ عن ابن الاثير
Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

(٨٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، ســبط بن الجــوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : النجــوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١ ، العينى : عقــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٤هـ والراجح أن ذلك غير صحيح) ، ابن خــلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩٤
Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيـــادة مودود من جديد لمحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يشـــأ مودود أن يضيع الوقت ، وانمـــا راى أن يهـــاجم بعض القلاع الصليبية فى منطقة الرها ، ونجح فى الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى اذا ما تكامل تجمع الجيوش الاســـلامية فى سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرهـــا ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليـــها (٨٨) . ذلك أن مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منـــذ العـــام السابق (٨٩) ، فى الوقت الذى كان الجيش الاسلامى يعانى من نقص المؤن ، ممـــا اضطر مودود الى التخلى عن حصـــارها (٩٠) .

وهنـــا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة١١١١م (٥٠٥هـ) هـــذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٠٣هـ) . فذكرت

---

(٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216.

(٨٦) ابن الأثير : البـــاهر ص ١٧ ،

Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216

ابو شـــامه : الروضـــتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر أن ذلك كان سنة ٥٠٢هـ والصحيح ٥٠٥هـ)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 عن (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٢ . سعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٤٦١ من ابن الأثير .

(٨٨) ابن الأثير : البـــاهر ، ص ١٧ ،

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,

ابو شـامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٨ ، ابو الفـــدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٢٥ ابن لوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ .

(٨٩) Fulcherii : Op Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463, L'Epopée, p. 89.

(٩٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

أن المسلمين عندما فشلوا فى الاستيلاء على الرهـــا ٥٠٥هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرهـــا وحملوا اليـــها المؤن والذخـــائر ثم أجـــلوا الضعفاء من المدينـــة ونقـــلوهم الى الجـــانب الشـــامى (٩١) .

والواقع هو أن الجيوش الاســـلامية قضت امـــام الرهـــا ١١١١م (٥٠٥هـ) بضـعة أيـــام ثم تركتها بعـــد ذلك واتجهت الى سروج ولكنهم قبل أن يعبروا نهر الفرات توقفوا أمام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك فى نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥هـ) وكان بهـــا عندئذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الاتراك باعدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمســـة واربعين يوما لكنهم اخفقـــوا فى الاســـتيلاء عليها (٩٤) ، فاكتفوا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفى تل باشر حـــدثت بعض الظروف التى حـــالت بين مودود وبين تكملة مهمته فى امـــارة الرهـــا ، اذ توفى عندئذ سكمان القطبى وحمـــل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتشفى متى الرهـــاوى من موت سكمان ويعتبر ذلك « عقـــابا أنزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لاقليم الرها والمذابح التى قـــام بها فيه (٩٧) » .

---

(٩١) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ١٩٤ ، عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ (من تـــاريخ بيبرس) ، الطبـــاخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ، ص ٤٠٦ .

(٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٩٤) أبو شـــامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٩ . Mattieu : Op. Cit., p. 96.

(٩٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٦) الفـــارقى : تاريخـــه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفـــارقى : تلخيـــص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

(٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

كذلك كان البورسقى صاحب همذان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من اهم العقبات التى فككت وحدة الجيوش الاسلامية وقتذاك هذا بالاضافة الى ما دب فى صفوفهم من خلاف « فقد طمع احمد يل فى بلاد سكمان وهى ارمينية وخلاط وديار بكر (٩٩) » .

ولا ادل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذى تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك انه « منذ فترة طويلة سمع احمد يل عن تمجيد شجاعة جوسلين فتم بينهما اتفاق ودى اصبحا عن طريقه اخين »(١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد أن المصادر والمراجع تشير الى انه فى الوقت الذى كانت تل باشر على وشك السقوط فى أيدى المسلمين التمس جوسلين النجدة من احمد يل الكردى وحمل اليه مبلغا من المال فى مقابل قيامه بابعاد الجيش المحاصر فوافق احمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا الى أن المسلمين بالشام ارسلوا الى مودود يستنجدونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تنكريد الذى هدد شيزر وقطع عنها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رضوان صاحب حلب بمودود واحمد الكردى وارسل يستحثهما على الاسراع اليه قائلا

---

(٩٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان . حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢
المرجعين عن (ابن العديم)، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ (عن ابن العديم ، ابن القلانسى) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« انني قد تلفت واريد الخروج عن حلب فبادروا الى الرحيل » وعندئذ اقتنع أحمد الكردى الأتراك بترك حصار تل باشر والاتجاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمأن جوسلين الى ابتعاد المسلمين عن قلعته خرج على راس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومائة من المشاة وباغت مؤخرة الجيش المنسحب وقتل منه حوالى الف رجل وعاد الى تل باشر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهاوى أن مودود غادر تل باشر الى شيزر (١٠٥) نجد المصادر الاخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهي المفروض ان يمر عليها أولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحملة بالتفصيل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالاشارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجد بالسلطان والخليفة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسلمين وهم امام تل باشر . ذلك انه حدث عندما اقترب الجيش الاسلامى من حلب ان خاف رضوان على امارته من جيش المسلمين وبدأ يعمل حسابا لأطماع أمراء المسلمين اكثر مما عمل لأطماع تنكريد (١٠٧) . لذلك ارسل الى مودود وأحمد الكردى يخبرهم « بانه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبادر عند وصول الجيش الاسلامى

---

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٤٦٢ (عن ابن العديم) .

(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة عن (Albert)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.

(١٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

(١٠٦) Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 244.

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ح ٨ ق ١ ص ٣٦ ، أبو الفدا : ح ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، ح ٢ ص ٢١ .

(١٠٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 464, L'Epopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة فى وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بـأن عاثوا فى ضـواحى حلب و « فعـلوا اقبـح من فعـل الفرنج »(١١٠) .

وفى ١١١٢م (٥٠٥ ــ ٥٠٦هـ) قـام مودود بحملتـه الثـالثة على الرهـا وفى تلك المرة توجه اليـها بمفرده (١١١) . دون أن يشاركه أحد من باقى أمراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التى أحاطت ببقية الأمراء فى ذلك الوقت وانشغالهم بخلافاتهم أو بمرض بعضهم أو وفـاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الى تلك الحملة بشىء من الايجـاز فوصفت كيف سـار مودود صـاحب الموصل الى الرها فى المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شأن الفرنج ولم يحترز منهم ، فلم يشـعر الا وجوسـلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المراعى فأخذ الفرنج كثيرا من العسـكر فلمـا تأهب المسلمون للقـائه انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع أن مودود ظل محاصرا للرهـا حوالى شهرين من أبريل الى

---

(١٠٩) سـبط بن الجـوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ٢١ ، كرد على خطط الشـام ، حـ ١ ص ٢٩٧ ،

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit., p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١١١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجـوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٦٧١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

يونيه ١١١٢م (١١٣) (ذو القعدة ٥٠٥هـ ، المحرم ٥٠٦هـ)(١١٤) كما ذكر ابن القلانسي . وفي خلال هذين الشهرين حاول مهاجمة الرها مرتين(١١٥) .
ويبدو ان هجومه كان مباغتا لم يتوقعه اهل الرهـــا الذين كانوا مشغولين ببعض أعيـــادهم (١١٦) .

وعندما وجـد مودود أن الرها صعبة المنـــال تحول الى سروج المركز الفرنجي الثـــاني شرقي الفرات(١١٧) . وهنـــاك ترك خيوله ترعى في المناطق المحيطة دون أن يعنى باتخاذ اية تدابير وقائية ضد أعدائه(١١٨) .
ونسي أن جوسلين اسرع الي سروج ليعاقبه بضربة قاسية(١١٩) . ذلك ان جوسلين اسرع على رأس ثلثمائة فارس ومائة من المشـاه الى سروج حيث انقض على الاتراك البـــالغ عـــددهم الف وخمسمـائة ، فاوقع بهم واخذ خمسة من زعمائهم اسرى وغنم امتعتهم ، وعندئذ اسرع من نجـــا من الاتراك بالفرار الى حيث مودود قرب الرهـــا . وعندما علم مودود بما حـــدث تقدم ضد جوسلين الى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا الى الرهـــا (١٢٠) .

---

(١١٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١
Gibb : Op. Cit., p. 127.
والراجح ان التـــاريخ الذى حـــدده ابن القلانسي هو الصحيح لانه المعاصر اكثر لتلك الأحداث وان بقية المصـــادر السابقة قد اخرت بداية تلك الحملة شـــهرا عنـــه .

(١١٥) Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٨) ابن القلانسي: الذيل ، ص ١٨١ Gibb : Op. Cit., p. 127.

(١١٩) ابن القلانسي : نفس الصفحة Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١٢٠) Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

ويعد ان قضى مودود سبعة ايام امام سروج عاد مرة اخرى الى الرها (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه اليها ليساعد بلدوين دى بورج (١٢٢) . ولكن حدث أن قام الارمن بمؤامرتهم فى الرها ، وهى المؤامرة التى سنتعرض لها بالتفصيل فى فصل طبقات المجتمع . ويهمنا من امر هذه المؤامرة الآن ان بعض المراجع اشارت الى ان مودود اوشك أن يستفيد من تلك الأحداث ويستولى على الرها(١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مودود لم يوفق فى حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربية الى حملة اخرى قام بها مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) بالاشتراك مع « تميرك صاحب سنجار والأمير اياز بن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق . وساروا جميعا الى الشام فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منهم عندئذ بغدوين صاحب القدس وجوسلين صاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية فى ثالث عشر المحرم فهزم الفرنج وكثر القتل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك ان جوسلين كان يحارب عندئذ بوصفه تابعا لملك بيت المقدس . ولم يكن فى ذلك الوقت « صاحب تل باشر والرها » . كما ذكر ابن الاثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينه وبين بلدوين دى بورج وبعد طرده من امارة الرها .

ويهمنا من أمر هذه الحملة انها كانت أول بادرة للاتحاد بين الامراء

---

(١٢١) Mattieu : Ibid., p. 101.

(١٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١٢٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٢٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٨ .

المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة لتلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يذكر انه كان لها تاثيرها البالغ عليها . وهو ينفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧هـ) ان تقدم الأمير مودود قائد جيوش المسلمين على راس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران فى الوقت الذى كان بلدوين امير الرها موجودا بقواته فى مدينة تل باشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه ان حشدا من الاهالى تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الأمير تلك الوشايات فارسل فى الحال الى امير سروج بأن يحضر الى الرها وامره باخراج الاهالى المشتبه فى سلوكهم . وهكذا سفكت دماء كثير من الابرياء وهلك اناس لا ذنب لهم مما ترك اثرا سيئا فى نفوس أهل الرها الارمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد احد الباطنية وذلك فى ربيع الأول (١٢٩) اكتوبر ١١١٣م (١٣٠) . وبعد مقتل مودود « اقطع السلطان

---

(١٢٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

(١٢٨) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104-105.

(١٢٩) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٦٧ (آ) . ويبين ابن الاثير ذلك بقوله : ان الأمير مودود كان قد اذن للعسكر الاسلامى بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه فى الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ممسكا بيد طغدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائما فحمل الى دار طغدكين الذى حاول ان يجعله يفطر فرفض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فانى ميت لا محالة » . وتوفى بعد ذلك فقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغدكين فوضع عليه من قتله .

(١٣٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) » .
ويبدو ان ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى السلطان مكانه من هو أكفأ ، ولم يلبث ان سير السلطان الأمير قسيم الدولة آقسنقر الى الموصل واعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر وتمبرك صاحب سنجار وغيرهما (١٣٣) . وكان ان زحف البرسقى على ماردين فنازلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا يقدر بثلثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل الجميع الى الرها فى ذى الحجة ٥٠٨هـ (١٣٥) — ١٥ مايو ١١١٤م (١٣٦).
وبلغ عدد جيش البرسقى فى تلك الحملة حوالى خمسة عشر الف فارس (١٣٧) .

على ان الرها صمدت لآقسنقر « واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ

---

(١٣١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٥ ص ٢٠٧ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit., p. 403.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم (١٣٨) » . وقد ظل حصار الرها مدة « شهرين وأيام (١٣٩) » . وقيل شهرا (١٤٠) .

وكان أن دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن آقسنقر الى رفع حصاره عن الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتى سميساط وسروج (١٤١) . ويقول متى الرهاوى انه وصل الى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فاجتمع كل الفرنج فى تلك الضفة الغربية من النهر ضده فعاد البرسقى الى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢) . والراجح انه اشتبك وهو فى طريق عودته فى معركة مع ايلغازى بن ارتق امير ماردين لانه لم يلحق به بنفسه.(١٤٣) . فقاتله ايلغازى « والحق به الهزيمة واسر ابن السلطان ولكنه اطلقه بعد فترة (١٤٤) » . وعاد آقسنقر بعد حملته هذه الى بغداد . وترك الموصل ليقيم بها الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة اربع عشرة وخمسمائة (١٤٥).

---

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٤٧٢ .

(١٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491.

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٩ أما ابن الفرات مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (ب) فيذكر انه نزل على سروج خمسة ايام واكل العسكر غلاتها وزرعها . أما ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجار وسميساط) والراجح انه اخطأ ووضع سنجار بينهما .

(١٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل . حـ ٨ ص ٢٦٩ .

(١٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

اما اثر الهزيمة التى حلت بآقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقـــام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومـــع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هـــذا بالاضـــافة الى أن السلطان احل برسق بن برسق حاكم همذان ، محل آقسنقر قائدا عاما لحركة الجهاد ضـــد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصـــل امام الرهـــا ١١١٥م (٥٠٩هـ) وبعـــد أن « اســـتراح بضعة ايـــام (١٤٧) » . عبر الفرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . فى حين يشير متى الرهـــاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد ان استراح امام الرهـــا ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى انطاكية وشيزر . وفى تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الأولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن ارتق وطغتكين امير دمشق ولؤلؤ الخصى امير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة ألب ارسلان (١٥٠) . وقـــد أوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو أن البعض يذكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبـــا لم تخرج فيها حملات من قبـــل الســـلاجقة او الموصل ضـــد الرها ، وان كانت الرها قـــد تعرضت فى

---

(١٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(١٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(١٤٨) Setton : Op. Cit., p. 404.

(١٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(١٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.

(١٥١) Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.

(١٥٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

. ربما يكون الفاصـــل هنا هو راى ابن الأثير الذى ذكر عن تلك الحملـــة انه عندما توجـــه جيش برسق ابن برسق الى حمـــاه للاستيلاء عليهـــا « ســـار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصـــاحبها روجيل وسألوه ان يســـاعدهم على حفظ مدينة حمـــاه فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صـــاحب القـــدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رايهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقـــام تفرقوا فعـــاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشـــق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢) » .

تلك الفترة لهجمات من جانب الأراتقة كما سنرى ، وفى أثناء تلك الفترة توفى الخليفة المستظهر بالله فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (١١١٨م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفى السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب أرسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١هـ (١١١٧م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفى صفر ٥١٥هـ (١١٢١م) اقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها للأمير آقسنقر البرسقى (١٥٦) . وهذه هى ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا فى عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استنجاد اهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تمرتاش بن ايلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب فى حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكات دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

---

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .

(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ ويذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧ انه توفى فى ٢٤ ذى الحجة ٥١١هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك فى الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ هنا يذكر ابن الأثير فى الكامل سبب توليته فيقول « انه كان فى خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الأثر الحسن فى الحرب بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى ونقدم الى سائر الأمراء بطاعته وامره بمجاهده الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها فى عساكر كثيرة وملكها واقام يدبر امورها ويصلح احوالها » .

(١٥٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ . العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

تنـــاول العلاقات بينه وبين الصليبيين فى تلك الفترة ـــ اى حملاته ضـــد الفرنج عامـــة والرهـــا خاصـــه فى ســـنة ٥١٨هـ (١١٢٤م) ، ٥١٩هـ (١١٢٥م) ، ٥٢٠هـ (١١٢٦م) ـــ الى الجزء الخـــاص بالعلاقات بين حلب والرهـــا حتى تولى حكم حلب عماد الـدين زنكى ٥٢٢هـ (١٥٨) (١١٢٨م) .

وفى سنة ٥٢٠هـ قتل آقسنقر البرسقى بالجامـع العتيق بمدينـة الموصل بعد صـــلاة الجمعـــة بيـــد الباطنية (١٥٩) . فلما توفى ولى السلطان مكانه ابنه عز الدين مسعود الذى ســـار فى الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث ان توفى ٥٢١هـ (١٦٠) . (١١٢٧م) بعـــد ثلاثة أشهر فقط قضـــاها فى حكم الموصل (١٦١) .

وقـــد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على الرحبـــة (١٦٢ ، وهى التى توفى اثنـــاء حصـــارها . ولم يكن لهـــذه الوفاة المفاجئة من نتيجـــة سوى ان جوسلين أسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من اهلها بخنقهم وأسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعـــد وفاة مسعود قام اخوه الأصغر بالحكم بدلا منه وســـاعده فى ذلك جاولى مولى أبيه فارســـل الى الســـلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرسقى وبذل الأموال الكثيرة فى ذلك (١٦٤) » . لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكى على الموصـــل وذلك فى رمضـــان

---

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٨ .

(١٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .

(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .

(١٦١) Michel : Op. Cit., p. 228

(١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٢٣ ، أبو الفدا ، المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .
Michel : Ibid., p. 228.

(١٦٣) Michel : Ibid., p. 228.

(١٦٤) ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣١ ، أبو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

٥٢١هـ (١٦٥) (١١٢٧م) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يسأله ان يولى دبيس بن صدقة على الموصل فقبح الخليفة المسترشد

(١٦٥) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٤ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ١١١ (ب) ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الياغيسيانى — امير حاجب البرسقى « فحضرا دركاة السلطان ليخاطباه فى ذلك ، وكان يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين محمد الياغيسيانى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفشى اليه سره فخوفه نصر الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وأمثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على احد منهم » .

وتحدث معه صلاح الدين فى أن يخاطب السلطان فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه فى ذلك وضمن له كل ما أراده فوافقهما على مطلبهما . وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا « انه قد علمت أنت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حد ماردين الى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — وقد كان البرسقى — مع شجاعته — يكف بعض عاديتهم ، فمنذ قتل زاد طمعهم وولده طفل ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع يذب عنها ويحمى حوزتها . وقد انهينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الاثم من الله واللوم من السلطان . فانهى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه — تقربا الى خزانة السلطان — مالا جليلا ، فأجاب السلطان الى ذلك لما يعلمه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ص ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن خلدون ، العبر حـ ٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « أن هذا أعان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكى على الموصل :

واصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكى على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب ارسلان او فروخ شاه المعروف بالخفاجى ليربيه وجعل زنكى أتابكه ومن ثم عرف زنكى بالأتابك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكى الموصل وولى الأمير جاولى على الرحبة واعمالها (١٦٩) .

وفى ٥٢٣هـ (١١٢٩م) « سار اتابك ووطىء بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله (١٧٠) » .

ومنذ تولى اتابك زنكى حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامى وعن التفكير فى الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

---

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٢ ص ١١٠ (ب) ، ١١١ (أ) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٢ ، ص ١١١ أ ، ب ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرمانى هنا ان معنى اتابك اى الذى يربى أولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ١١١ (ب) ، أبو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٤ ، أبو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

الاسلامى فاننـا سنجد انفسنا فى حاجـة الى ان نفرد لتلك الشخصية بحثا بأكمله ، لذلك سنكتفى هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الاسـلامى العظيم ضـد الرهـا قبل سقوطها فى يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتى مثل السلاجقة فيها ولاتهم بالموصل .

كان زنكى منذ اللحظة الأولى لتوليه حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على النفوذ الصـليبى فى الشرق . لكنـه لم يرغب أن يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشـام ، وانما كان يرمى الى ابعـد من ذلك . ولكى يحقق ما صمم عليه رأى أن يتأنى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جـانب الصـليبيين فى الرهـا وسروج والبيرة وغيرهـا (١٧٢) . من المراكز الصليبية التابعة لامارة الرها الصليبية ، نجـده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى اسلوب السياسـة ، فارسـل الى جوسلين وهادنه حتى يتفرغ له وتم الصـلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هـذا هو السبب فى أن ابن العديم عند كلامه عن توجـه زنكى الى حلب فى تلك السنة اقتصر على القول بأنه « رعى عسكره زرع الرهـا (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكى بمحاولة جـادة ضـد امارة الرهـا فى بدايـة حكمه للموصـل ؛ وان كان هـذا لم يمنعه من ارسـال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين فى الرهـا وغيرها بين حين وآخر من ذلك انه ارسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ — ١١٣٠م) الفى فارس لمهاجمة معرة مصرين — وهى للفرنج — فاغارت تلك القوة على تل باشر واوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حـدث حوالى ١١٣١م — ٥٢٦هـ أن

---

(١٧٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شـامة : الروضتين، جـ ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلـدون العبر ، جـ ٥ ص ٢٢٤ يـذكر الأخير أن ذلك كان ٥٢٣هـ اما متى الرهـاوى فيـذكر انـه كان ١١٢٨م — ٥٢٢هـ Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٢٥ .

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، جـ ٣ مخطوط، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى أمير الموصل ضد الرها ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزموهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سلاجقة قونية وامارة الرها :

المقصود هنا بسلاجقة قونيه ، سلاجقة الروم . وجد هذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعة ماتريكرت افسطس (١٠٧١م — ٤٦٣هـ) التى منى فيها البيزنطيون بهزيمة منكرة(١٧٨) ، جاء سليمان بن قتلمش الى آسيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة رباعها تقريبا(١٧٩) . وقد اختار سليمان مدينة نيقية لتكون مراكزا له وهى المدينة التى اصبحت أول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الأناضول حتى حلت محلها قونيه . والواقع انه فى ١٠٩٢م/٤٨٥هـ قامت سلطنة قونيه على يد قلج ارسلان الأول بن سليمان(١٨٠) .

كانت أولى احتكاكات سلاجقة قونية بامارة الرها ، فى عهد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢م الى ١١٠٧م(١٨٢)/٤٨٥ — ٥٠٠هـ (١٨٣) . ذلك انه وصل فى ٤٩٩هـ (١١٠٦م) فى عسكر كثير وقصد الرها ونزل قريبا منها فارسل اصحاب جكرمش المقيمون بحران يستدعونه لتسليمها اليه ، فوصل اليهم وتسلمها منهم واستبشر الناس بوصوله الى الجهاد واقام اياما

---

(١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.

(١٧٧) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .

(١٧٨) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 344 (1968),
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥م) ،
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ، ص ٨٨

(١٧٩) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٩٠ .

(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(١٨١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.

(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا اوجب عودته الى ملطيـــة فى حين اقـــام اصحابه بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هـــذه الحملة بانهـــا كانت فى ١١٠٦م اى (٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سـبق ان قلج أرسلان قـدم بجيش هـائل وحاصر الرهـــا لبضعة أيـــام مؤملا ان يصبح سيد هــذه المدينـــة لكنه اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة ثم عـــاد الى بلاده (١٨٥) .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى أن سلطان ملطية السلجوقى كان من جملة اعضاءالتحالفالفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالفالذى كان يضم الملك بلدوين الثـــانى وجوســـلين الاول ودبيس بن صـــدقه وآخرين (١٨٦) والذى سنتكلم عنـــه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ، وهـــذا يعنى انه كانت هنـــاك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع ملطيـــة وبين الرهـا . كما يعنى ايضا ان سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين قونيـــة تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة فى ملطية (١٨٧) .

---

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 82

(١٨٦) Mattieu : Ibid., p. 142.

ففى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قـــد عين أربعة ابناء لقلج ارسلان الأول الســـابق الذكر وهم : مســـعود وملكشـــاه وعرب وطغرل أرسلان . خلف الأول والده واتخذ اقامتـــه فى قونيـــة وترك أخويه عرب وطغرل ارسلان فى ملطية وسجن ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرم من النظر . وعلى ذلك يكون أما عرب وأما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليـــه متى الرهاوى هنا .

اما رنسيمان فيشير الى انه حـــوالى ١١١٨م (٥١٢هـ) كان الذى يحكم فى ملطيـــة هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسـعود تحت وصـــاية امه وزوجها الثـــانى بلك بن أرتق لكن ربما كـــان يقصـــد هنـــاعرب وليس مسعود باعتبار أن الأخير كان فى قونية .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207-8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الامبراطور يوحنا
=

وفى ١١٣١م (٥٢٦هـ) قــام جوسلين بحملة ضد ســلطان قونيــه ولكن جوسلين توفى اثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيــل السريانى أنه بعــد ان علم (ايلغــازى) ــ والصحيح هو مسعود بن قلج ارسلان ١١١٦ ــ ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ ــ ٥٥١هـ(١٩٠)) ــ بوفــاة جوسلين الأول أوقف المعركة وارسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقــال أننى أحرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفــاة ملككم(١٩١) » .

ويفهم من تلك العبــارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليم الصــورى يشير الى ان العــدو انسحب قبــل أن يموت جوسلين (١٩٢) » .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣هـ) عندما يخبرنا ابن العبرى « أن مسعود حــاكم قونيه هــاجم اقليم كيســوم واستولى على القرى وحرقها(١٩٣) » . وبعــد ذلك بحوالى احــدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤هـ) اى بعد ســقوط الرها بنحو خمس سنوات « اوغــل مســعود بن قلج ارسلان جنوبا فى بلاد الشــام بجيش هــائل فاستولى على عــديد من المدن والقلاع وحــاصر تل باشر وفيها جوسلين الثــانى وزوجتــه واطفاله . ثم ســاد السلام

=

الثــانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م ــ ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امــارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونيــة وما جاورها وملك غــازى فى سيواس وجهاتها وطغرل ارسلان بن قلج ارسلان فى ملطيــة وتوابعها » (أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١٤١) .

(١٨٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101.

(١٨٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(١٩٠) زامبوْر : معجم الانساب ، حـ ٢ ؛ ص ٢١٥ .

(١٩١) Michel : Op. Cit., p. 232.

(١٩٢) William · Op. Cit., V. 2, p. 52.

(١٩٣) Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265.

بين الجانبين بعد أن اطلق الامير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا فى أسره(١٩٤) » .

علاقة الرها بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بارزا الى جانب الموصل فى العلاقات بين الرها والمسلمين ، فقد مر بنا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تتش بن الب ارسلان السلجوقى عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالى ٥١١هـ (١١١٧م) عندما استولى عليها الأراتقة — كما سنرى .

والراجح أنه لم يكن هناك أى احتكاك مهم بين حلب والرها فى عهد أميرها الأول بلدوين البولونى . ولكن فى بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفى ٤٩٦هـ (١١٠٢م) على وجه التحديد خرج الجيشان الانطاكى والرهوى وتوجها الى حلب « واقاموا بها أياما (١٩٦) » وبعد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على ان يدفع لهم « سبعة آلاف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرها من تل باشر واغاروا على « بلد حلب الشمالى والشرقى واحرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنا ما كان من أسر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

---

(١٩٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

(١٩٥) تشير (أنا كومنين) فى الالكسياذه الى أن حلب كانت تسمى برويا Berroea او خالب Chalep (Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)

أما ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها (باروا) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى .

(١٩٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٦٠ .

(١٩٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(٤٩٧هـ) الى أن تم اطلاق سراح بلدوين ١١٠٨م (٥٠٢هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على أساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم أطلق جاولى سراح جوسلين ايضا وسيره الى بلدوين كى يرسل الأسرى والمال الذى اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من أصحاب الأمير جاولى فانكروا عليه ذلك واعتبروه غدرا (١٩٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٩٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج اطلق بالفعل ـ كما تعهد لجاولى ـ حوالى « مائة وستين أسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد أن كساهم (٢٠٠) » ، الا أنه فى نفس ١١٠٨م ـ ٥٠٢هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر فى طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الأمير جاولى ساقوه على قمص الرها فأخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلعة الجسر(٢٠١) » .

---

(١٩٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٢(أ) ، الطباخ الحلبى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(١٩٩) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٣هـ ـ ١١٠٩م ولكن الراجح انه اخطأ فى ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٤(ب)، ٢٥ ا) . أما العينى عقد الجمان ؛ حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ فيذكر « أنه بينما كان الملك رضوان متوجها من حلب الى الرقة لنجدتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صالحه بنو نمير على مال فرحل عنها الى حلب » .

وفى سنة ٥٠٨هـ ١١١٤م توفى الملك رضــوان صاحب حلب — وهو الذى سبق ان اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢هـ (١١٠٨م) — وخلفه فى حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخصى . وعندما علم لؤلؤ بأن الســلطان ارسل برسق بن برسق على راس حملة ضد الفرنج ٥٠٩هـ — ١١١٥م ، خشى أن يستولى برسق على حلب ولذا انضـم الى الجانب الفرنجى الذى سبق ان اشرنا ان طغتكين حــاكم دمشق وايلغــازى كانا قــد انضما اليــه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب فى علاقتها مع الفرنج فى ذلك الدور كانت تنضم فى غالبيــة الأحيــان الى الجــانب الفرنجى وخاصـــة امــارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحيــاد فى حركة الجهاد التى قام بها مودود ١١١١م (٥٠٥هـ) والتى جاءت أصلا نتيجة لاستنجاد حلب بالخليفة . وأخيرا أدى تخــوف رضــوان من السلاجقة اكثر الى أن «يعلن لمودود أنه لا يمكنه الاتحــاد معهم لأنه اصطلح مع تنكريد وانه يحتــفظ بالحيــاد (٢٠٣) » .

وفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م) دخلت حلب فى حوزة الاراتقة . وانتهت حــالة الهدنة التى كانت قائمة بين حلب والفرنج . ففى هــذه الســنة « اشتد الغلاء بانطاكية وحلب لأن الزرع عرق ولحقــه هواء عند ادراكه اتلفه (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة واغاروا على حلب واخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالى بدمشق ولكن جوســلين ومعه عساكر الفرنــج أوقفوا تلك النجــدة . وفى نفس الوقت استنجد أهــل حلب بالموصـــل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار احوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على اعزاز « وضـــايقوها واشرفت على الأخــذ وانقطعت قلوب اهل حلب اذ لم يكن يقي حلب معونة الا من عزاز وبلدهــا وبقيــة

---

(٢٠٢) Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

بلد حلب فى أيدى الفرنج والشرقى خراب مجـدب (٢٠٦) » لذا استنجد اهل حلب بايلغازى بن أرتق ، فحضر الى حلب وملكها من سلطان شـاه بن رضوان بن تتش ٥١١هـ(٢٠٧) .

وهكذا اصبح ايلغازى حـاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق التفـاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩م) ان يجعلهم يرحلون عن اعزاز مقـابل اعطائهم مبلغا من المـال « فلم يلتفتوا لقـوة طمعـهم فى امر الأسلام ، وكان ايلغـازى يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حـد التلف(٢٠٨) » . فلمـا يئس أهل عزاز سلموها الى الفرنج فتم الصلح بينهم وبين حلب على أساس أن يساموا للفرنج تل هراق (٢٠٩) والف دينار وتكون لهم من حلب شمالا وغربـا . وزرعـوا امـال عزاز وصـار يدخل الى حلب ما يبتلعون به من القوت (٢١٠) .

وفى نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا الى ما ذكره متى الرهاوى يبدو انه حدث خلاف بين ايلغازى وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الاول يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالى ثمانين الف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل بقواته هذه أمام اسوار الرهـا حيث توقف اربعة ايـام ثم اتجـه الى

---

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٣٦ امـا ابو الفضـايل الحموى : التـاريخ المنصورى ص ١٦٢ فيذكر أن دخول ايلغازى حلب وفتح الفرنج لاعزاز كان ٥١٢هـ . فى حين يشير ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « ان الفرنج استولوا على عزاز فى شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧م) ولقى أهـل حلب منـهم شـدة عظيمة الى أن فتحـها نـور الدين محمود بن زنكى فى ٥٤٥هـ » والراجح أن التـاريخ خطأ بدليل أن ابن العـديم نفسـه هو الذى ذكر أنها اخـذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٥ (انهـا من حصـون حلب الغربيـة) .

(٢١٠) ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . أما ميخائيل السرياني فيشير الى أن ايلغـازى جمع بعض القوات فى تلك السنة وغزا بلاد الرهـا واحرق المحاصيل . وعندما لم يجـد أحدا يخرج لمنـازلته رجع ودخل اقليم انطاكية واخـذ معـه بعض الأسرى ثم عـاد الى بلاده (٢١٢) .

اما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازى توجـه فى ٥١٣هـ « فى عسـكر يزيد على اربعين الفا وقطـع الفرات وامتدت عساكره فى أرض تل باشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربهـا يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قـدروا عليـه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السـابقة من تباين فانها تشير الى الـدور الايجابى الذى قام به ايلغازى الأرتقى فى تلك السنة ضد الرهـا .

وقـد رد جوسـلين فى بدايـة حكمـه للرهـا على تلك المحـاولات العداونيـة من جانب ايلغازى بالاغارة على « منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية ، واخـذ كل مـا وجـده من دواب وأسر رجالا ونساء (١١٥) » .

وفى ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازى من جـديد حملة ضـد الفرنج وهى الحملـة التى تركت اثرا واضحا على الرهـا والتى ذكرهـا متى الرهـاوى بالتفصيل . ذلك انه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائـة

---

(٢١١) Mattien : Op. Cit., p. 122.
ويقال أن تلك الحملة كانت فى بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)
(٢١٢) Michel : Op. Cit., p. 205.
ربما تكون هذه هى الحملة التى اشار اليها
(Iorga : Bréve Hist., p. 82).
عندما ذكر أن ايلغازى قاد حملة غير ناجحة ضد الرها فى ١١١٩م .
(١١٣) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠١ انها قلعة من نواحى حلب .
(١١٤) ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٧ الطبـاخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٣٠ .
(١١٥) ابن العديم : المصدر السـابق حـ ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين الف محارب . وتوجـه مسرعا الى أسوار الرهـا حيث عسكر أمامها اربعة ايام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات بجزء كبير من قواته وانتقل من تل باشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتـل ويأسر وينهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخـرج لمطاردة الاتراك ، وانقض عليهم وقتل الفـا وعندئـذ انسحب ايلغازى ليعسـكر قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج فى جانب واجتمع ايلغازى وطغتكين فى جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عقدت هدنة بين الطرفين تنازل فيها ايلغازى للفرنج فى انطاكية عن « المعرة وكفر طاب والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون برسم تل اغدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو ان ايلغازي عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته من جـديد وحتى يتمكن من اضـافة فرق جديدة الى جيشـه ثم يعود ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجـده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى ماردين ليجمع العساكر (١١٨) » . بعد ان ترك بحلب ابنه شمس الدولة سليمان بن نجم الدين ايلغازى مع نائبه مكي ابن قرناص الحموى (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازى والفرنج فان جوسلين امير الرهـا

---

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291.
ويذكر ابن العديم : ان ذلك كان فى ٢٥ صفر ٥١٤هـ (ابن العديم : الزبدة ، حـ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ وهو يسمى تلك الموقعـة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينـة حلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤٧٠) . وجبـل السماق هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية (ياقوت : حـ ٥ ص ١٠٢) اما ليلون ويقال ليلول فهو جبل مطل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت حـ ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصـدر السـابق ص ١٩٨ — ١٩٩ .

غـــدر بالصلح واغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بانه اسر له والى منبج اسيرا وانـــه كاتب فى ذلك فلم ينصف وذلك فى شوال ٥١٤هـ / يناير ١١٢١م (١٢١) . وقتل وسبى واحرق كل ما فى النقرة والأخص ؛ ثم اخـــذ المشـــايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم فى البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد الى تل باشر وخرج من جـــديد فكرر ما فعله فى المرة السـابقة . لذلك أرسل والى حلب الى ملك بيت المقـــدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هـــذه البلاد خالية من العساكر الا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجـــد جوسلين ان ايلغازى قـــد انشغل عن امر الشـــام فى ماردين بدبيس بن صـــدقة (١٢٤) ، توجـــه الى حلب « واستولى على معظمـــه (١٢٥) » ، كما اغـــار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقعة شمال حلب قرب وادى بطنان ونجح فى خرق جزء من جدرانها ، ولم يرفـــع حصـــاره عنها الا بعد أن دفـــع له

---

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١١٤ أن الأخص بنواحى حلب كورة كبيرة مشهورة ، قصبتها خناصرة وهى المدينـــة التى كانينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ١ ص ١٩٧

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر الســـابق ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « انه فى هـــذه السنة هرب ملك العرب دبيس بن صـــدقة الأسدى فاكرمـه نجم الدولة مالك ثم ســـار الى ايلغازى الى مادين وتزوج ابنته فاستند به واجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل اليه ايلغازى ما يفوت الاحصـــاء فاشتغل ايلغـــازى بدبيس عن العبور الى الشـــام .

(١٢٥) ابن العديم : المصـــدر الســـابق ، ص ١٩٨ .

مبلغا من المـال (١٢٦) . وفى مايو ١١٢١م (٥١٥هـ) هاجم جوسـلين قلعة الأثارب الى الجنوب الشرقى من حلب واحـدث مذبحة ضخمة فى اهلها من المسلمين (١٢٧) .

عندئذ « كتب ايلغازى الى ولده ونوابه يأمرهم بصـلح الفرنج على ما يريدون فصـالحوهم على سرمين والجزر وليلون واعمال الشمال على انها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم فى رحى العربيـة وعلى ان يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفئتين فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الأثارب فوافق ايلغازى لكن الأهالى ناضـلوا بشـدة من اجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولـما كانت تلك الشروط مجحفة باهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦هـ (١١٢٢م) فى عـدد هائل الى عزاز لكن الهزيمـة حلت بهم وقتل عـدد كبير منهم (١٣٠) .

وفى نفس السنة تقـدم ايلغازى من ماردين الى حلب ليقاتل الفرنج بعـد ان جمع جيشـا كبيرا وبعـد ان وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القـدس وجوسلين أمير الرهـا لمقاومته ولكن لم يحـدث اى اشتباك بينهما وعـاد كل منهما الى بلاده فى سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

---

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصـدر السـابق ، ص ١٩٨ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركـة ، جـ ١ ص ٥٠٩ من ابن العـديم محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ، ص ٤٦ .
Setton : Ibid.. p. 416.
والأثارب قلعة معروفـة بين حلب وانطاكية (ياقوت : جـ ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبـدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٩ . وهو يـذكر ان جوسلين كان ممن تولوا المفاوضـات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السابق نفس الصفحة
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٠٥ .
(١٣١) Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537.

وفى الوقت الذى دخل فيه ايلغازى حلب توجه بلك ابن اخيه ليقتفى اثر الفرنج حتى تمكن كما رأينا من قبل من اسر جوسلين نفسـه ومعـه ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم اسر امير الرهـا جوسلين الا ان ذلك لم يمنع فرنج الرهـا من محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرهـا فى شـعبان ٥١٦هـ ــ اكتـوبر ١١٢٢م « من تـل بـاشر وكبسـوا تـل قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب بيزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفى رمضـان ٥١٦هـ ــ نوفمبر ١١٢٢م « توفى ايلغازى بن ارتق ابن اكسب نجم الدين التركمانى الذى كان فارسـا شجاعا كثير الغزو كثير العطاء فولى بعـده ماردين ابنه حسـام الدين تمرتاش (١٣٥) » .

وقـد رأينا كيف اسر الملكُ بلدوين الثانى نفسـه مع جوسلين وجاليران ثم كيف افلت جوسـلين من الأسر ٥١٧هـ (١١٢٣م) وعاد الى الرهـا ليجمـع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقـدس (١٣٦) . ولكن عندما علم بعودة بلك الى خرتبرت واحتجازه للملك مرة اخرى ثارت ثائرته وقـام بالعـديد من اعمال التخريب فى اقليم حلب ٥١٧هـ (١١٢٣م)

---

(١٣٢) Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, Michel : Op. Cit., p. 201.
سماه متى الرهـاوى واليران

(١٣٣) قرية من قرى العواصم من اعمال حلب (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ،
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبى العبر ، حـ ٤ ص ٣٦ ، زامبور : معجم الانسـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الاخيران ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميافارقين ، فى حين كانت حلب من نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

(١٣٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهى السنة التى تعتبر من اهم سنى الصراع بين الرهــا وحلب لمــا شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقــد وضــح فى كل اطوار تلك العلاقات فى هــذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقــد رأى أن ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حــدوده الخاصــة وحدود امارة انطاكية المعدومــة القيادة (١٣٧) .

والواقــع أن الفرنج اتفقوا على أن يخفوا فشــل الحملة الموجهــة لانقاذ الملك بأن يوجهوا جهودهم الى اعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لأسر الملك مرة اخرى . فســار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادى وقاتل بزاعا واحرق بعض جــدارها ثم احرق الباب وقطــع شجرة واحرق ما سواه من الوادى . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحيــة مشهد الجف من الشمال ، وخرب المشــاهد والبســاتين وكسر الناس عند مشــهد طرود بالقــرب من بســتان النقرة وقتــل وسبى مقــدار عشرين نفرا (١٣٩) » .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى فى البقعة السوداء وخرب مشــاهد الجانب القبلى وبســاتينه ونبش الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجــد فيه شيئا فالقى فيــه النــار (١٤٠) » . وفى رمضــان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

---

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطبــاخ الحلبى : أعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٠ وبزاعة بلدة من اعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهى قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ (المقصود هنا رمضــان ٥١٧هـ) .

هنا يذكر ابن العديم أنه كرد فعل لنبش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) أمر قاضى حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمى حلب أن تهدم محاريب الكنائس التى للنصارى بحلب وان تعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد (١٤٢) . ولم يبق للنصارى فى حلب سوى كنيستان (١٤٣) .

---

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ أما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمى (ت ٨٨٤هـ فيذكران أن تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجح ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ استناداً لراى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلا ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، حـ ١ ق ١ ص ٤٥ يذكر « انه كان بحلب نيف وسبعون هيكلا للنصارى منها الهيكل المعظم عندهم الذى بنته هيلانه أم قسطنطين بانى القسطنطينية وهى التى بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان فى الكنيسة العظمى التى هى تجاه الجامع الغربى وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى أن حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

أما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر انه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من ابراجها ، علق هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طمعوا فى حلب وضواحيها ، فصالحهم رضوان بن تاج الدولة تتش ، فاقترحوا عليه اشياء من جملتها ان يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع لموافق . فانكر القاضى أبو الحسن بن الخشاب — الذى كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج فى ذلك فاذ نواق وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونبشوا ما حولها من القبور فأخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، أما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطأ فى تحديد السنة هو الذى جعل سامى الدهان ينشر ذلك الجزء من أحداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) أما أهم الكنائس التى حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهى مكان مدرسة ابن المقدم » أما الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانة والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

وفى تاسع عشر رمضان ٥١٧هـ ١١٢٣م خرج جوسلين الى الوادى والنقرة والأخص واخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لايحصى وقتل وسبى وخرب ما امكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) . ثم اغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك اغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) . وما حولها واخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهى قرية بين حلب وبالس فخنق اهلها بالدخان فى المغاير وفتح المقابر وسلب الموتى اكفانهم (١٤٧) » .

وهكذا كانت حلب هى اكثر المناطق الاسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر وبعد ان أضاع بلك عليه الفرصة فى اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى .

وفى صفر ٥١٨هـ (١١٢٤م) توجهت مجموعة من أصحاب بلك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الأتراك واخذوا من الفرنج حوالى اربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفى نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بلك ابن ارتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية أخرى وهى التى راح ضحيتها بلك نفسه .

---

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجمد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ١٠٧) اما ابن الشحنه : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنه ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٢ .

ذلك أن حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١م (١٥٠) (٤٨٥هـ) تقريبا . وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) حـــدث سوء تفاهم بين حســـان وبلك فأنفذ بلك اليه جيشا مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن أرتق (١٥١). « وتقـــدم اليهم ان يمروا على منبج ويطلبوا من حســـان أن يخرج معهم للأغـــارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه (١٥٢) » . وبالفعل نفذوا ما طلبه منهم بلك وأخـــذوا حســـان أسيرا « حيث حبس فى حصن بالو بعد أن عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .

ورغم ذلك التعذيب الـــذى وقـــع بحســـان ، رفض أخوه عيسى أن يسلم البلد الى اتباع بلك . بل اكثر من ذلك ارسل عيسى يستنجد بجوسلين امير الرهـــا قائـــلا : « ان وصلتنى وكشفت عنى عســـكر بلك ســـلمت اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما رأى بلك تشدد عيسى فى موقفه جمـــع بعض القوات وســـار ضـــد الفرنج وتوجه أولا الى حلب ومنها توجـــه لمهاجمة منبج (١٥٥) . فى نفس الوقت كان جوسلين قـــد توجـــه الى بيت المقـــدس وطرابلس

---

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ ، الطباخ نفس الصفحة .

(١٥٠) Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٨ ،. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العـــديم : المصـــدر الســـابق والصفحة ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا ان بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحى ارمينية بين أرزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر ايضـــا ان عيسى نادى بشعار جوســـلين بمنبج اما متى الرهـــاوى فيـــذكر ان الاستنجاد كان بجوسلين وجيوفرى .
(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.
Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op, Cit., V. 1, p. 422.

(١٥٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138.

وبقية المراكز الصليبية يجمع القوات لحرب بلك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبي مع جيش بلك الأرتقي بالقرب من منبج في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨هـ ، ٤ مايو ١١٢٤م (١٥٧) . ويصف لنا متى الرهـاوى تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا . ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعـداد الصـليبيين الا ان كفة الصـليبيين كانت هي الراجحة في البداية ، فطوقوا الأتراك واجبروهم على الفرار . ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفرى — ومعـه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما بسمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

أما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل العسـكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمسـين حملـة يفتك فيهم ويخرج سالمـا ، يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبات مصليا مبتهلا الى الله تعالى لمـا جـدده على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفي اليوم التالي تجـدد القتال بعـد ان تخلص بلك من كل اسراه في اليوم السـابق (١٦٠) ، واعطى بلك اوامره بتشـديد الهجوم « وهو في غمرة فرحـة بنجاحـه (١٦١) » . في اليوم السـابق . ولكن بينما

---

(١٥٦) Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,
وكان اهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفرى أمير مرعش الى جانب أمير دلوك .
Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩
Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٨) Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦١) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

وقف بلك يدير المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله فى الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جملتها حلب (١٦٤) . وعندئذ نكث قواته الحصـار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهـاوى صـدى موته بقوله « سبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقـد حملت الحزن العميق فقـد كان دائما مشهود له بالتسـامح والعطف على الأرمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهـذا يدل بالفعل على تسـامحه مـع الأرمن لأن متى الرهـاوى كان أرمنى الجنسية .

وبوفاة بلك تشـجع نائبا جوسـلين بالهجوم على اقليم شبختـان فى مايو ١١٢٤م ، أواخر ربيع الأول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبهـا فسـار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخـاص الذى ركب اليه فى ثلثمائة فـارس فلحقـه على مرج اكسـاس فقاتله وقتل اكثر من

---

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.
ويذكر ابن العديم (انه قيل ان السهم كان من يد عيسى فوقع فى ترقوتـه اليسرى فانتزعه وبصق عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) أما متى الرهـاوى فيقول أن قاتل بلك كان احـد عباد الشمس .
(Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ .
Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٤ — ٨٢٥
Setton : V. 1, p. 423,

(١٦٥) Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298,

(١٦٦) Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. I, p. 423,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعاد غانما وانفذ رؤوسهم وما غنمه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) » . لذا كافأ تمرتاش عمر الخاص بمنحه حكم حلب (١٦٩) . ومضي تمرتاش الى ماردين فى الخامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحد حتى حوصرت حلب من جديد بواسطة الفرنج فى شعبان ٥١٨هـ (١٧١) (أكتوبر ١١٢٤م) (١٧٢) . اذ حاصرها الملك بلدوين الثانى وجوسلين أمير الرها (١٧٣) . فضلا عن دبيس بن صدقة أمير العرب وسلطان شاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول أسبابه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد . وقد أقام الفرنج وحلفاؤهم الحصار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائع التى

---

(١٦٨) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(١٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423,

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ٥ام ٤ ص ٨٤٠ (عن ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة . اما التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ فيذكر أن ذلك كان ٥١٩هـ .

(١٧٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩هـ (جوسلين الرومى)

(١٧٤) Mattieu : Op. Cit., p. 141 - 142, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العديم (١٧٥) . وسبط بن العجمى (١٧٦) . بل ان الفرنج عزموا على ان يداوموا حصار المدينة لمدة طويلة حتى يجبروا اهلها على التسليم لهم « حتى انهم بنوا لهم بيوتا لاجل الحر والبرد (١٧٧) ». ويقال ان الحصار استمر حوالى أربعة اشهر (١٧٨) . وكان بحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقد فكر اهل حلب فى ان يرسلوا الى تمرتاش يستنجدون به وبالفعل خرج وفد منهم الى ماردين « مستصرخين اليه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه لم ينجدهم لأسباب اوردتها بعض المصادر الاسلامية ، فبعضها يذكر « انهم وجدوا ان اخاه سليمان بن ايلغازى صاحب ميافارقين كان قد توفى فى رمضان وسار

---

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤ — ٢٢٥ . فقد ذكر أن الفرنج « اقاموا على حلب يزاحمونها وقطعوا الشجر وخربوا المشاهد الكثيرة ونبشوا قبور موتى المسلمين ، واخذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها اوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطع اوصاله . فربطوا فى رجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين . . . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ . فقد قال : « اكل اهل البلد القطاط فى هذه الشدة ولما طال الحصار عليهم وقلت ازوادهم وقع فيهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشام حـ ١ ص ٣٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٥٧ ، اما ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « أن حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتى وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٧ وكان تمرتاش قد تولى أمر ماردين من ٥١٦هـ وظل بها حتى ٥٤٧هـ . (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥) .

تمرتاش الى البلاد ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) » .
والبعض يقول « انه قال لهم خلوهم اذا اخذوها عدت واخذتها (١٨٢) » .

والبعض يشير الى أنـــه « ظهر لهم من صـــاحبهم تمرتاش بن ايلغازى الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون يذكرون « لم ينجدهم صاحبها تمرتاش لايثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكـــان ان اتجـــه أهـــل حلب الى طـــلب النجـــدة من آقســـنقر البرسقى (١٨٥) . الذى كان مريضـــا ، فنذر أن عافاه الله تعالى ليفرجن من حلب الشـــدة (١٨٦) . فلما شفى توجـــه الى حلب « فلما قاربها رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوشن وابعدوا عن المدينـــة ، فلما وصـــل مـــاق وعسكر خلفهم مـــع أهل البلد فانهزموا بين يديـــه (١٨٧) » وحفظت المدينـــة (١٨٨) . ويقال ان ذلك كان بتأييد الطبيعة (١٨٩)

---

(١٨١) ابن العديم : نفس المصـــدر والصفحة .
(١٨٢) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .
(١٨٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .
(١٨٤) الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ، كرد على ، خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٤ .
(١٨٥) يسميه ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (كنجاك البرشيقى) .
(١٨٦) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩هـ .
(١٨٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥١ .
(١٨٨) Mattiey : Op. Cit., p. 142,
(١٨٩) يذكر ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « أقاموا على حلب تسعة ايام فلما كان اليوم العاشر ، تشـــاور اهل حلب ، على انهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعـــد العصر أرســـل الله عز وجل سيلا عظيما أخـــذ الفرنج ودوابهم وجميع مالهم » . أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ص ٨٤٠ — ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وان وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كان فى ذى الحجة ٥١٨هـ يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ، يصبح مكملا للعلاقات بين ولاة الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفى ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب حلب والموصل عساكره واستولى على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التى كانت تابعة لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر فى حملته هذه طغتكين حاكم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى جيشهما « باربعين الف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « فى اليوم التاسع جاء قد عظيم فى نهر قويق وذلك قبل العصر فاخذ خيام العدو وغرق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦

Mattieu : Op. Cit., p. 142,

العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٢ ص ٩٢ (ب) ، روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احداث ٥١٩هـ ، أبو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ ، أما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٩ فيسميها (عزز) .

(١٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

(١٩٤) Mattieu : Ibid., p. 143.

والواقع ان غالبية المصـــادر العربيـــة اكتفت بالاشـــارة الى هـــذه الحملة اشـــارة موجزة بقولها « اقتتل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشيء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ؛ في حين وصفها متى الرهـــاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقـــد عقدت هدنـــة بين البرسقى والفرنج على « ان يناصفهم فى جبل السماق وغيره مما كان بأيدى الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى إلى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال (١٩٩) . بعـــد أن ترك فى حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملكا بيت المقـــدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث أودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آقسنقر يرحل الى الموصل حتى تقـــدم الفرنج الى رفنيـــة فاخـــذوها من ابنه فى صفر ٥٢٠هـ (٢٠٢) (١١٢٦م) فخرج صـــاحبها شمس الخواص الى آقسنقر مستنجدا وعنـــدئذ جمع لبارسقى الجنـــد وســـار الى الشـــام فوصل الرقة فى أواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

---

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ابن الـــوردى : تتمـــة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥١٩هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٩٢(ب) .

(١٩٧) Mattieu : Op. Cit., p.p. 143 - 144.

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ .

(١٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٩٢ (ب)

(٢٠٠) ابن الفرات : المصـــدر الســـابق والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(٢٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به أياما والفرنج يراسلونه فراسله جوسلين على ان تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) » . فاتفق على ذلك . وفى جمادى الآخره رحل البرسقى الى الأثارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه ان يرحل عن الاثارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩هـ (١١٢٥م) ويعيدوا اليه الأثارب فصالحهم على ذلك لانه « خشى ان يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متربص بالآخر وفى النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسعود ؛ لفترة قصيرة ثم توفى هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى فى حلب وعاد اليها الحكم الأرتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة فى حلب وتقدم اليها ٥٢١هـ (١١٢٧م) « فصونع بمال وانصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السريانى انه حدث فى نهاية ١١٢٧م (٥٢١هـ) أن اجتمع الأتراك والفرنج فى سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف دينارا سنويا فى مقابل اقرار السلام،

---

(٢٠٣) ابن العديم : زيدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : جـ ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : جـ ٢ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، الطباخ : جـ ١ ص ٤٦٣

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ انه فى ٥٢١هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان ومد يده الى الأموال لا سيما التركات وقرب اليه الاشرار فنفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقى الذى كان صاحبها قديما فاطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زيدة الحلب ؛ جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتـــراك مؤامرة لدس السم لجوســـلين ولكن محـــاولتهم باءت بالشل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبـــا بين حلب والرهـــا وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

وفى ٥٢٥هـ (١١٣٠م) كان نـــائب زنكى بحـــلب هو ســـوار بن أيتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوســـلين وقعـــة بنـــاحية حلب الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض ســـنة حتى تجمع الأتراك فى اقليم حلب فتصـــدى لهم جوســـلين ، فلمـــا علموا ذلك دخلوا اقليم تل باشر ونهبوه (٢١١) . وبعد ان ترك الأتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة الفرنج مرة أخرى ، ولكن الأتراك تربصوا لهم وأبادوا الفرنج جميعا(٢١٢). وهـــذه هى الموقعة التى أصيب فيها جوسلين الأول بكسور شديدة فى كل جسمه والتى أودت بحياته فى النهاية(٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢م (٥٢٧هـ) أوقع الأميرسيفالدين ســـوار بفرنج تل باشر وقتـــل منهم خلقا كثيرا(٢١٤) . وفى العام التالى ١١٣٣م (٥٢٨هـ) اغـــارت فرســـان الرهـــا على شمال حلب فأوقع بهم ســـوار وحســـان صـــاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحمـــلوا الرؤوس والأسرى الى حلب(٢١٥) .

---

(٢٠٨) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٢٠٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٧ ، الطبـــاخ : حـ ١ ص ٤٧٨ .

(٢١١) بن العـــديم : زبدة الحلب : حـ ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,

(٢١٢) Michel : Ibid., p. 233.

(٢١٣) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6.

(٢١٤) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٩ .

(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٨٠ .

ومرت حوالى تسع سنوات لم تتم فيها أى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن فى ٥٣٧هـ/١١٤٢م يذكر ابن العديم « ان ملك انطاكية خرج الى وادى بزاعا فخرج سوار فردهم الى بلد الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين العسكرين فاتفق الصلح بينهما (٢١٦) » .

أما العينى فيشير الى ان جوسلين هو الذى « اغار على شط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار(٢١٧) » .

هكذا استطعنا أن نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة فى فارس ونوابهم فى الموصل البلد الرئيسى لديار ربيعة فى الجزيرة(٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونية ثم بسلاجقة حلب كى نصل منها الى اولى العلاقات الارتقية بالرها منذ دخلها ايلغازى ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد اهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية أولاده الى ان استولى عليها عماد الدين زنكى .

ولكى نستكمل علاقة الرها بالأراتقة ، لابد وان نشير الى أراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الأرتقية للرها فى عهد أميريها الأولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقة الرها باراتقة ماردين :

أما اراتقة ماردين لقد مر بنا ايضا بعد استيلاء بلدوين دى بورج على سروج من بلك الأرتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠م) أن هذا الانتصار شجع بلدوين على الاغارة على المنطقة المجاورة لماردين واسر الكثيرين .

لقد ذكر لنا متى الرهاوى انه فى ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) « جمع بلدوين دى بورج بعض القوات وقام بحملة عسكرية ضد الأتراك فى اقليم ماردين فأبادهم واسر أميرهم (٢١٩) » .

---

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجانب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لأن حكام ماردين الأراتقة مدوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما اشرنا (٥١١ ـ ٥١٨هـ / ١١١٧ ـ ١١٢٤م) وبعد ذلك اصبحت العلاقات بين أراتقة ماردين فقط ـ بعد مد ولاة الموصل سلطانهم على حلب ـ وبين الرها .

ففى عهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٣٠م (٥٢٥هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وامارة الرها (٢٢٠) . وفى بداية حكم جوسلين الثانى استمرت العلاقات العدائية بين الرها واراتقة ماردين اذ حدث ١١٣١م (٥٢٦هـ) « ان طلب احد الأمراء الأراتقة من حسام الدين حاكم ماردين ان يتخلى له عن اقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتابعة اقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس فرنجى وقتلوا الف تركى وقبضوا عليه . فأحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ودكها تماماً(٢٢١) » .

علاقة الرها باراتقة ديار بكر :

اما عن اراتقة ديار بكر فيقال أنهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن فى الرها ضد السيادة الفرنجية فى البداية المبكرة لامارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨م (٢٢٢) (٤٩٢هـ) وهى المؤامرة التى كشف أمرها بلدوين البولونى ونكل بالمشتركين فيها أو المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الأراتقة تحالف مع امراء الرها فى أواخر عمر امارتهم بدليل ما ذكر من أنه « فى خريف ١١٤٤م هاجم زنكى قرا ارسلان الأمير الأرتقى لديار بكر ، الذى كان قد تحالف مع جوسلين فسار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحمى حليفه ويقطع بطريقة عملية اتصالات زنكى مع حلب(٢٢٣) » .

---

(٢٢٠) Michel : Op. Cit., p. 246.

(٢٢١) Michel : Ibid., p. 233.

(٢٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : Op. Cit., p. 211 عن (Albert).

(٢٢٣) Runciman : Ibid., V. 2, p. 235.

علاقـــة الرهـــا بـــآمد :

ولمـــا كانت مدينة آمد تعتبر المدينـــة الرئيسية فى ديـــار بكر(٢٢٤) ، لذا رأينا ان نورد علاقتها بالرهـــا فى هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقتها بالرها خاصة فى عهد جوسلين الاول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينيـــة . اما عن الاولى ففى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) يشير ميخائيل السريانى الى « أن جوسلين غزا بلاد آمـــد ونهب الأتراك والأكراد وخرب القرى حتى أبواب المدينـــة لأن الأتراك غزوا اقليم الرهـــا بينما كان جوسلين فى انطاكية ؛ فلحقت بهم قوات آمد(٢٢٥) » .

اما فى الجـــانب الدينى فيشير ميخائيل ايضـــا الى أنه فى ١١٢٩ م (٥٢٣هـ) « أثير حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعـــه فى نفس الوقت من الخروج من آمد . وفى الواقع ان حاكم ماردين أرسل اكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق ابدا ثم حرض الأمير على الا يترك البطريرك يخرج من آمـــد وقيل له : « أن هذا البطريرك رجل مسن وعن قريب سوف يموت هنا وتأخذ انت ثرونه » . ولمـــا بقى البطـريرك بآمد ـــ كما لو كان فى سجن ـــ ارسل الى جوسـلين حاكم الرها يطلب منـــه ان يتشفع له لدى أمير آمد . وبصورة عاجـلة انبـأ جوســـلين لأمير آمد هـــذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فسأخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطريرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرهـــا ليشكر جوسلين ، ومن هنا صـــعد الى دير ماربارسوما (Mar Bar Çauma) (٢٢٦) .

ولاستكمال علاقات الرها بالاراتقة نشير الى انه فى ٥٢٣هـ (١١٢٨م) « هزم جوســـلين الأول على يد صـــاحب حصن كيفا (٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن ســـقمان الأرتقى(٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفـــا

---

(٢٢٤) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢٢٥) Michel : Op. Cit., p. 22.

(٢٢٦) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٢٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٠ .

(٢٢٨) زامبور : معجم الانســـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢هـ ـــ ٥٣٩ هـ) .

كان احـــدى القلاع الأرتقيــة . كان أول من ملكها منهم سقمان الأرتقى نفسه أخو ايلغازى وذلك ٤٩١هـ (٢٢٩) (١٠٩٧م).

والى جانب العلاقات الأرتقيه والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات بأماكن أخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة أو اثنين ولذا أوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة.فمثلا أخرى تركية ولكن لم يــأت ذكرهـــا الا فى ســـنة واحـــدة.أو اثنين ولذا أوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عــامة . فمثلا نجد أنه كانت للرها علاقة بالعقيليين فى قلعـــة جعبر بدأت عـــدائية ثم تحولت الى علاقـــة ودية فى عهد جوســـلين الأول أمير الرهـــا . وربمـــا يرجع ذلك الى الدور الذى لعبه دبيس بن صدقة بينهما . « ففى ٤٩٧ هـ (١١٠٣م) اغـــار الفرنج من الرهـــا على الرقة وقلعـــة جعبر فاستاقوا المواشى واسروا من وقع بأيديهم من المسلمين وكانت القلعـــة والرقـــة لســـالم بن مالك ابن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه ٤٧٩هـ(٢٣٠) » .

ويشير اسامه بن منقذ الى انه فى عهد جوسلين الأول « اغار جوسلين على الرقـــة والقلعة وأخذ كل ما عليها وسبى وســـاق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة فركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبر الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفـــة قديمة(٢٣١) ، ولمـــالك عليـــه جميل . وظن جوســـلين أن فى الزورق رسولا من مالك فجاءه واحـــد من الافرنج وقال « هـــذا مالك فى الزورق » فقـــال « ما هو صحيح » فأشار آخر قـــال « قـــد نزل مالك من الزورق وهو جاءنى يمشى » . فقام جوسلين والتقاه واكرمه ورد عليه جميع ما كان أخذه من الغنائم والسبى(٢٣٢) » .

---

(٢٢٩) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الأثـــير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن الوردى تتمـــة المختصر ، حـ ٨ ص ١٤ ؛ زامبور معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣١) بسبب علاقة دبيس بن صدقة بمالك وتوسط الأخير له عند جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) اسامة بن منقذ : الاعتبـــار ،ص ٩٠ .

كذلك اغــار جوســلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) على العربــان والتركمان النازلين بصفين قربقرية جعبر على الفرات « فغنم من اموالهم ومواشيهم شيئا كثيرا »(٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريانى فى ١١٣٤م (٥٢٩هـ) « انه عنـدما توجـه جوســلين للصلاة فى القــدس نهب الاتراك بقسوة كل الاقليم وخربوا واحرقوا قرية حــارم(٢٣٤ » .

علاقـــة الرهـــا ببنى دانشمند :

سبق أن رأينــا انه عند قيــام امــارة الرها الصــليبية كان شرق الاناضول تحت حــكم امير تركى قــوى هــو الملك غــازى كمشــتكين بن الدانشمند حــاكم سيواس(٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه فى المصادر والمراجع بالنسبة لعلاقة الرهـــا بالاتراك من بنى دانشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الاشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقـــات واهمها فى المصـــادر هى علاقة الرهـــا ببنى دانشمند فى سميســـاط منــذ قيــام الامـــارة ــ كما ســبق أن أشرنـــا(٢٣٦) . يلى ذلك أنه عندمـــا اسر الأمير الدانشمندى ، الأمير بوهيموند كان يأمل ايضا ان يأسر الأمير بلدوين البولونى ومما يدل على ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الدانشمند عنــدما قال : « انى آمل فى الحصـــول على بلدوين ذاته كما حصــلت على بوهيموند فى وقت قصــير(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، ابو الفــدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ، العينى : عقد الجمــان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٦٨ ، الطبــاخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٣٥ ــ ٤٣٦ .

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٥) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ الى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ ــ ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفى ١١٤١م « توفى غازى الداشنمندى (٢٣٨) فلم يمكن الاحتفاظ بوحدة ارثه اذ استقر ابنه ذى النون فى قيصرية(٢٣٩) واحد اخوة المتوفى المسمى ياغى سيان احتل سيواس كما احتل احد بنى دانشمند ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبنى دانشمند هذا الى جانب مسعود السلجوقى فى قونيه والذى اتحد مع ذى النون فى مواجهة امارة الرها(٢٤٠) » .

علاقة الرها ببنى مزيد فى الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امارة الرها ببنى مزيد فى الحلة ، فيجدر بنا أن نعطى نبذة عن الحلة وملوكها المعاصرين لامارة الرها الصليبية ثم موقفها من الامارة . والحلة هى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة الاسدى الناشرى ، صدقه بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد سنة خمس وتسعين واربع مئة(٢٤٢) . . وساعده على ذلك انشغال سلاطين السلاجقة من أولاد ملكشاه ابن ألب ارسلان بالخلافات بينهم خاصة بركياروق ومحمد وسنجر(٢٤٣) وكانت اجمة يأوى اليها السباع فنزل بها باهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وقصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق واحسنها فى حياة

---

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ هو ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كمشتكين (توفى ٥٣٧هـ) .

(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ فى سيواس زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 365.

(٢٤١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، طهران ١٩٦٥ (منشورات مكتبه الأسدى رقم ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٢٤٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١ ، ٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢. ص ٣٤٥ — ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقــة فلما قتل بقيت على عمارتها(٢٤٤) . وكانت تسمى ايضا الحلة السيفية (٢٤٥) او الحلة المزيدية (٢٤٦) . كان صدقــه هذا يـلقب بملك العرب(٢٤٧) . وفى ٥٠١هـ (١١٠٧م) قتـل سيف الدولة صـــدقه(٢٤٨) فملك العرب بعده ابنه نور الدولة ابو الاغر(٢٤٩). .

وقد لعب دبيس دورا ايجابيا فى تاييد الفرنج ضد المســلمين وكانت بينه وبين الخلفاء العباسيين فى تلك الفترة خلافات شديدة ، ربما هى التى دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلافه مع المسترشـد بالله « اذ خرج دبيس عليه اكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان ينهب القرى ويزعج البلاد (٢٥١) . وفى ٥١٢هـ (١١١٨م) طلب دبيس من السلطان محمود « أن يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الاعمال فاجابه الى ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فعظم ورفع شانه (٢٥٢) » .

والواقع أن اكثر السنوات التى برز فيها التحالف بين الامير دبيس

---

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، جـ ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم، جـ٩ ص ١٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصـــدر السابق ص ١ هنا يذكر ابن الفرات تاريخ الدول والملوك جـ ١ مخطوط ص ١٤ (أ) أنه لـــا قتل اضاف السلطان محمد مملكته اليه وولاها اصحابه فدخلها الخبط والضياع ".

(٢٤٩) أبن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ص ٥٢ الذهبى : العبر جـ ٤ ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب جـ ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم الانساب ، جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ٧٨ ســبط بن العجمى : كنــوز الذهب ، جـ ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ص ٥٣ .

(٢٥٢) أبن شاكر الكتبى : عيون التــواريخ ميكروفيلم بدار الكتب جـ ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربى وبين امـــارة الرهـــا هى ١١٢٤ م (٥١٨هـ) اى فى عهد الأمير جوسلين دى كورتنساى . اذ يبدو انه تم تحـــالف سرى بين دبيس وبين الفرنـــج بعـــد الصراع الشـــديد بينـــه وبين الخليفـــة المسترشـــد ، ولذا أراد تمرتاش بن ايلغازى حـــاكم حلب ان يأمن جانب دبيس . وكان الملك بلدوين الثـــانى قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب(٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين تمرتاش ، استقر الراى فيها على ان يسلم الملك فى مقابل اطلاق سراحه « الأثارب وزردنا(٢٥٤) وكفر طاب والجزر(٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقـــة بدبيس(٢٥٦) » .

لذا كاتب دبيس قومـــا من اهل حلب وارســـل اليهم بعض الدنانير « وسامهم تسليمها ، فكشف ذلك رئيسها فضـــائل بن صاعد بن بديع فاطلع عليـــه تمرتاش بن ايلغـــازى فأخذهم وعـــذبهم وشنق بعضـــهم وصـــادر بعضـــا وأحرق بعض(٢٥٧) » وبذلك فشلت محـــاولة دبيس هذه فى الاستيلاء على حلب .

---

(٢٥٣) Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 423.

(٢٥٤) بليدة من نواحى حلب الغربية (يـــاقوت الحموى : معـــجم البلدان حـ ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (ياقوت حموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١
Setton : Op. Cit., V. 1,p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان دبيس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد أن كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من العين والعروض على ظهور المطـــايا ووفد على ســـالم بن مالك بن بدرن الى قلعـــة دوبـــر واستجار به فأجاره وغاضب المسترشد والسلطان محمود فى امره » .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ ؛ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٥ .

ثم كان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى على الشروط المتفق عليها بعد ان دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين الف دينار(٢٥٨) »، وكان القائم بالمفاوضات بين الملك وتمرتاش هو الأمير أبو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن بدله أهمهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ٥١٨هـ (٢٥٩) (١١٢٤م) . ولكن بمجرد أن أصبح الملك حرا تنكر للعهد الذى بينه وبين تمرتاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذى لا يمكن خلافه سالنى عما بذلت وما الذى استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابى ، وامرنى بالدفع عنها وقال أن خطيئتك تلزمنى ولا اقدر على خلافه (٢٦٠) » هنا بدات المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور دبيس بن صدقة ملك العرب وأمير الحلة ، فاتصل بالفرنج وقدم لهم خدماته فى مقابل مساعدته هو الآخر فى تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الأولى أن دبيس « خالط جوسلين وبغدوين وصافاهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعبر واتفق دبيس والفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها أن تكون حلب ادبيس والأموال والأرواح للفرنج (٢٦١) » . أما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم فأكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس ابن صدقة صاحب الحلة فأطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال أن أهلها شيعة وهم يميلون الى لأجل المذهب ، فمتى راونى سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال انى اكون ههنا عنكم نائبا ومطيعا (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

---

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة،الطباخ ، حـ ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ، الطباخ ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، حـ ١ ص٣٠٣ — ٣٠٤

وقد اشترك فى هذا الحصار لمدينة حلب كل من الملك بلدوين الثانى ملك القدس وجوسلين الأول أمير الرها (٢٦٣) . ودبيس ابن صدقة وسلطان شاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبة دبيس عيسى بن سالم بن مالك ويغى سيان بن عبد الجبار صاحب بالس (٢٦٥) ، كما يضيف اليهم متى الرهاوى أيضا سلطان ملطية (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الاتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهات اذ خرج دبيس وجوسلين من تل باشر وقصدوا ناحية الوداى فأفسدوا الزرع ، ثم رحلا ونزلا مع الملك بلدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصل اليهم الملك سلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبة ونزل جوسلين على طريق عزاز وما يجاوره يمنه ويسره ، ونزل دبيس وسلطان شاه بن رضوان مما يلى جوسلين من الشرق وفى صحبة دبيس عيسى بن

---

(٢٦٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

(٢٦٤) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ، ص ٥١ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى دبيس باسم (صدقة — (Sadaka, Sale) ابن دبيس ، والواقع انه ربما خلط بين الأب لابن . ومما يرجح ذلك ان متى نفسه يعرفه بانه صهر ايلغازى ، وبذلك يكون دبيس وليس صدقة . اما ابن ايبك : كنز الدر ، حـ ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى دبيس خطأ بانه دبيس البرسقى سيف الدولة . والصحيح ان سيف الدولة الذى قصده هو آقسنقر البرسقى وليس دبيس . اما عن سلطان شاه فيذكر متى انه الابن الأصغر للسلطان تتش ، ولكنه فى الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تتش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

(٢٦٦) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
وهو هنا كما سبق ان اشرنا اما عرب او طغرل ارسلان بن قلج ارسلان .

(٢٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

ســالم بن مالك . ونزل يغى سيان بن عبد الجبــار بن ارتق صــاحب بالسن مما يلى دبيس من الشرق (٢٦٨) » .

وبعــد أن قاسى اهــالى حلب كثيرا من قلــة الأرزاق ومن كثرة الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا ـ التجأوا الى آقسنقر البرسقى أمير الموصل يتوســلون اليه أن يحضر لنجدتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى كان مريضــا لا يستطيع الحركة لشــدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل الى دبيس من اخبره بذلك « فضرب البشــارة فى عســكره وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض أصحابه فى اهل حلب ، قــد ماتت من أملتم نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما اقترب منها ارسل اليهم يقول « اننى لا أقــدر على الوصــول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصــار أصحابى فيها فاجبوه الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصــل الى حلب فرحل الفرنج عنهــا بدون أى خســائر (٢٧٣) . واراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

---

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر الســابق ص ٢٢٤ الطبــاخ الحلبى : جـ ١ ص ٤٥٦ .

(٢٦٩) Mattieu : Op. Cit., p. 142,

سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥١

(٢٧٠) Mattieu : Ibid., p. 142,

ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٥٨ .

(٢٧٢) أبن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٧ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .

(٢٧٣) Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Crois V. 2 p. 877 عن (L'Anonyme).

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكــامل ، جـ ٨ ص ٣١٧ أن البرسقى منعهم بنفســه وقال « قــد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحــة تركهم حتى يتقرر امر حلب وتصــلح حالهــا وتكثر ذخائرهــا ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم » .

وبعـد انسحاب دبيس عن حلب اتجـه الى الموصـل فخربهـا وخرب كل الاقاليم التـابعة للبرسقى (٢٧٥) .

والراجح ان دبيس ظل بعـد تلك الهزيمة على موقفـه العـدائى من الخلافـة والمسلمين آملا ان يجد الفرصـة مرة اخرى كى يجـد فى الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٢٥هـ ١١٣٠م من « ان دبيس وصـل منهزما من المسترشـد وخفى خبره فترة ثم ظهر بعـد مدة انه وصـل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن السـلطان عند مالك صـاحبها ، وسـار الى جوسـلين واسـتند الى الفرنـج فلم ير مـا يعجبـه (٢٧٦) » .

وفى ٥٢٩هـ ١١٣٤م قتل دبيس بن صـدقة وقيل أن السلطان مسعود هو الذي قتله بعد مقتل المسترشـد بثمانيـة وعشرين يوما (٢٧٧) . وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربى الخائن للقضية الاسلامية فى ذلك الوقت ، والذى لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرهـا بالمسلمين عامة يجـدر بنا الاشـارة الى علاقـة الرهـا بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها ببيروت .

اما سـبط بن العجمى : كنوز الـذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ـ ٨٤٠ ، فيذكر أن سبب عـدم تعقبه لهم انه « عندما طلب منه ابو الفضـل بن الخشـاب أن يتعقبهم قائلا : لوسقت خلفهم لاخذناهم باسرهم فانهم منهزمون فقال له : تعلم ان فى بلدكم ما يقوم بكم وبعسكرى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .

فقـال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وتوا علينا ما نفعنا انفسنا ولكن الله تعالى قد دفـع شرهم » .

(٢٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 142.

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكروفيلم حوادث ٥٢٩هـ . ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ ، ٥٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ . ويذكر زامبور : معجم الانسـاب حـ ٢ ص ٢٠٨ ان مقتل نور الدولة دبيس كان فى ذى الحجة ٥٢٩هـ .

ففى ٥١٣هـ ١١١٩م سـار جوسلين فى مائتى فارس فكبس طائفـة من طى يعـرفون ببنى خـالد ـ وهم بطن من عـامر بن صعصعة من العدنانية ٢٧٨ ـ فأغار عليهم وغنم أموالهم (٢٧٩) ، وسـألهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم بوادى السلالـة بين دمشق وطبرية فاسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسـا كما سير اليهم قوة أخرى مكونة من مائة وخمسين فارسـا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندما علم بنو ربيعة بذلك ارادوا الرحيل ، لكن اميرهم مر بن ربيعـة منعهم . وكان عـدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصـل المـائة وخمسين فارسـا الفرنجيا دارت معركـة بين الجانبين . « فظهرت من امير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة راى (٢٨٠) » . فقتل من الفرنج سبعين واسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم فى فـداء نفسـه « مالا جزيلا وعـدة من الأسرى » أما جوسـلين فانه ضل فى الطريق وبلغـه خبر الموقعـة فاتجه الى طرابلس فجمـع جيشـا ورحل الى عسقلان فهزمه المسلمون هناك وعاد مفلولا (٢٨١) .

أما عن علاقة الرهـا ببيروت فما عثرنا عليه فى المصـادر يتركز فى فترة حكم بلدوين دى بورج أمير الرهـا الثانى .

وفى تلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين فى مصر بعـد زوال معظم ملكهم فى الشـام ، ولـم يبق لهـم السيادة الا على بعض الثغور البحريـة التى منهـا بيروت . ففى ٤٩٥هـ (١١٠١م) « وصـل قمص

---

(٢٧٨) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انسـاب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٧٩) ابن الأثير : الكـامل ، جـ ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السـابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٧٥٣ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكـامل ، جـ ٨ ٢٨٩ ، ابن خلـدون : العبـر ، جـ ٥ ص ١٩٨ .

«الرهـا مقـدم الفرنج فى عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعـا فى افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ولم يتهيأ فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) ».

وفى ٥٠٣هـ (١١١٠م) سـار جوسـلين صاحب تل باشر والتـابع الاول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعاونة النازلين عليـه من الافرنج ويستنجد بهم على عسـكر مودود النازلين على الرهـا وفى شوال من السنة سقطت بيروت فى يـد الفرنج (٢٨٣) » . وقـد ذكر متى الرهاوى « ان جوسـلين سـاعد فى الاستيلاء على المدينـة وابدى شجاعة كبيرة فى ذلك (٢٨٤) » .

بهـذا امكننا اعطاء صورة مفصـلة عن علاقة امارة الرهـا الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما اسعفتنا به المصادر الأصلية والمراجع المختلفة .

ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام :

نقصـد هنـا بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام ، بيت المقـدس وانطاكية وطرابلس . وسنبدأ أولا بدراسـة علاقات امارة الرهـا مع الصليبيين عامـة قبل تأسيس الامارات الثلاث ثم نتلوها بالعلاقة مـع بيت المقـدس باعتبارها كانت ابرز الوحدات الصليبية فى الشرق بل كانت تمثل القيادة العليا بالنسبة لبقية الامارات ثم نتبعهـا بامارة انطاكيـة القريبة من امارة الرهـا والتى كانت على صلة دائمـة بهـا سواء ودية او عدائية ونتلوها اخيرا بتناول علاقة الرهـا بامارة طرابلس ، وهى كما سنرى لم تكن كبيرة .

اما عن علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم مقيام امارة الرهـا الصليبية ، حتى شـارك بلدوين البولونى بنفسـه فى الحصـار الذى فرضـه الصليبيون على انطاكية فاشـارت المصـادر اللاتينية الى انه « غادر الرهـا بعد شهرين فقط من تبنى ثوروس لـه

---

(٢٨٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ؛ مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث (٣٠١ — ٥٠٠هـ) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54 - 55,

(٢٨٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

(٢٨٤) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

الى انطاكيـــة (٢٨٥) » . ويؤكـــد مشـــاركة بلدوين للصليبيين فى تلك المهمة ماذكرته المصـــادر الاسلامية ايضـــا من انه كان يوجـــد فى انطاكية فى ذلك الوقت « الملك بردويل ومنجيل وكنـــدفرى والقمص صـــاحب الرهـــا وبيمند صـــاحب انطاكية (٢٨٦) » . والواقـــع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للصليبيين عندئذ وكان بلدوين البولونى كما راينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قـــد اصبح (صـــاحب انطاكية) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما اصبحا عليه بعد ذلك لابحكم ما كانا عليـــه فعلا عندئذ وقت حصـــار انطاكية .

والراجح ان بلدوين لم يلبث ان عـــاد الى الرهـــا للأهتمام بأمارتـــه الجديدة وحمايتها مما احاط بهـــا من اخطار فضلا عن الاحتفاظ للصليبيين عامـــة بركيزة اولى فى المشرق الاسلامى . ولكن بلدوين حرص فى الوقت نفســـه على الا يفقـــد الأرتباط بينه وبين بقيـــة الصليبيين المحـــاصرين الانطاكية فكان يتلقف اخبارهم ويتابع المصـــاعب التى واجهوها وخاصـــة فى الميرة والمؤن (٢٨٧) . ويقال ان بلـــدوين أسرع بارســـال الكثير من المؤن اليهم (٢٨٨) . كما أرسل أيضـــا « كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس الحريرية والخيول الممتازة ذات القيمة العاليـــة الى أخيه الدوق جودفرى والى روبرت فلاندر وروبرت النورماندى وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو أن تلك الهبات كانت كثيرة جـــداً مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

---

(٢٨٥) Baldriei Episcopi Dolensis : Historia ... T 4, p. 81

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٨٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٠٣ .

(٢٨٧) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237 - 238.

(٢٨٨) Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213.

(٢٨٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

هنـــا يضيف (ميشو) الى قائمـــة الصليبيين امراء (شـــارترس وبلوا (Chartres, Blois ويذكر ان بلدوين نسى عن قصـــد ان يقدم شيئا من العون لبوهيموند .

(Michaud ; Op. Cit., V. 1, p. 287).

(٢٩٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395.

وفى تلك المرحلة يعطينا وليم الصورى أول صورة للانقسام بين المسلمين بسبب تباين المصالح الفردية فدب الخلاف بين رضوان أمير حلب وبين حاكم مدينة عزاز (٢٩١) . واستنجد الاخير بجودفرى اخى بلدوين الذى طلب من اخيه المشاركة معه بجيشه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكان أن تم ذلك ثم عاد بلدوين الى الرها وجودفرى الى انطاكية (٢٩٢) .

ويهمنا انه فى خلال تلك الحملة ، قام بلدوين بدعوة اخيه جودفرى لزيارة الرها ـ كما سبق ان اشرنا ـ وكان الدافع الأول لجودفرى على الموافقة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بانطاكية بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجماعى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جودفرى معه الى الرها حاشيته وعددا كبيرا من الناس المحتاجين ليمدهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرها واستقروا فيها (٢٩٥) . فى حين عاد البعض الآخر إلى لخوانهم الصليبيين فى انطاكية بعد أن لغدق عليهم بلدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان ان أستولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين امارة الرها من ناحية وبيت المقدس الصليبية من ناحية اخرى

ويتبلور جزء من هذه العلاقات فى الزيارة التى قام بها بلدوين امير

---

(٢٩١) William : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٢٩٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 301-304.

(٢٩٣) William : Ibid., V. 1, p. 304.

(٢٩٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, William : Op. Cit., V. 1, p. 304

(٢٩٥) Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234.

(٢٩٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304-305.

الرهـــا بوهيموند امير انطاكية لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٤٩٤هـ)
ويبدو ان بلدوين وبوهيموند صادفا متاعب جمة خلال رحلتهما الى المدينة
المقدســـة حتى وصـــلا ســـالمين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفرى
وتنكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الأماكن المقدســـة فى
القدس فى الوقت الذى كانت المدينـــة تفوح منها رائحـــة جيف المسلمين
الـــذين ســـقطوا قتلى بحراب الصـــليبيين عنـــد اســـتيلائهم على بيت
المقدس (٣٠٠) .

هـــذا الى ان بلدوين امير الرها شـــارك فى اختيار دايمبرت بطريركا
على بيت المقـــدس (٣٠١) ، وان كانت المصـــادر المعاصرة لا تشير الى
ان دايمبرت اعطى تفويضـــا بحكم امارة الرهـــا لبلدوين اسوة بالتفويض
الذى حصـــل عليه جودفرى وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى
ما كان هناك من خلافات بين بلدوين ودايمبرت .

واخيرا عزم كـــل من بلـــدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم
توديعهما « فى فرح شامل وسعادة واشترك فى التوديـــع رجـــال الدين
وجمهور القـــادة وجودفرى نفســـه بل انهم صاحبوهم الى نهر الأردن ،

---

(٢٩٧) تذكر المصـــادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدات فى نوفمبر ١٠٩٩م وكـــان الوصـــول الى بيـــت المقـــدس فى مـــارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704.
اما المراجع الافرنجيـــة الحديثـــة فتشير الى ان تلك الزيـــارة كانت فى ديسمبر ١٠٩٩م .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261, Zoé : p 177.
والراجح هو ما ذكرته المصـــادر اللاتينية ، خاصـــة وان المؤرخ فولشر كان مصـــاحبا لبلدوين فى تلك الرحلة .

(٢٩٨) Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366.

(٢٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 178.

(٣٠٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.

(٣٠١) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512.

(٣٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

وهناك اغتسلوا جميعا فى النهر لينتعشوا ! ثم افترقوا (٣٠٣) » . وبذلك عاد بلدوين الى الرهـا وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣٠٤) .

ثم كان ما سبق أن ذكرناه من وفاة جودفرى حـاكم بيت المقـدس ، وحلول اخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينـة المقدسـة باسم الملك .

ومن الطبيعى ان تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقـدس فى عهد ملكها بلدوين الأول وبين امارة الرهـا بحكم ما بين بلدوين والرهـا من علاقات سـابقة ، وتتضـح هـذه العلاقة عندما اسر أمير الرها بلدوين دى بورج اذ يقال ان جكرمش أرسـل الى تنكريد يعرض عليـه اطلاق سراح الأمير بلدوين مقابل أطلاق سراح أميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه أو ان يدفـع مقابل اطلاق سراحها خمسـة عشر الف بيزانت (٣٠٥) . هنا أسرع ملك القـدس بلدوين الأول بالكتابة الى بوهيموند أن يسـلم الأميرة ولا يفوت فرصـة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير أنطاكية كان يفضـل ان يظل الأمير بلدوين فى الحبس (٣٠٦) ؛ وسوف نتناول موقف انطاكية بالتفصيل من هـذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرهـا .

وعندما أطلق سراح بلدوين — كما سبق أن اوضحنا — واحتدم النزاع بين الرهـا وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطـاق النفوذ الاقطـاعى لملك بيت المقـدس وانما كانت الرهـا هى التى تتبعه فقط « لذا احضر تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى ولم يقف الأمر فقط عند حـد اعلانه الولاء لملك القـدس ، بل أجبر على الركوع أمامه (٣٠٧) » . ويفضل تدخل الملك

---

(٣٠٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512.

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(٣٠٥) Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. كانت تلك الأميرة قـد اسرها تنكريد اثنـاء تتبعـه لجكرمش عند حصـار الأخير للرهـا بعـد حران .
(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

(٣٠٦) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣٠٧) Zoé : Op. Cit., p. 241.

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرهـا من ناحيـة وبين طرابلس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . اما عن الرهـا « فقد حصل الملك من تنكريد على تنـازل بدون مقابل عن كل ما وضـع يـده عليـه من امارة الرهـا (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرهـا ١١١٠م (٥٠٤هـ) وهددهـا الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خـاف بلدوين دى بورج من تكتل القوى الاسـلامية وفي المشرق ضـده وأسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الأول، فأرسل اليه جوسلين دى كورتناى ليطلب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكـان الملك بلـدوين في ذلك الوقت يحاصر بيروت كمـا مر بنا . فلم يستطع أن يتوجـه الى الرهـا الا بعد انتهاء حصـار بيروت وخاصـة وان المدينة كانت عندئذ على وشـك السقوط (٣١١) . وبعـد أن تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وحشـه الى بيت المقـدس (٣١٢) .

---

(٣٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٩) Cahen : Ibid., p. 251.
اما (ستون) فيذكر ان ذلك كان في مقابل ممتلكات اخرى فقد قال « انه من اعظم منجزات الملك بلدوين الأول أنه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه في الرها وان يعترف باعادة بلدوين دى بورج قريب الملك اليها. وفي مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاعات طبريـة ، الناصرية وحيفا واصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

(٣١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. Cit., p. 147,
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ (عن صالح بن يحي : تاريخ بيروت)

(٣١٢) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : Historiae Liber XI,. T. 4, p. 671.

ليعطى الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضـــع الرهـــا (٣١٣) ، ويطلب منهم المســـاعدة (٣١٤) .

وبالفعل جمـــع قواته وانضمت اليها قوات طرابلس وتوجـــه مـــع جوسلين الى الرهـــا وبصحبتهم بعض القوات الأرمينية (٣١٥) . وكان ذلك فى بداية يونية (٣١٦) . أو فى منتصف مايو (٣١٧) .

والواقـــع ان الملك بلدوين استطاع ان يجمع جيشـــا ضخما بلـــغ عـــدده حوالى خمســـة عشر الفا (٣١٨) ، ولم يلبث ان انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجى (٣١٩) . بعـــد ان ارســـل اليه الملك يدعوه ان يتصـــل ببقية الفرنج وتصفية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولعل هـــذا ما دفـــع بعض المؤرخين الى القول « بان ســـنة ١١١٠م شهدت وحـــدة صليبية بين اماراتهم فى الشـــلم (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلدوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى راســـها الملك بلدوين وقد اتت لنجدته(٣٢٢) . وقد سبق ان ذكرنا

---

(٣١٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٣١٤) Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671,
سياتى التفصيل فى الملاحق

(٣١٥) Mattiue : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٧
Cahen.: p. 257, Archer : p. 148

(٣١٦) Cahen : Ibid., p. 257.

(٣١٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٣١٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
L Epopée, p. 87.

(٣١٩) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti : Op. Cit.,
Liber XI ... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.

(٣٢٠) Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399,

(٣٢١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٣٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
'LEpopée, p. 87.

احداث تلك الحملة عند كلامنا عن العلاقات بالموصل ، ولكن ما نود الاشارة اليه هنا هو ان ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية من الرها حتى جاءته بعض الأخبار بأن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجموا ممتلكاته مما جعله يعجل بالعودة الى القدس (٣٢٣) .

وفي سنة ١١١٣م (٥٠٧هـ) مر بنا كيف وقع الخلاف بين بلدوين دي بورج وجوسلين دي كورتناي وطرد الأخير من الرها وتوجه الى القدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبرية والجليل ليستفيد من خبراته العسكرية في محاربة المسلمين .

وكانت أول تجربة مر بها جوسلين وهو في القدس هي موقعة طبرية (ثالث عشر محرم ٥٠٧هـ) (٣٢٤) . (١١١٣م) بين الفرنج والمسلمين وهي الموقعة التي ذكر ابن الفرات ان الجيش الفرنجي فيها كان بقيادة ملك بيت المقدس ومعه جوسلين فضلا عن امير انطاكية روجر (٣٢٥) . وفي تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « واسر ملكهم بغدوين واخذ سلاحه لكنه افلت من الاسر وغرق من الفرنج خلق كثير في بحيرة طبرية واختلط الدم بالماء حتى امتنع الناس من شرب الماء ايام (٣٢٦) » . وتؤيد بعض المصادر الاسلامية الأخرى (٣٢٧) . رأى ابن الفرات في ان بلدوين دي بورج لم يشارك في تلك المعركة ، وربما شغلته امور امارته واخطار الترك المتحفزين للانقضاض عليها واخذها ، من المشاركة في ذلك . ويخرج من هذا الرأى اسامة

---

(٣٢٣) Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 453, سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٨

(٣٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١ ص ٦٧ (أ) ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٦ أما ابن خلدون فيخطيء في ذكر التاريخ حيث يقول ان ذلك كان في منتصف المحرم ٥١٠هـ .

(٣٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق ص ٦٧ (أ) (سروحال) .

(٣٢٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، ص ٦٧ (ب) ، ٦٨ (أ) .

(٣٢٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢٦٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٢١ .

بن منقذ وحده فينفرد بالقول بأن حاكم الرها شارك فى تلك الحركة (٣٢٨) .
ومن الواضح أن أسـامة أخطأ فى اعتبار جوسلين حاكم الرهـا وقتذاك .

ثم تعاقب الأحـداث ومـات الملك بلدوين الأول كمـا مر بنا ١١١٨م وتولى مكانه بلدوين دى بورج أمير الرهـا بفضـل موقف جوسـلين دى كورتناى الذى تولى حكم الرهـا . ويعلق جروسية على وضـع الرها وعلاقتها ببيت المقـدس فى تلك المرحلة فيقول : « كانت امارة الرهـا فى أول الأمر مستقلة تماما عن القـدس واتصلت أول مرة بمملكة بيت المقدس عندما أصبح بلدوين الأول ملكا فاقطع بلدوين دى بورج الرهـا ، ثم ازداد ذلك الاتصـال قوة عندما اختير بلدوين الثـانى (دى بورج) ملكـا على بيت المقدس ، فاقطع الرهـا لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازى لمواجهـة الفرنـج فى زردنا ، فاجتمع الملك بلدوين مـع جوسـلين أمير الرهـا وبعض البارزين من أمراء انطاكيـة لصـده ، على أنه لم يحدث اشتباك مـع المسلمين عندئذ بسبب مرض ايلغازى وحمله الى حلب حيث توفى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين فى أسر بلك الأرتقى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٣٣١) .
(٥١٦هـ) غدت امارة الرهـا فى وضـع قلق مما جعل ملك بيت المقدس يضعها تحت قيادة حاميـة بامرة جيوفرى الراهب ، حـاكم مرعش حتى يتكشف أمر جوسلين . وهكذا أدت جهود الملك بلدوين ونائبـه جيوفرى الراهب الى المحافظـة على امارة الرهـا ، وقام الملك بعـدة اجراءات اداريـة وسياسية وعسكرية ، توجت بالمعاهدة بينه وبين سـليمان بن عبد الجبار حاكم حلب فى ٩ ابريل ١١٢٣م (٣٣٢) . ومن هـذا يبدو أن الملك بلدوين الثـانى تحمل عبئا جسيما فى ذلك الوقت بسبب الأوضـاع الصليبيةالعامـة التى غدا فيها الصـليبيون ، بعـد مقتل روجر حـاكم

---

(٣٢٨) أسـامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .
(٣٢٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
(٣٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 537.
(٣٣١) Mihel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540.
(٣٣٢) Setton : Op. Cit., V .1, p. 419.

انطاكية قبل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها احاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوصايتين فى وقت واحد على الرها وانطاكية (٣٣٣) .

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه ــ كما مر بنا ــ ١١٢٣م . وذكر البعض ان اسره كان اثناء توجهه ليرفع حصار بلك عن قلعة كركر (٣٣٤) . فى حين ذكر البعض الآخر انه توجه ضد بلك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٣٥) . اما وليم الصورى فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله فى بلاد جوسلين للأطمئنان على سير الأمور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى أن يقدم بعض العون لأولئك الناس الذين حرموا من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصى الأحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والمشاه والأمدادات الوافرة من الأسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه بلك فجأة في غفلة حراسة (٣٣٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هى انطاكية والرها وبيت المقدس من حماتها الذايين عن بيضتها (٣٣٧) .

وقد رأينا كيف بذل الارمن سواء فى داخل خرتبرت او خارجها أو من اهل الرها نفسها اقصى ما فى وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذى اخذ على عاتقه اطلاق سراح الملك .

كان جوسلين عند وصوله الى الرها « مثقلا بالمهمة التى عهدت اليه (٣٣٨) » ، فلم يتمكن من الاقامة فى الرها مدة طويلة (٣٣٩)

---

(٣٣٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥١١ .

(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ص ٣١٣

(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872

(٣٣٥) Mattieu : Op. Cit., p. 133.

(٣٣٦) William : Op. Cit., V. p. 540.

(٣٣٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .

(٣٣٨) William : Ibid., p. 544

(٣٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رحل الى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فاتجه وفقا لنصيحة البطريرك برنارد الى القدس (٣٤٠) . « حيث شرح البطريرك ولامراء المملكة ظروف الكارثة التى لحقت بالملك وروى كل التفاصيل الخاصة بالحادث ورجاهم أن يرسلوا نجدة فى الحال لان وضع الملك محفوف بالمخاطر ، لا يسمح باى تباطىء (٣٤١) » .

ونتيجة لتوسلات جوسلين « اجتمع كل اهالى المملكة كرجل واحد وحملوا صليب الصلبوت معهم ، وبدأوا الرحيل فى الحال ثم انهم حصلوا من المدن التى مروا بها على تعزيزات مما زاد من اعدادهم حتى وصلوا الى انطاكية وهناك انضمت اليهم جموع غفيرة وساروا تحت قيادة جوسلين الى تل باشر (٣٤٢) » .

أما عن الملك بلدوين الثانى فقد ظل فى حبس بلك بحران حتى توفى بلك فى موقعة منبج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجميع الى حلب (٣٤٣) ، التى كان يحكمها آنذاك تمرتاش بن ايلغازى . ومع ذلك لم تتوقف جهود الأمير جوسلين من اجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك انه تم ١١٢٤م الاتفاق بينه وبين الملكة زوجة بلدوين الثانى من ناحية وبين تمرتاش من ناحية اخرى على فداء الملك مقابل مبلغ كبير من المال ،

---

(٣٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤١) William : Ibid, p. 545.
وهنا يذكر جروسيه أن بطريرك القدس فى ذلك الوقت كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 592)
وكان القائم بالوصاية على القدس هو الكنستابل ايو ستاس جرنييه
Cahen : Op. Cit., p. 298.

(٣٤٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤٣) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

على أن يقدموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، ومعهما خمسة عشر شخصا من كبار القوم (٣٤٤) .

وكان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى بعد ان دفع عشرين الف دينار (٣٤٥) . ويعلق متى الرهاوى على اطلاق سراح الملك بان الفضل فيه يرجع الى جهود جوسلين (٣٤٦) .

وقد برزت جهود الملك بلدوين الثانى فى مساعدة امارة الرها بعد اطلاق سراحه عندما حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها ١١٢٥م — ٥١٩هـ وقد أوضح متى الرهاوى ذلك بالتفصيل (٣٤٧) . وفى ١١٢٦م (٥٢٠هـ) هاجم البرسقى الاتارب فتوجه لملاقاته ملك بيت المقدس وجوسلين دى كورتناى ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن بينا فى علاقة الرها بحلب .

والواقع ان امارة الرها شاركت بمجهودات واسعة فى مساعدة التوسع الفرنجى الذى قاده ملك القدس ١١٢٦م على حساب المسلمين. وخاصة على حساب اتابكة دمشق (٣٤٨) .

وفى ١١٢٧م (٥٢١هـ) تدخل ملك بيت القدس بين كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثانى أمير انطاكية والتى خلافا نشب بينهما (٣٤٩) ، كما سنرى بعد ذلك . وفى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) (٣٥٠) توفى طغتكين حاكم دمشق وخلفه ابنه بورى الذى نكل بالباطنية فى دمشق ، لذا خاف الباطنية فى بانياس على أنفسهم وسلموها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

---

(٣٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثانى. Mattieu : Ibid, p. 139.
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423).

(٣٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٣٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 140.

(٣٤٧) Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144.

(٣٤٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426.

(٣٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٣٨ .

(٣٥١) Cahen : Op. Cit., p. 348.

فى نفوس الفرنج رغبة شديدة لامتلاك دمشق والاقاليم المحيطة بها (٣٥٢) .
وكان ان ارسل الملك بلدوين الى الغرب يستحثه لارسال حملة صليبية جديدة للمســاعدة فى الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل تقدم عــدد كبير « من الرفاق من الرجال النبلاء الى المملكــة (٣٥٣) » ، والى جــانب هؤلاء القادمين شــارك كبار امراء الصليبيين فى الشرق فى القيــام بتلك المهمة وعلى راسهم « فولك امير انجو وبونز Pons امير طرابلس وبوهيموند الثــانى امير انطاكية وجوسلين الاول امير الرهــا (٣٥٤) » .

وقــد وصلت الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها امير وتقــدم الجميع نحو دمشــق فى دسمبر ١١٢٩م (٣٥٥) (٥٢٣هـ) ولكن باءت المحاولة بالفشــل لسببين اوضحهما وليم الصــورى : الاول انشغال كل فريق بالحصــول على غنائم لنفســه فقــد عمدت الجيوش « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخــر حتى تستطيع كل جماعــة ان تطالب شــيئا مما تجــده ولا تقتسمه مــع الآخرين (٣٥٦) » . وهو ما شجع بورى حاكم دمشق (٣٥٧) ، على ان يدبر هجوما مفاجأ ضــدهم وهم متفرقون على هــذا النحو (٣٥٨) .

والسبب الثــانى للهزيمة كان تدخل العناية الالهية لصالح المسلمين فقــد هبت عاصفــة شــديدة ممطــره مصحوبــة بالضــباب علــى الصــليبيين (٣٥٩) .

---

(٣٥٢) Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 40.

(٣٥٤) William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 41.

(٣٥٧) هنا اخطأ وليم الصورى فاشار اليه بانه (طغتكين) .

(٣٥٨) William : Ibid., V. 2, p. 41.

(٣٥٩) William : Ibid., p.p. 41 - 42.

ثم حدث في أواخر أيام الملك بلدوين الثاني أن توفي بوهيموند الثاني أمير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) . - كما سنرى - وحاولت زوجته أليس ابنة الملك بلدوين نفسه أن تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعي في الحكم ولكن بلدوين أسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الأول بأن يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها أميرا لانطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين في الأمير جوسلين . واخيرا توفي بلدوين الثاني ملك القدس في ٢١ اغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله في ١٤ سبتمبر فولك الأنجوي Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التي كان قد تزوجها في ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع أن عهد الملك بلدوين الثاني يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يبخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها في غالبية الظروف عندما تهدد الامارة بأي خطر خارجي يهدد مصالحها ، وبالتالي مصالح الصليبيين عامة ، لأنها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرقي الواقي للامارات الصليبية عامة .

أما عن خليفة بلدوين الثاني على عرش القدس فانه لم يستطع في غالبية الأحيان ان يفرض سلطانه على أمراء الشمال - نعني أميري الرها وانطاكية - ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ٥٣٤هـ/١١٤٠م أن حلت الهزيمة بالملك فولك أمام زنكي وطلب الملك نجدة أميري الرها وانطاكية فخفا بالفعل لنجدته (٣٦٥) . وفي ١١٤٤م (٥٣٩هـ) عندما حاصر زنكي الرها

---

(٣٦٠) Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.

(٣٦١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٣٦٢) G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٣٦٣) G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4 - 5.

(٣٦٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٣٦٥) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين : ص ٣٠ (عن الاعتبار) .

وارسل جوسلين الثـالى يستنجد بمملكة بيت المقـدس ارسلت الملكـة ميلزاند جيشـا بقيادة حاكم نابلســ وحـاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين فى تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متأخرا جـدا (٣٦٧) . وســوف نتناول موقف القـدس بالتفصيل عنـد دراســة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرهـا .

والواقـع ان علاقات الرهـا بالقـدس كان يغلب عليها باستمرار الطـابع الودى .

اما عن علاقة الرهـا بانطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها فى الشمـال ، فانها اتصفت بالعـداء وسوء التفاهم بعكس العلاقـة بين الرهـا والقـدس ، التى اتسمت غالبا بطابع الود والتحالف كما رأينا .

وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرهـا وانطاكية ، يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقـد افاضت المصادر اللاتينية والافرنجية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريـد ابن اخت بوهيموند امير انطاكيـة الأول من ناحيـة اخرى أمام طرسوس ثم امام المصيصـة سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) عند مجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالاشـارة الى ذلك بايجاز لانه وان كانت خارجـة عن نطاق العلاقات بعد تأسيس الامارات ، ولكن كان لها فى نفس الوقت تأثيرها بعـد ذلك .

اما عن الخلاف امـام طرسوس فقـد كـان ذلك مبكرا فى سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى فى الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة ، وبذلك كان الأول فى الوصول الى قيلقية (٣٦٩) » . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكـان فاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

---

(٣٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٣٦٧) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236.

(٣٦٨) Harold Lamb : Op. Cit., p. 126.

(٣٦٩) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ١٧٩
William : V. 1, p. 178,

(٣٧٠) William : Ibid., V. 1, p. 180.

على المكـان تنـافس وطلب مقاسمة تنكريـد فى المدينـة فرفض قائلا :
«اننى ارفض كل قسمة معك (٣٧١) » .

وبعـد جدل طويل بينهما اصر بلدوين على رايه فاشـار عليه تنكريد بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالفعل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن بلدوين هددهم « ان لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا علمـه بدلا منه فسوف يسـلم المدينـة وكل الضواحى المجاورة للتـدمير (٣٧٣) » . لذا خشى الاهالى لان جيش بلدوين كان الاكثر عـددا (٣٧٤) . فرفـع علم بلدوين مكـان علم تنكريد « وضبط تنكريد مشـاعره وانسحب خوفا من قيـام شـقاق بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة إذنة (٣٧٥) » .

وبعـد رحيل تنكريد امر بلدوين اهالى طرسوس بفتح ابواب المدينـة امـام جنـده ليدخلوها ، مستخدما فى ذلك مزيجـا من التهديد والانذار ؛ ففتحوا الابواب وسمحوا لبلدوين وقواته كاملة بالدخول ، وتخلوا له عن برجين وضعوهما تحت تصرفه فى حين احتفظ الاتراك الذين كانوا لا يزالون بالمدينـة بملكية الابراج الاخرى (٣٧٦) .

وفى نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد ارسل قوة من ثلثمائة نورماندى

---

(٣٧١) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـدس ص ٤٥
Harold Lamb : p. 127, هنا يذكر المؤلف المجهول أن الاهالى تدخلوا بين الأميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين بقوله «فلندخل المدينـة معا وننهبها وليقم على حراستها من يصيب النصيب الا وفى وليحتلها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد» ما ابغض هـذا المسلك الى نفسى وابعدها عنه اننى لا اريد أن اسلب النصـارى ولقد اختـارنى رجال هـذه المدينـة اميرا عليهم وهم لا يريدون سواى اميرا .

(٣٧٢) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .

(٣٧٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 180.

(٣٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137,
المؤلف المجهول المصدر السـابق نفس الصفحة .

(٣٧٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 182.

لمســـاعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرسوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلـــدوين السماح لهم بالدخول للمبيت فرفض واضطروا للمبيت خــارج ابـــوار المدينـــة (٣٧٧) . « وفى ســـكون الليل خرج الاتراك الموجودين بالمدينـــة خلسة فى هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم واطفالهم وعبيـــدهم واماءهم وكل ما يملكون . فقـــد كانوا لا يستطيعون الشعور بالاطمئنان فى ديارهم مـــع الضيوف الذين وفدوا عليهم (٣٧٨) » . وفى اليوم التالى قام الفرنج فوجـــدوا المدينـــة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العـــدو الصـــامت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحـــة احد ثها الاتراك الراحلون فى الجيش المسيحى النورماندى الـــذى رفض بلـــدوين ادخاله الى المدينـــة فى اليوم الســـابق (٣٨٠) .

والواقع أن هذا الحادث الب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليـــه قتل رفـــاقهم » (٣٨١) وكان أن تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتجريح والنقد حتى من اتباعه انفسهم(٣٨٢) بل لقد افقدته الاعتبـــار لدى الكثير من الرؤساء الصليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحـــال نوعا ما الا بعـــد ان « اقسم بلدوين أن السبب الوحيد الذى منعـــه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصا بعـــدم السماح بدخول اى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفرى) وهكذا هـــدأ الناس وتم الصـــلح »(٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصيصة التى كان قد سبقه اليـــها ايضـــا تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

---

(٣٧٧) William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٩) William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٨٠) مؤلف مجهول اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـــدس ص ٤٥ عن William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 (Albert),, Setton : Op. Cit., p. 300.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٨٣) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

أن يرد من نفس الزاوية المعاملة الشريرة التى تلقاها (٣٨٥) ؛ لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير واخذ بعض الأسرى من كلا الجانبين ، وفى اليوم التالى هدأت مشاعر الكراهية وسكن الغضب وارسلت الرسل لطلب شروط السلم واعيد الأسرى الى كلا الجانبين وعاد السلم(٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين الى مرعش وانضم الى الجيش الأصلى وهناك وبخه اخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك أتجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها(٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تاسيس الامارات الصليبية . يمكن أن نستكشف بعض الرواسب التى اثرت فيما بعد على علاقتهما ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف فى صف تنكريد وتمتدح جانبه فى حين اعتبرت سلوك بلدوين نوعا من القسوة وحب الذات .

ثم كان أن قامت امارة انطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ ظهر موقف الرها منها عندما أسر بوهيموند(٣٨٩) امير انطاكية ووقع فى قبضة بنى دانشمند كما سبق أن اشرنا . ويهمنا هنا ان نتناول موقف أمير الرها من بنى دانشمند والى اى مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

---

(٣٨٥) Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid., T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

(٣٨٦) William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٧) Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد امير تارنت . كان بوهيموند اميرا لانطاكية من ١٠٩٨م . وتوفى فى كانوذادى بوجليا Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقـــال ان بلدوين عرف بالحـــادث « عن طريق بعض الفـــاريين الذين وصفوا له تلك الكارثة »(٣٩٠) أو ان بوهيموند نفســه هو الذى استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعـــاطف مع الأمير كما لو كان اخـــا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقـــوة » (٤٩٢) بل قيل انه « حزن على زميله ورفيقه وبكى على ما آل اليه أمره (٣٩٣) » لذا تقـــدم بسرعـــة لنجـــدته (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشـــاه المختارين واربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند(٣٩٥)» كما ضم اليـــه جمـــاعة من رجـــال انطاكية لمســـاعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يســـتطع تقـــديم أى عـــون لبوهيموند بعـــد ان اخذه بنـــو دانشمند وانسحبوا ، وبعد أن تعقبهم بلدوين ومن معـــه لمدة ثلاثة أيـــام بدون جـــدوى عـــاد الى ملطيـــة فخضعت له ثم عـــاد الى الرهـــا . امـــا اهـــالى انطاكيـــة فقـــد تملكهم الغضب الشـــديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفى ١١٠٠م (٤٩٢هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان اخيه جودفرى الذى ماتقبل فترة قصيرة،اتجه أولا الى انطاكية

---

(٣٩٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.

(٣٩١) Fulcherii : Op. Cit... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 525.

(٣٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٣) Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552.

(٣٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525

(٣٩٦) Gest.a Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud Op. Cit., V .1, p. 52.

(٣٩٧) Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368.

حيث استقبل استقبالا حافلا من اهلها . وبعد أن استراح فيها ثلاثة ايام استأنف رحلته الى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث فى يناير ١١٠١م (٣٩٤هـ) ان خرج بلدوين دى بورج الى سروج لحمايتها من سقمان الأرتقى فحلت به الهزيمة فى اول الأمر ، واضطر الى الفرار الى الرها ومنها اسرع لطلب المعونة من انطاكية(٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم الى سروج .

وفى ١١٠٢م (٤٩٦هـ) اشتركت جيوش الرها وانطاكية فى القيام ببعض الهجمات على المسلمين فى شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض اهلها وقطعوا على عدة مواضع قطائع اخذوها (٤٠١) » ثم توجهوا الى حلب واقاموا بالبلد عدة ايام وبعد التفاوض مع رضوان أميرها استقر الحال على أن يدفع لهم مبلغا من المال وبعض الخيول ويطلقون الاسرى المسلمين الموجودين عندهم(٤٠٢).

وفى ١١٠٣م — ٤٩٧هـ اطلق سراح بوهيموند بعد أن ساهم بلدوين دى بورج فى فديته(٤٠٣) وبعد اطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بورج واتخذ موقفا هجوميا ضد مسلمى حلب وفرض ضريبة على أميرها (٤٠٤) .

---

(٣٩٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 527.

(٣٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 370.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها احد عشر كيلوا مترا (ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 212, Harold Lamb : p. 249.

(٤٠٤) Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) التى شـــارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) . كما شـــارك فيـــها بطريرك انطاكية اللاتينى برنارد دى فالنس (٤٠٦) . ومر بنـــا كيف ادى شك بلدوين فى الانطاكيين الى عدم تسلمه مفاتيح حران من اهلها ، (٤٠٧) ، الى جانب النزاع مع الانطاكيين حول ايهمـا يرفع علمه اولاً على المدينة (٤٠٨)، ممـا ادى الى هزيمتهم بعـــد ذلك والواقع انه اذا كان يفهم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام عن موقعة حران ـــ ان الجيش الانطاكى لم يحارب فى تلك المعركة اطلاقـــا(٤٠٩) . فان المصـــادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعـــلى للانطـــاكيين فى تلك المعركة (٤١٠) . امـــا (كاهـــين) فيعتبر نجـــاح الانطاكيين غير كامل فى تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دفع الى هـــذا الاختـــلاف فى مدى مشـــاركة الانطاكيين ، أن المعسكر الانطاكى لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد اسر بلدوين دى بورج وجوسلين وفرار بوهيموند وتنكريد الى الرهـــا اختار الاهالى تنكريد وصيا على الرهـــا الذى صد عنها هجوم

---

(٤٠٥) Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit., p. 71,
ابن القلانسى : الذيل ص ١٤٣ ، ســـبط بن الجوزى : مرآة الزمـــان ، هـ ٨ ق ١ ص ٩ .

(٤٠٦) Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 من (Albert), Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.

(٤٠٧) Michel : Op. Cit., p. 195.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٤٠٩) ابن الاثير : الكامل ، هـ ٨ ٢٢١ ـــ ٢٢٢ .

(٤١٠) Gesta Tancredi : Op. Cit.... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.

(٤١١) Cahen : Op. Cit., p. 238.

(٤١٢) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

جكرمش ١١٠٤م — (٤٩٧هـ) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن الذى ازهق الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع أنه كان من المكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بانه مستعد ان يطلقه فى مقابل اطلاق تنكريد لأميره سلجوقية كان قد أسرها فى نفس السنة ، او ان يدفع لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الأميره(٤١٣) . وبالرغم من أن ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهيموند وتنكريد الا يفوتا تلك الفرصة لاطلاق سراح بلدوين لكن بوهيموند وتنكريد كانا يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين سوف تقصى تنكريد بعيدا عن وصايته على الرها ، ويعود خالى الوفاض . لذا اجابا بانه ليس من السياسة أن يظهروا فى صورة المتلهفين على الموافقة على العرض لأن ذلك من شأنه ان يجعل جكرمش يرفع الثمن اذا ترددوا ولكن فى نفس الوقت فانهما رتبا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى بلدوين فى الاسر (٤١٤) فقد كانت الرها « ممر عظيم جدا وذو اهمية تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط أن يكونا تابعين لامارة انطاكية مرفضا (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل باشر ويطلب مؤازرة جاولى والاتراك من ناحية وكوغ باسيل الأرمنى من ناحية اخرى (٤١٧) . اما تنكريد

---

(٤١٣) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619.

(٤١٤) Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 248.
نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.

(٤١٥) Zoé : Op. Cit., p. 215.

(٤١٦) Mattieu : Op. Cit, p. 86.

(٤١٧) Mattieu : Op. Cit,. p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op Cit., p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقــد استدعى لمؤازرته رضوان حـــاكم حلب ، وأمير قلعة جعبر(٤١٨). وقـــامت بين الامارتين حرب طاحنـــة « كــان جوسـلين فيها — على وجه الخصوص — نشطا ضد تنكريد لأن قلعته كانت تقع فى ذلك الجانب من الفرات وكان بذلك قريبـــا من أراضى انطاكية(٤١٩) ».

ولـــا كانت هـــذه الحرب تعتبر نوعـــا من الانقســـام بين الفرنج وكانت تهدد الوجود الصليبى فى شمال الشـــام لذا تدخل كبار الشخصيات الصـــليبية(٤٢٠) ، الى جـــانب بطريرك انطاكية برنـــارد وتمكنوا من فض النزاع (٤٢١) . وعـــادت الرها الى أميرها الشرعى (٤٢٢) .

وما كاد امير الرهـــا يسترجع امارته حتى نشأ خلاف بين جـــاولى ورضوان واستنجد جاولى ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد بين الامارتين . والواقع اننـــا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة الرهـــا بالموصل ٥٠٢هـ (١١٠٨م) ولكن ما نود أن نضيفه هنـــا هـــو ما ذكره ابن الفـــرات وأكده فولشر من أن المعركة بين الرهـــا وانطاكية كانت حوالى ثلاثة اشتباكات متتالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا فبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حـــدث اصطدامان بين

---

(٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.
كان أمير قلعة جعبر فى ذلك الوقت شمس الدولة سالم بن مالك بن بدران ٤٧٩ — ٥١٩هـ (١٠٨٦ — ١١٢٥) زامبور : معجم الأنساب،حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٤٢١) ابن الأثير : الكامل،حـ ٨ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ؛
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p 438.

(٤٢٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ؛ ابن الفرات مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) .

(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

الرهـا وانطاكية : الأول اثير بسبب تشدد تنكريد فى عدم ارجـاع الرها لبلدوين والثـانى بسبب استنجاد رضوان بتنكريد ضـد جاولى وبالتالى استنجاد جاولى ببلدوين ضـد رضوان .

ولم يمر عـام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السـلجوقى فى سياسة الجهاد ضـد الفرنج كما مر بنـا . وهنا نجـد رايا ينفرد به منى

=

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦(ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثنـاء القتال بين الصفين المتحاربين واستدعى جوسلين وتحـادثا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعـلم ان هـذه عـادة القوم وان العـدو يجتمع بعـدوه ويحادثه ويترر حـاله » فخشى أن يكون الأميران الصليبيان قد اصطلحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفـان الى شيء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنـا راى جوسـلين ان الأمير جـاولى قـد اعتزل من العسـكر فوصـل اليه وقـال له : « يا مولاى هذا زينا فلا تظن غير هـذا فلم يجبـه الى قولـه وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الأولى من اشـد حملاتهم . وفى الحملـة الثانيـة « كـان جوسـلين لا يقصـد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فتطاعنا وتضـاربا بالسيوف وابلى كل واحد منهما ثم اسـتل كل منهما رمحـا وتطاعنا فسبقت طعنـة طنكريد الى جوسلين فقنطره عن ظهر فرسـه وحمل صـاحب مرعش على طنكريد بطعنة فصرعه ايضا وظن ان جوسـلين قد قتـل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما راى أصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن فمنعته امه من الدخول وقالت « الى اين ليتنى لم اكن رزقتك » . فقـال لها « والله ما انهزمت حتى طعنت طنكريد حق الطعن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصدقك حتى اتاكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعـل ذهبت لتنكريد وسـألته هل قاتله ابنها حق قتـال ، فقـال لها « والله ما انهزم ولكن سـقط على الأرض كرهـا وانهزم عنـه اصحابه وقـد ضربنى فى الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » واكد كلام تنكريد جماعة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوى عن سبب قدوم تلك الحملة ولو أننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أراد ان يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت قلوبهما مليئة بالحقد ضده — ربما لهزيمة العام السابق — ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحى وهو الاستنجاد بشرف الدولة مودود(٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك وينكر « ان الأمير وجد ان بلدوين دى بورج تحاشاه فتوجه ضد الرها وبذلك أسرع بلدوين فى ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين اثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لضحض النص السابق وتأييد القول بأن الحملة ارسلت أصلا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد رأينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبأ بانقاذ الرها فى بادىء الأمر لأن بلدوين الثانى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده(٤٢٦) .

والواقع ان جروسيه يعزو ذلك — اى الصاق كل أمير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . لذلك كانت أولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لنجدته ، هى شكواه من « تنكريد عدوه المحرك للغزو التركى(٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان أمير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تعهداته مع المسلمين ضدها(٤٢٩) » لذلك فقد دعا الملك بلدوين الأول تنكريد الى أن يتصل ببقية الفرنج واذا كان لديه

---

(٤٢٤) Mattieu : Op. Cit., p 91.

(٤٢٥) Mattieu : Ibid., p. 91.

(٤٢٦) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٦ عن (البرت).

(٤٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٤٢٨) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Ibid., p. 459.

(٤٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

شـكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقـد تردد تنكريد وقـوانه فى المشـاركة مع الصليبيين ضـد تلك الحملة التركية ، ولكنه عـاد وادرك ان عـدم تعـاونه مع اخـوانه الصليبيين فى حربهم ضـد الاتراك يسىء الى سمعته فى المحيط الصليبى بل يعتبر خيـانة فى حقهم ، لذا سـار بقـوة تقـدر بحوالى الف وخمسمائة فـارس الى الرهـا ، حيث اسـتقبل من الملك استقبالا وديـا (٤٣١) وبعـد ذلك سـاله عن سبب موقفه العدائى من امير الرهـا فأجاب بان الرها كانت منذ عهد بعيد — ايـام الحـكم البيزنطى أو التركى — ضمن نفوذ انطاكية(٤٣٢) عنـدئذ رد الملك على تنكريد قـائلا : « اخى تنكريد ان ما تطلبـه غير صحيح . انك تستند على وضـع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب ان تعلم اننـا عندما رحلنا من اجـل الحـرب المقدسـة ، كان معروفـا ان ما سينتزعه كل منـا من المسـلمين سيؤول اليه .. لذا فانا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احثك على صلح صـادق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التآمر مع الأتراك فلن تستطيع البقـاء بيننـا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٣٣) » وامـام هذا الشعور العـام الذى تلى الخطبة الملكية اضـطر تنكريد للخضوع(٤٣٤)وتخلى عن مشاعر الكره والحسد(٤٣٥)اى ان خضوع تنكريد كان تحت ضـغط الظروف المحيطة به فى ذلك الوقت ـ هنـا يجب ان نستعيد الى ذاكرتنا ما حـدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

---

(٤٣٠): Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٤٣١) Alberti : Ibid., p. 672, Grousser : Ibid., p. 452, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson)

(٤٣٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452.
هنـا يذكر البرت أن تنكريد كـان يرغب فى الحصـول على ضريبة سنوية على الرهـا .
(Alberti : Op. Cit., p. 672).

(٤٣٣) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Epopée, p. 88 عن (Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٤) Grousset : Op. Cit, V. 1, p. 453

(٤٣٥) Archer : Op. Cit., p. 148.

وبلدوين وكيف رجحت كفة بلدوين ايضا ـ وفى المعركة التى دارت بين المسلمين والصليبيين بعد ذلك نجد رايين احدهما يذكر أن تنكريد اضطر للانسحاب الى سميساط لأنه علم أن مؤامرة تدبر ضده هو وجماعته (٤٣٦) . والراى الثانى يشير الى انه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجى للتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندى بالانسحاب(٤٣٧).

وفى ١١١١م (٥٠٥هـ) كانت حملة مودود الثانية كما راينا على الرها وهى التى توجهت الى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى اغلق رضوان ابواب البلد فى وجه الجيش التركى مدعيا أنه انهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هذا الجيش الى أنطاكية وتوقف فى شيزر فما كان من تنكريد الا ان جمع حوله كل الفرنج فلحق به الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس وبرترام امير طرابلس وبلدوين دى بورج امير الرها(٤٣٨). واجتمعوا عند افامية أو فامية (٤٣٩) وتقابل الفريقان بعد ذلك عند شيزر ولكن لم تحدث معركة وانسحب الجانبان كل الى بلاده(٤٤٠) . هكذا فشلت حملة مودود ١١١١م فى كل خطواتها لأن المسلمين كانوا مفترقين الى وحدة تنظم صفوفهم فى الوقت الذى اتحد فيه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشام الى جنوب فلسطين تحت رعاية بلدوين الأول ملك بيت المقدس (٤٤١) . تلك الوحدة التى اكد (بروير) وجودها فى سنتى ١١١٠م ـ ١١١١م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلدوين الأول(٤٤٢) .

---

(٤٣٦) Mattieu : Op.Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Mattieu).

(٤٣٧) Zoé : Op. Cit, p. 242.

(٤٣٨) Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٣٩) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٦٥ عن (Setton) Grousset : Id., p. 90.

(٤٤٠) Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٤١) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ٤٦٥ عن (Runciman)

(٤٤٢) J. Pra... Op. Cit., T. 1, p. 28.

وفى ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفى تنكريد أمير انطاكيا (٤٤٣) . فحل محله فى حكم امـارة انطاكية روجر السالرنى ابن ريتشارد(٤٤٤) ؛ الذى تولى ادارة الرهـا فترة ، اثناء أسر بلدوين دى بورج كوصى عليها من قبـل تنكريد .

ويبدو انـه قبل وفـاة تنكريد وبالتقريب فى الفترة ما بين ١١١٠م — ١١١٢م (٥٠٤ — ٥٠٦هـ) ايدت الرهـا جـانب انطاكية ضـد بيزنطـة مثلها فى ذلك مثل القـدس التى ايدت هى الأخرى انطاكية . وقـد عثرنا على نص ذكرته (انا كومنينا) ويشير الى ان الامبراطور الكسيوس ارسل سفارة للتفاوض مـع ملك بيت المقـدس ضد تنكريد ويدفع له الأمبراطور مبلغـا من المـال فى مقابل ذلك فرفض الملك ، لـذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القـدس للعبادة فى كنيسـة القيامة . فكان جوابه مشـابها لجواب الملك (٤٤٥) . والراجح ان تلك السـفارة ذهبت الى القـدس قبـل ان يطرد جوسلين من الرهـا وان جوسـلين فى ذلك الوقت كان يمثل التـابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفى عهد روجر تم ارتباط ودى عن طريق الزواج بين امارة الرهـا وامـارة انطاكيـة ، فقـد تـزوج روجر من أخت بلـدوين دى بـورج نفسـه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٣م لأن وليم الصورى يذكر أنه « فى ١١١٣م ارسـل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن ريتشـارد حاكم انطاكية ، الذى كان قـد تزوج احـدى اخوات الأمير بلدوين (٤٤٧) » .

---

(٤٤٣) Grousset : L'Epopée, p. 91.

(٤٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 482, Cahen : Op. Cit., p. 273,
يسميه ابن الأثير (روجيل) ابن الاثير الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢

(٤٤٥) Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367.
سيأتى النص كاملا فى الملاحق .

(٤٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246, Grousset : L'Epopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 498.

ويعبر عن تلك العلاقات الوديــة المتينـــة فى ذلك الـــدور ، ما ذكره جروسية من أنه « عندما أصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨م ، استفادت امارة انطاكية بكل تاييد الملكة الفرنجية (٤٤٨) » .

وفى ١١١٥م (٥٠٩هـ) كانت حملـة البرسقى على أنطاكيــة والتى مر فيها بالرهـــا (٤٤٩) ثم توجه الى انطاكية وفى نيته تخريب كل الاقليم المحيط بها (٤٥٠) . وكـــان أن استنجد الأمير روجر بالملك بلدوين ملك القـــدس وببلـــدوين أمير الرهـــا (٤٥١) ، هـــذا الى جـــانب بونز أمير طرابلس (٤٥٢) . وكان بلـــدوين أمير الرهـــا « فى الطليعة بفرقتـــه العسكرية وحالمـــا وقع نظره على العدو ، حتى اندفـــع عليهم غير مروع باعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضـــار ، هز كل جيشهم وتبعت الكتائب الأخرى مثاله فتذفوا بانفسهم بروح مشـــابهة ضـــد قلب قوات العـــدو وحاربوها بالسيوف يدا ليد (٤٥٣) » . ويقال أن لؤلؤ (٤٥٤) ، اخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغتـــه روجر وبعـــد أن كـــان متفوقـــا فى البداية اضطر للهرب (٤٥٥) .

وفى بداية عهد جوســـلين دى كورتناى كأمير للرهـــا غزا ايلغـــازى الاقليم المحيط بانطاكية وكان بصحبته طغتكين حاكم دمشـــق ودبيس أمير الحلة العربى الســـابق الذكر . عندئذ استنجد روجر بالملك بلدوين — اخو زوجته — وبجوســـلين أمير الرهـــا وبونز أمير طرابلس « وتضرع اليهم بالحاح وعجلة الا يتاخروا فى المجىء لمساعدته فى الهجوم الطارىء (٤٥٦) » .

---

(٤٤٨) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(٤٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.

(٤٥١) Galterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188, William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٤٥٢) Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

(٤٥٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 504.

(٤٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على الب ارسلان بن رضوان حاكم حلب .

(٤٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 274.

(٤٥٦) William— : Op. Cit., V. 1, p. 528.

تخفوا جميعا لنجدته ولكن رغم ذلك كان النصر لايلغازى (٤٥٧) . ومعنى ذلك انه فى عهد جوسلين الأول استمرت العلاقات قوية بين الرها ولنطاكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة « عندما تزوج جوسلين دى كورتناى اخت روجر حاكم انطاكية وهى ماريا السالرنية والتى سبق أن ذكرنا انه تلقى عزاز مهرا لها (٤٥٨) . فى حين اشار رأى آخر انها كانت ابنه روجر نفسه وأن ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٤٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) أن حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها فخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد أعدائه وساهم رجال انطاكية البارزين بدور كبير فى المعركة (٤٦٠).

والواقع انه بعد ذلك الدور بدات العلاقات الرهوية الأنطاكية تدخل فى صراع مكشوف اكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ — ١١١٠م (٥٠٢هـ — ٥٠٤هـ) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كاحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مشار اليها فى علاقات الرها بانطاكية .

ففى خريف ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وصل الى انطاكية ابن بوهيموند الأول ، الذى رحل من روما وحكم انطاكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٤٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٤٦٢) . (Bohenmond II).
تزوج بوهيموند هذا الأميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٤٦٣) ، وفى نفس السنة ٥٢٠هـ قتل البرسقى (٤٦٤) .

---

(٤٥٧) William : Ibid., p. 528.
(٤٥٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418.
(٤٥٩) Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriaque)
(٤٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24.
(٤٦١) Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
وكان وصول بوهيموند الثانى إلى بلاد الشام فى (١٨ رمضان ٥٢٠هـ) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة جـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .
(٤٦٢) Schlumberger : Op. Cit, p. 32.
وهو ابن بوهيموند الأول وكستانس (Constance)
(٤٦٣) Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist: Hist. des Crois. V. 1, p. 651.
(٤٦٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقد ادى ذلك الى قيام فوضى بحلب فانتهزها كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثانى واسرعا الى حلب آملين اخذ المدينة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والأنطاكى عداء علنى (٤٦٦) . وهنا يذكر وليم الصورى « أن أسباب هذا العداء الخطير بين بوهيموند الثانى وجوسلين الأكبر كانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح أن سبب ذلك هو أن جوسلين كان يأمل أن يعتلى عرش القدس بعد الملك بلدوين الثانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد أن « صونع بمال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى انطاكية بعد ذلك ، وقد استعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (٤٧٠) . وقد أشار وليم الصورى الى ذلك بقوله « دعا جوسلين لمساعدته مجموعات من الأتراك واقام اسما سابقة معيبة لاعقابه وبمساعدتهم انتقم من أراضى انطاكية بالنار والسيف واجبروا أهلها ــ الخدم الحقيقيين للمسيح . على أن ينحنوا لنير عبودية غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيذكر أن جوسلين « استولى على كل شىء وجده فى اقليم انطاكية ماعدا الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلدوين الى انطاكية وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى فالنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقد « غضب البطريرك واقفل الكنائس واوقف القداسات والصلوات واوقف

---

(٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٣٠ .

(٤٦٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٦٨) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651.

فقد كان جوسلين يأمل فى العرش لقرابته اولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم السوابق التى حصلت فكلا من بلدوين الأول والثانى ، أرتقى بعد امارة الرها عرش القدس (سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٣١) .

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب، حـ ٣ ص ٨٨ .

(٤٧٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٧٢) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

الأجراس والجنازات على الموتى ، لذا اجبروا على عقد الصلح واعاد جوسلين كل الغنيمة (٤٧٤) » .

ويبدو أن الوضع بين امارتى الرها وانطاكية عاد الى هدوئه النسبى حتى فبراير ١١٣٠م — رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند الثانى فى معركة ضد الأمير غازى الدانشمندى (٤٧٥) . وعندئذ حاولت أرملته اليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس صاحبة الحق الشرعى فى الحكم من طريق تدبيرها للمكائد (٤٧٦) . فما كان من رجال انطاكية البارزين الا ان جمعوا مجلسا ثم استنجدوا بالملك بلدوين للمساعدة (٤٧٧) . ويقال ان اليس وصلت فى تحديها للأنطاكيين الى درجة الاستنجاد بزنكى لمساعدتها ، ولكن لسوء حظها وقع خطاب الاستنجاد فى يد والدها وعرف بالمؤامرة (٤٧٨) . عندئذ اسرع الملك بلدوين الى انطاكية كما اتجه اليها ايضا جوسلين دى كورتناى امير الرها (٤٧٩) . ولكن اليس منعتهم من الدخول الا ان بعض القادة المدنيين والدينيين عصوا أوامرها وفتحوا أبواب المدينة لهم (٤٨٠) . وعندئذ اصدر الملك بلدوين مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على

---

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٥) Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,
ابن شداد : الأعلاق الخطيرةجـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطىء أحد مؤرخى الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثانى هو تاريخ توليته . فيذكر أن بوهيموند خلف روجر ١١٣٠م فى حكم انطاكية :
Jacques D. Issaverdens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(٤٧٦) اسحاق عبيد : روما وبيزنطه ، ص ١٥٧ .

(٤٧٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٧٨) Setton : Ibid., V .1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٤٧٩) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 p. 255.
هنا يذكر ابن العبرى : أن ذلك كان سنة ١١٣١م.ولكن الراجح انه كان ١١٣٠م .

(٤٨٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op .Cit, T. 1, p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثـانى فى حكمها لأنطاكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (٤٨١) .

وفى ١١٣٠م أيضـا قامت بين الرهـا وانطاكية علاقـة دينيـة ذلك أن (حنا ماديانا) عندما توجه الى مدينـة كيسوم ليتم اختياره بواسـطة مجمعها الدينى ، بطريركا يعقوبيا على انطاكيـة ، وجـد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم ـ كما سبق الذكر ـ لذا توجه ذلك البطريرك الى تل باشر حيث تمت رسـامته تحت رعاية جوسلين الاول فى كنيسـة تل باشر اللاتينية فاصبح بطريركا لدير — Dovair — وبذلك خلف البطريرك اليعقوبى لأنطاكية اثناس وتم ذلك بالتصـديد فى ١٧ فبراير ١١٣٠م ، بفضل تأييد جوسـلين الاول ومسـاعدته (٤٨٢) .

وفى ١١٣١م — ٥٢٦هـ توفى جوسلين الاول وخلفه فى حكم امارة الرها جوسلين الثانى الذى رغب فى ان يحكم انطاكية مكان أبيه لكن اهالى انطاكية والبطريرك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفى اغسطس ١١٣١م توفى الملك بلدوين الثانى(٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق أطماعها من جـديد ولكن فولك ملك بيت المقـدس الجـديد منعها من ذلك بالقـوة واجبرها على الفـرار الى اللاذقيـة ثم تمت خطبـة كونستانس لريموند دى بواتييه Raimond de Poitiers الذى كان وقتها فى بلاط هنرى الأول ملك انجلترا(٤٨٥) .

هنا يقـال أن اليس استعانت فى محاولتها الأخيرة بجوسـلين امير الرهـا (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هـذا الراى وخاصـة أن جوسلين الثـانى كان قد تقدم الى انطاكية ١١٣٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضـد غزو الأتراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الأمر فانه بزواج ريموند دى بواتييه من كونستانس ابنه

---

(٤٨١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1,p. 255. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.
(٤٨٢) Groussét : Hist. des Crois., V. 2, p. 7.
(٤٨٣) Michel : Op. Cit., p. 233.
(٤٨٤) Schlumberger : Op. Cit., p. 3.
(٤٨٥) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٥٧ — ١٥٨ .
(٤٨٦) Sétton :Op. Cit.. V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 317.
(٤٨٧) Michel : Op. Cit., p. 234.

بوهيموند الثـانى اصبح اميرا لأنطاكيـة من ١١٣٦ — ١١٤٩م (٤٨٨) (٥٣١هـ — ٥٤٤هـ) مما قضى على اطماع الطامعين فى امارة انطاكيـة ومن بينهم جوسلين الثـانى نفسه .

وفى ١١٣٧ — ٥٣٢هـ جدت ظروف فى امارة انطاكية استدعت تدخل الأمير جوسلين الثـانى . وترجع جذور تلك الاحداث الى ١١٣٥م عندما توفى قنسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفـه على العرش ليو الأول اخـو ثوروس الذى انتزع من البيزنطيين ، المصيصـة واذنـه وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شـواطىء البحر المتوسـط . وعنـدما تولى ريموند دى بواتيه امـارة انطاكية ١١٣٦م اصبحت حدوده متقاربة جدا مع حـدود ليو الأرمنى فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمنى فى كمين(٤٩٠) نصـبه له ريموند بالاشتراك مع بلدوين أمير مرعش(٤٩١) وظل ليو اسيرا داخل احـدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفـاق على اطلاق سراحه مقابل التنـازل عن بعض المـدن ودفع مبلغ من المـال وان يقدم ابنه كرهينـة ومن ناحية أخرى وعـده ريموند بمساعدته ضـد الامبراطور البيزنطى حنـا كومنين(٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم اطلاق سراح ليو حتى حنث بعهده وهاجم

---

(٤٨٨) Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
Tournebize : Ibid., p. 173. (توفى ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م)

(٤٨٩) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٩٠) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316.
ولو أن الأخير يخطىء فيعتبر أن ذلك كان فى عهد بوهيموند .

(٤٩١) Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. p. 358.

(٤٩٢) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques D. Issaverdens : Op., Cit., T. II, p. 316, Cahen: Op. Cit., p. 358.
أما المدن التى وعـد ليون بتسليمها فهى المصيصة واذنه Sarovanticar، وكان المبلغ حوالى ٦٠,٠٠٠ دينـار . او Roc de Saravant

ريموند واستولى من جديد على المدن التى كان قد تنازل عنها(٤٩٣) مدعيا « أنها اغتصبت منـه بالخديعة والقـوة » (٤٩٤) لذا اشتبك الجانبان فى حرب اريقت فيها دمـاء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الموقف (٤٩٦) وجـاء ذلك العداء كارثة على الارمن والفرنج جميـعا ، لأن المسلمين انتهزوا الفرصـة للانقضاض على الجانبين المتحاربين(٤٩٧) هـذا الى جـانب الأخبـار التى بـدأت تنـذر باقتـراب الجيش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجانبين فى ذلك الوقت ، بحكم أن والده كان متزوجـا من اخت الأمير ليـو . وأوقف العداوات واصلح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

فى نفس الوقت الذى وصلت فيـه اخبـار استعدادات الامبراطور لحملته على الشـام ١١٣٧م وصلت أنبـاء ايضا بأن فولك ملك بيت المقـدس لقى هزيمة على يد زنكى فارسـل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكيـة . وكان وضع ريموند عنـدئذ حرجـا للغـاية فمن ناحيـة لم يكن يـود أن يبرح امـارته فى ذلك الوقت حتى لا يتمكن العـدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفى نفس الوقت كان عليـه أن يلبى نداء الملك ، لذا « عهد الى كل من جوسلين الثـانى أمير الرها وبلدوين أمير مرعش بمهمة حماية امـارته » واسرع هو ليقدم العون للملك ، وعندئذ آثر زنكى التفـاوض مع فولك وبذلك عـاد ريموند الى امـارته(٥٠٠) .

---

(٤٩٣) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٤٩٤) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٥) Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٦) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٧) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٤٩٩) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit.. p. 358.

ويذكر كاهين أن ذلك كان فى شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : رومـا وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح أن جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصـله استنجاد الملك به ايضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لأمير مرعش وحده ويرجح

وقد حدث ١١٣٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حنـا كومنين الى شـيزر للاسـتيلاء عليهـا وفقـا لمـا تـم عليـه الاتفـاق بمقتضى الحلف الفرنجي البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخـر من البحث أن تقـاعس جوسلين وريموند عن مسـاعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا سـخط الامبراطور عليهما ، وعندما التمس منه حاكم شيزر أن يترك حصـارها مقـابل مبلغ من المـال وائق وانصرف عنها (٥٠١) .

على أن الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بانطاكية ، وعنـدئذ ارسل جوسلين الى انطاكيـة عنـاصر اسـتثارت غضب الجمـاهير وحقدهـا . وفى الوقت الذى تظاهر هو بأن الجماهير فى انطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتـله وكان أن نجحت حيلتـه . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد أن أصيب بعض أفراد حاشيته(٥٠٢) ويبدو أن جوسلين دبر تلك الخـدعة لا بدافع مصلحة امير انطاكيـة فحسب بل ايضـا خوفـا من ان يسـيطر الامبراطور البيزنطى على الرهـا اذا تمت له السيطرة على انطاكية .

وثمة نص يذكره وليم الصـورى يشير الى تجـدد العـداء ١١٣٨م بين انطاكية والرهـا اذ يذكر أن جوسلين ارسـل فى تلك السنة الى بطريرك انطاكية الذى كان موجود فى صقلية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم انطاكية (٥٠٣) فاظهر جوسـلين الثـانى الود تجـاه البطريرك نكاية فى ريموند ودعـاه للحضور ومعه بطانتـه الى الرهـا لتاييـده ومنـاصرته . فلبى البطريرك الدعوة وحضر الى الرهـا حيث استقبل باحـترام كبير من كل الأسـاقفة ورحب به الأمير جوسـلين ترحيبـا فائقـا (٥٠٤) .

هذا رأى ابن الفرات الذى ذكر أن جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك حـ ٣ ص ٩١) (أ) .

(٥٠١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96.

(٥٠٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Brêhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل أن سبب ذلك النزاع هو موافقـة ريموند على اقـرار بطريرك بيزنطي فى انطاكية .
(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit., T. 1,. p. 327).

(٥٠٤) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

وعندمـا علم الأمير ريموند بذلك أرسـل سـفارة الى الرهـا تطلب الى البطريرك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريرك لذلك(٥٠٥).

وفى ١١٤٤م (٥٣٩) وهى التى سقطت فيها امارة الرها كما سنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد — كان العـداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية أو بالأحرى بين جوسلين الثانى وريموند . ولذا حدث عندما استغاث جوسلين بريموند لنجدته بوصفه أقرب جيرانه الصليبيين ، اعتذر ريموند باعـذار شتى (٥٠٦) بل قيل ان ريموند لم يستطع أن يخفـى سروره وشماتته لـما حل بجوسـلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصـورى على ذلك بأنه نسى قول (هورس) « عندما يكون منزل جـارك يحترق فان منزلك يصبح فى خطر (٥٠٨) » . ومن جهة اخرى فانه يقال أن سبب امتـذار ريموند فى ذلك الوقت عن نجـدة الرهـا كان مرجعه انشغاله بمنازعاته مع الامبراطور البيزنطى الجديد مانويل (٥٠٩) .

والواقع أنه مهما تكن ظروف ريموند فان الواجب كان يملى عليه أن ينجد جوسلين أولا ثم يفكر فى مصالحه الخاصـة بعد ذلك لأن ما يهدد الرهـا سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنورهالى فى مرثيته عن سقوط الرهـا فى يد زنكى حيث يقول مخاطبا انطاكية على لسان الرها :

اليك حـديثى وعتـابى
يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
ايه ايهـا القرينـة الحبيبة
لـم لـم تـهرعى الى
وانت فى اليسر والسـعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة
بل شمت بى وتركتينى
اقع فى ايدى الكافرين ؟
هلمى واصغى الى نحيبى
وشاطرينى حسرة أضرمت فؤادى

---

(٥٠٥) William : Ibid., p. 117.
(٥٠٦) William : Ibid.. V. 2, p. 142.
(٥٠٧) William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Epopée, p. 163.
(٥٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 201.
(٥٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

وولولى معى وانتحبى
وواسى قلبى الجريح(٥١٠)

وحتى بعد سقوط الرها وعند محاولة جوسلين استرجاعها للمرة الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة بدعيا « أن الحملة تخطيطها سيء »(٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين أن زنكى سيهاجمه بسرعة ، الا انه لم يستطع ان يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تقلبت العلاقات بين الرها وانطاكية بين العداء حينا والتحالف أحيانا فضلا عن العلاقات الدينية . وان كان الغالب على تلك العلاقات هو الطابع العدائى .

اما عن علاقة الرها بامارة طرابلس : فاننا لم نعثر على نصوص كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وانطاكية من ناحية اخرى ، وذلك فيما عدا النادر اليسير الذى شاركت فيه الرها وزميلاتها ، بقية الامارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار بارين (٥١٣) ١١٣٧م (٥٣١هـ) والغالب أن العلاقة بين امارتى

---

(٥١٠) Nersés Schnorhali : Op. Cit.. p. 231.

(٥١١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٥١٢) Runciman : Ibid., V. 2, p. 238.

(٥١٣) بارين « بليدة بين حمص والساحل تتلفظ به العامة (بعرين) وهو خطأ والصحيح بارين (ابن الأثير : الباهر - ص ٥٩) ولذا نجد بعض المصادر والمراجع تكتبها بعرين والبعض الآخر يكتبها بارين .

فممن كتبوها بعرين (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردى جـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، أما من كتبوها بارين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الأثير ذكر التسميتين فى كتابيه .

أما المصادر والمراجع الأجنبية فتشير اليها باسم (Montferrand)

=

الرهـا وطرابلس كانت ذات طابع ودى فى اطار تبعية الجـانبين لمملكة بيت المقـدس وذلك منذ قيـام امـارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٩م(٥١٤) (ذى الحجة ٥٠٢هـ(٥١٥)) .

والواقع ان العلاقات بين طرابلس والرهـا كانت ودية حتى قبـل قيـام امـارة طرابلس الصليبية . ففى اوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولونى امير الرهـا متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفـاة اخيه ، سـار كما ذكرنا وسـط بلاد المسـلمين وتحمـل هو ورفاقه المشقات الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التى كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار(٥١٦) . حتى استقبله امير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصـداقة بينهما وقـدم له امير طرابلس الخبز والنبيذ واخبره أن دقاق حـاكم دمشق والقـائد جنـاح الدولة اقاموا له كمينا على الطريق حتى يأخذ حذره »(٥١٧) .

ويبدو ان موقف ابن عمار هـذا انما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقـاق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد ان اصبحت الأخيرة امـارة صليبية هو مشاركة طرابلس فى الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٠م (٥٠٤ هـ) الى الرهـا لنجـدتها من خطر الأمير مودود وجيشه المحاصر لها . ذلك ان برترام الصنجيل (٥١٩) توجـه لنجـدة الرهـا « بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القـدس (٥٢٠) » .

ثم حـدث ١١٢٣م (٥١٧هـ) بعـد اسر الملك بلدوين الثـانى أن صارت كل من بيت المقـدس والرها وانطاكية محرومة كلها من رؤسـائها

=

(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٣٧٢ .

(٥١٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٣ .

(٥١٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩ .

(٥١٧) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520

(٥١٨) Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٥١٩) هو برترام امير تولوز والابن الاصغر لريموند الصنجيل . (G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671. Grousset : Hist. de Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert).

فى حـين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بـونز Pons (٥٢١) تتراس تلك الامـارات كما مر بنـا(٥٢٢) .

وفى ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منبج بجوسلين ضد بلك الأرتقى سـار جوسـلين الى بيت المقـدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشـد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجـل وتقـدم الى منبج (٥٢٣) . واشترك بهم فى تلك المعركة .

كذلك حـدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) عندمـا حاصر البرسـقى عزاز ان سار لنجدتها ملك بيت المقـدس ومعـه بقيـة الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس بونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح الأيسر للجيش الصليبى فى تلك المعركة (٥٢٥) .

وفى ١١٣٧م شوال ٥٣١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت امـارة طرابلس لتهديد زنكى وحصاره اسرعت الرهـا لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

---

(٥٢١) بونز بن برترام هو أمير طرابلس من ١١١٣ — ١١٣٦م ، تزوج أرملة تنكريد بعد وفـاته .
(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٢) Grousset : L'Epopée, p.p. 120 — 121.

(٥٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٨ .
Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

(٥٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24.

(٥٢٥) William : Ibid.. V. 2, p. 24.

(٥٢٦) تشير غالبية المصـادر والمراجع الاسلامية الى أن ذلك كان ٥٣١ هـ ومنها :
ابن الأثير : الكامـل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، النويرى : نهـاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ والعينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٩٤ . فى حين ينفرد مصـدران فقط بأن ذلك كان ٥٣٤هـ وهما ابن الأثير : البـاهر ص ٥٩ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرايين فى كتابيه والراجح أن ذلك كان ٥٣١هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التى ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية
William : Op. Cit., V. 2, p. 86.
Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما أننا سنتناول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل فى الجزء الخاص بجهاده الاسلامى قبل استقلاله للرها فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرها فى تلك المعركة .

ذلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجى هام لأنها تشرف على الطريق الرئيسى لبلاد الشام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكانت عند حصار زنكى لها تابعة لأمير طرابلس ريموند الثانى (٥٢٨) . وموقعها فى الجزء الشرقى من الامسارة (٥٢٩) . وقد حدث عند تعرضها لحصار زنكى ان طلب ريموند المعونة من القدس أولا(٥٣٠) ولكن عندما ادرك الملك تفوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتماء به فاصبحوا شبه مسجونين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفى تلك الاثناء كان قد قتل فى المعركة بينهم وبين زنكى جودفرى الأخ الاكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد ان استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشاوروا واتخذوا قرارا بان يستنجدوا بأميرى الرها وانطاكية ، وببطريرك القدس ليأتى لنجدتهم ومعه كل اهالى المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه احد الرسل الى الرها متوسلا باميرها الذى جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، وصحبه امير انطاكية فى تلك المهمة(٥٣٤). فضلا عن بطريرك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

---

(٥٢٧) J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323.

(٥٢٨) Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٥٣٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70.

(٥٣١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابو شامة ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الارب مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

(٥٣٣) William : Ibid., V. 2, p. 87.

(٥٣٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٥٣٥) J. Prawer : Op. Cit., p. 323.

الصليبية الى جانب احتمال وصول الجيش البيزنطى بعد أن استنجد الصليبيون بالروم(٥٣٦) ، اختار ان يفاوض اعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كانت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم اميرى الرها وانطاكية فقابلهم بتأثر عظيم وشكر حبهم ومروءتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الأميران كل الى بلاده (٥٣٨) .

هكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة فى علاقةالرها بطرابلس.

ثالثا : علاقة الرها بالأرمن خارجها :

سبق أن أشرنا الى الدور المهم الذى قام به الأرمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠هـ) فى ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود باكراد الأرمنى وغيره من الأرمن الذين كان لمساعدتهم الأثر الأكبر فى تسهيل مهمة بلدوين فى تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له فى الشرق .

والواقع أن علاقة امارة الرها الصليبية بالأرمن خارجها كانت اغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بأرمينيات — وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الأرمن ، ولكن يندر أن نجد علاقة عداء شديد بين الامارة والأرمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين .

أما عن اول امراء الرها الصليبية وهو الأمير بلدوين البولونى فانه لكى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الأرمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية بادر بالزواج من الأميرة (اردا) (٥٣٩)ا الأرمينية وكان أبوها

---

(٥٣٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438

(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (ب) .

(٥٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit.,

=

باتفـــاق المصـــادر ، احـــد امراء الارمن ذوى النـفوذ والثروة فى ذلك الوقت حتى ان صداقها بلغ حوالى ستين الف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من أمر هـــذا الزواج أن الكتاب الأرمن اعتبروه « تحـــالفا للمصـــالح اقر بواسطة النسب ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات الاقطاعية الصليبية » (٥٤١) فى حين اشـــار اليه بعض الكتـــاب الأوربيين المحدثين بأنه « كان زواجـــا سياســـيا (٥٤٢) » . والواقع اننا لا نستطيع أن نقرر أن تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع أن ثراء والد الزوجة ربما أغرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المـــالى لامارته الناشئة .

امـــا عن علاقة بلدوية البولونى بكوغ باسيل واخوة باكراد ، فـــان كوغ باسيل كان عند قيام امارة الرهـــا ، يحكم كيسوم ورعبان وقلعـــة الروم (٥٤٣) ؛ أما باكراد فقد اعطاه بلدوين حكم مدينـــة الراونـــدان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين واخيه جودفرى وهذين الأميرين الأرمنيين فى نص خلاصته انه بينما كان جودفرى مقيـــما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى النـــاس من الأخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف انهما اثقلا كاهل الاهـــالى وعلى وجـــه الخصوص اهل الاديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحيـــة اخرى فان هذين الأخوين ارســـلا الى الأمـــير بوهيموند يستثيرانه ضـــد امير الرهـــا . ولذا ســـخط جودفرى عنـــد سماعه تلك الاتهامات وارسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غـــدر بلدوين بالأمير باكراد رغم الخدمات الجليلة التى قـــدمها له الأخير .

كذلك تركز جانب هـــام من العلاقات بين امـــارة الرهـــا الصليبية والأرمن فى عهـــد بلدوين البولونى فى علاقته بجبريل أمير ملطيـــة ، وهى

= V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, L'Epopée, p.p. 104, 205.

(٥٤٠) Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64.

(٥٤١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169.

(٥٤٢) Grousset : L'Epopée, p. 104.

(٥٤٣) عن (Albert) Grousslt : L'Empire, p. 386.

(٥٤٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التى سبق ان تكلمنا عنها بالتفصيل اثناء الكلام عن عهـد بلدوين البولونى فى الرهـا وعند الكلام ايضـا عن علاقة الرهـا بانطاكية عندما اسر بنو داشمند بوهيموند امير انطاكيـة ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بان اعلن جبريل امير ملطيـة ولاءه لبلـدوين ودخـل تحت طاعتـه فى تلك السـنة (٥٤٥) .

والراجح ان جبريل كان قـد عرض على بلدوين القـدوم الى ملطية منـذ اللحظة الأولى لتاسيس الامارة بدليل ما ذكره ميخائيل السريانى من أنه « بعـد ان وصل الفرنج الى الرهـا وحكموها بذل جبريل جهـده ليجعل الفرنـج يحضروا ويستولوا على ملطيـة (٥٤٦) » . ويبدو ان انشغال بلدوين بتدعيم امارتـه فى بادىء الأمر ثم باخماد المؤامرة التى قامت ضـده فى مستهل حكمه هو الـذى منعه من تلبيـة طلب جبريل بسرعة ، لذا لجـا جبريل كمـا راينا الى بوهيموند ، وانتهى الأمر الى دخول ملطيـة بالفعل تحت سيطرة الرهـا .

على انه ما كاد بلدوين يغـادر ملطيـة عائدا الى الرهـا بعـد ان ترك بهـا حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو دانشمند من جـديد لمحاصرة ملطيـة دون جـدوى (٥٤٧) .

ثم كان ان شهد عهد بلدوين دى بورج نشـاطا واسعا فى للعلاقات بين الرهـا والأرمن خارجهـا ، من ذلك ان بلدوين دى بورج لجـا الى نفس اسلوب بلدوين البولونى لتاكيد مكانته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنه جبريل (٥٤٨) . حاكم ملطيـة كما سبق ان ذكرنا والتى حملت اليه صـداقا كبيرا جـدا (٥٤٩) ، اشبع خزانة بلدوين . ومع ذلك فان هـذا التحالف لم يحل دون هجوم الأتراك من بنى دانشمند على ملطيـة واخـذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٤٩٧هـ) ومن اهم الزيجات التى تمت أيضا

---

(٥٤٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

(٥٤٦) Michel : Op. Cit., p. 187.

(٥٤٧) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. .T. 4, p. 525.

(٥٤٨) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

(٥٤٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٥٥٠) Zoé : Ibid., p. 210.

فى عهـد بلدوين دى بورج التى ربطت بين امارة الرهـا من ناحيـة وبين ارمينيا الصغرى من ناحيـة أخرى ، زواج اخت بلدوين د ى بورج من ليون الأول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرهـا بالأرمن فى ذلك العهد على المصـاهرات وانما حـدث « فيما بين سنتى ١١٠٢ ـ ١١٠٣م (٤٩٦ ـ ٤٩٧هـ) أن سـاعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ ـ ١١٢٩م) (٥٥٢) . الصليبيين فى رد هجمـات البيزنطيـن عن الرهـا وانطاكيـة (٥٥٣) » . وفى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) تنازل طاطول الأرمنى صـاحب مرعش عن مدينتـه لجوسـلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقـد مر بنـا كيف أسر بلدوين دى بورج حـوالى خمس سنوات بعـد ذلك وكيف عارضت انطاكية فى رد امارته اليه بعـد ذلك مما أدى الى الخـلاف بينـه وبين تنكريد ١١٠٨م (٥٠٢هـ) بسبب ذلك . بل أن بلدوين اضطر الى اعـلان الحرب ضـد تنكريد وهى الحرب التى استنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجـه بلدوين فى ذلك الوقت الى كوغ باسيل حـاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الـذى كان قـد

---

(٥٥١) Iorga: L'Arménie Ciliciénne, p. 94, Zoé: Op. Cit., p. 296
هنا يضيف (ايورجا) أن اخت بلدوين اسست بعد زواجهـا فى ارمينيـا ديرا لاتينيا .

(٥٥٢) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٥٣) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن (Runciman)
ويسميه ميخائيل هنا امير الأمراء ويذكر انه باع فى نفس الوقت صـورة العذراء المقدسـة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان فى مقابل مبلغ ضخم من المـال ثم رحل الى القسطنطينية .
Michel : Op. Cit., p. 75.

(٥٥٥) Michel : Op. Cit., p. 187, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393,
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 52.
يسميه (كوغـسـيل) كل من ابن الأثير : الكـامل : حـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) أما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ . فيسميه (ابو سـيل الأرمنى) .

«جمع الجيش الأرمنى القومى فى قلعته العسكرية الحصينةفىالجزء الشرقى من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتمس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا واغدق عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد ان مصالحهما تتفق فى مواجهة تنكريد الذى طمع فى الاستيلاء على قيليقية بأكملها ، بعد أن استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية أخرى فقد عانى أهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دى سالرنو الذى حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دى بورج ضد تنكريد « فأنجده بالف فارس والف راجل (٥٥٩) » . أما متى الرهاوى فيقدر المعونة التى قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل انه ارسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطى (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد أن بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودة امارته اليه ، حتى وصل الامر الى حد ابتزاز امواله كما اشار وليم الصورى (٥٦٢) .

وعندما تعرضت الرها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤هـ) أسرع اليها الملك بلدوين الأول لنجدتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بعض الرؤساء الأرمن فى مؤازرة امارة الرها وعلى رأسهم كوغ

---

(٥٥٦) (Mattieu) من Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 436.

(٥٥٧) Grousset : Ibid.. p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٤٥١ (عن البرت)
Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، ح ١ ص ٢٣ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، ح ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٤٥٢ عن (Stevenson),
Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦١) Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦٢) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

باسيل (٥٦٣) . الذى « أصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سميساط (٥٦٤) » .

وفى ٥٠٦هـ (٥٦٥) (اكتوبر ١١١٢م) (٥٦٦) . توفى كوغ باسيل « فحكمت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة فدبرت امر البلاد احسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حاصر البرسقى الرها ١١١٤م (٥٠٨هـ) وعندئذ أرسلت اليه زوجة كوغ باسيل تقول « ان زوجى أوصانى بعد موته أن اخالط المسلمين وان أجانب الفرنج وانا من الموالين لك فارسل الى من اجتمع به واكون تحت أمرك ؛ فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال ان السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو أن زوجها قاسى من عدوان تنكريد ١١١٢م (٥٦٩) (٥٠٦هـ) بل ان تنكريد كان يطمع فى امارته بعد موته هذا الى انه يبدو أن بعض الأرمن الذين طردهم بلدوين الثانى من الرها ١١١٣م (٥٠٧هـ) نزحوا الى كيسوم حيث حرضوا دفا باسيل — ابن كوغ باسيل المتبنى — (٥٧٠) . على محالفة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال أن الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان ما كادوا يعلمون بذلك حتى غادروها الى انطاكية (٥٧٢) . وقد راى الفرنج ان ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد صريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

---

(٥٦٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 92, Cahen : Op. Cit., p. 257, Setton : Op Cit., V. 1, p. 299 سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٧ Archer : Op. Cit., p. 148. عن (Stevenson)

(٥٦٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 92

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

(٥٦٦) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ، ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1. p. 403.

(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.
كانت زوجة كوغ باسيل قد أرضعته فقط .

(٥٧١) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ عن (Runciman)

(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٨٠ (ب) .

(٥٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٠٩هـ) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha فحاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم انه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الأمير الأرمنى ليون بن قنسطنطين بن روبان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « فدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥١٠هـ) (٥٧٦) . لذلك اشار ميخائيل السريانى الى ان بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سميساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

أما عن كركر التى كانت تابعة للأمير قنسطنطين الأرمنى الذى سبق أن ساعد بلدوين الأول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد أن ميخائيل السريانى يشير الى أن بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥١١هـ) (٥٨١) وأن بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

---

(٥٧٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

(٥٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 116.

(٥٧٦) Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu).
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (متى الرهاوى) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 40? هنا يضيف متى الرهاوى « أن باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

(٥٧٧) Michel : Op. Cit., p. 199.

(٥٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٥٧٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٨١) Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

جميسساط حتى هلك فى احد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفى ١١١٧م ايضا توجه بلدوين دى بورج ضد أحد الرؤساء الارمن المشهورين هو ابو الغريب — Abeligh'arib — حاكم البيرة (٥٨٣) . وصحبه فى حملته هذه أمير سروج . وكانت البيرة ذات موقع استراتيجى فى المكان الاول من الاهمية على مجرى الفرات على طريق الرها عينتاب (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالى سنة كاملة حتى فقد ابو الغريب كل امل فسلم البيرة وكل الاقليم الى بلدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قد استولى بين سنتى ١١١٥م ، ١١١٨م على ممتلكات كل من دفا باسيل حاكم كيسوم ورعبان وقلعة الروم وأبو الغريب حاكم البيرة وقسطنطين حاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهاوى يذكر صدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ أو نتجاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياسة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففى ١١١٨م توجه كما مر بنا الى القدس حيث توج ملكا . هنا يعقب او لدنبرج على سياسة بلدوين البولونى ودى بورج مع الأرمن فيقول « انه بالرغم من صلابتهما فان سياسة التحالف والامتيازات المتبادلة فرضت على الفرنج بحكم ظروف الساعة نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات امارة

---

(٥٨٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 117-118. Grousset : Op. Cit., p. 494.

(٥٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 116-117.

(٥٨٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (Setton)
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493

هنا يذكر جروسية انه رغم أن البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الأول ١٠٩٩م الا أنه تركها تتمتع بكيانها كامارة ارمينية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكدرة بين الرها وتل باشر .

(٥٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٦) Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu)

(٥٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 210

الرهـا بالأرمن خارجهـا فى ثلاثة انماط . اما زواج متبادل أو ود وتحالف أو عـداء وتوسـع بالقوة من جانب الرهـا .

وفى عهد جوسلين دى كورتناى تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ، فقد اتخذ جوسلين من اخت ليون الاول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) . (١١٢٩ — ١١٣٦م) (٥٨٩) . او أخت ثوروس الاول (٥٩٠) . أو بمعنى آخر ابنـة قنسطنطين (٥٩١) . زوجـة له ، لان ثوروس وليون كانا ولدى قنسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الأرمن والرهـا فى عهد جوسلين دى كورتناى تلك المحاولة البطولية التى سـاعد بها الأرمن فى اطلاق سراح جوسلين من سجن خرتبرت كما مر بنا . ذلك أن الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود رعايا جوسلين الأرمن بحسب (٥٩٢) . بل تعداه الى الأرمن فى خرتبرت سـواء فى قلعتها أو فى البلد نفسها (٥٩٣) . أو فى طريق عودتـه الى الرهـا خاصـة جهود أحـد الفلاحين الأرمن الذى أسهبت المصـادر المعاصرة فى الاشـادة بجهوده فى هـذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر هرب جوسلين ووقوع القلعة — كما مر بنا —

---

(٥٨٨) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٥٨٩) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 296.

(٥٩١) Iorga : L'Arménie ciliciénne, p. 93 عن (Alishan Sissouan)

(٥٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541-542, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme), Archer : Op. Cit., p. 162.

(٥٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op Cit., V 1, p. 419 Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer : Op. Cit., p. 163.

(٥٩٤) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420, Zoé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 592, L'Epopée, p. 123 عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى أسرع اليهـا واستعادها (٥٩٥) ؛ ولم يتم ذلك بالطبع فى سلام بل راح ضحيتــه كل الأرمن تقريبا الذين وجـدهم بلك فى القلعة(٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقعوا فى قبضته(٥٩٧).

وقبل أن ننتقل الى عهد جوسلين الثـانى نحاول التعرف على علاقة الرها بكركر فى عهد جوسلين الأول . فقد كانت زوجة قنسطنطين حاكم المدينـــة قد ظلت تحكمها ــ بعــد أن زج بلدوين دى بورج زوجـها فى السجن ــ حتى عهد جوسلين الثـانى (٥٩٨) . وعند أسر الملك بلدوين الثانى كان يحكم كركر ١١٢٣م ــ (٥١٧هـ) ميخائيل بن قنسطنطين (٥٩٩). وثمة نص لميخائيل السريانى يوضح علاقة كركر بامارة الرها بعــد ذلك يقول « فى عهد بلك خرج ميخائيل الأرمنى من قلعة كركر وتنـازل عنها . وبعد مقتل بلك استولى عليها من جديد الى أن هاجمه بعض الأتراك ؛ ولـــا لم يكن قــادرا على حماية نفسـه فانه هرب فى الفرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسمائة دينار (٦٠٠) » .

وفى ١١٣٧م تمت فى عهد جوســلين الثانى رابطة تسـوية بين امارة الرها والارمن فى أرمينيا الصغرى . ذلك أنه حدث فى تلك السنة خلاف بين ريموند الثانى أمير انطاكية من ناحية وبين ليون ملك ارمينيا من ناحية أخرى ، وبحكم قرابة الاخير من جوسلين فقد توسط بينهما وأقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الامبراطور البيزنطى (٦٠١) .

على أن البيزنطيين احتلوا قيليقيـــة بين سنتى ١١٣٨ ــ ١١٤٥م ــ

---

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ٢٣٧ ، ابن الوردى : جـ ٢ ص٣١
Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٥٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé Op. Cit., p. 298.

(٥٩٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 544.

(٥٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 276.

(٥٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875 من (L'Anonyme)

(٦٠٠) Michel : Op. Cit., p. 244.
وهو يقصــد هنـــا ميخائيل الأرمنى ، ميخائيل بن قنسطنطين

(٦٠١) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan Op. Cit., p. 172. Tournebize : Op. Cit., p. 173. Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ — ٥٤٠هـ وكـان آخـر حـاكم لارمينيا عنـد الغزو البيزنطي هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرهـا بالدولة البيزنطية :

للتعرف على أهم العـلاقات بين امـارة الرها الصـليبية والدولة البيزنطية فى الفترة التى ندرسها ، ينبغى الرجوع الى الوراء ، أى الى ٩٤٣م (٣٣١هـ) عندما حاصر القائد البيزنطى حنا كوركاس الرها(٦٠٣) . والواقع أن هذا الحصار لم يتبعه دخول الرهـا فى حوزة البيزنطيين ؛ لأن ذلك لم يتم الا بعد حوالى قرن من تلك الحملة (٦٠٤) ولكن اهميـة ذلك الحصار ترجع الى ما تبعـه من مفاوضـات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين فى الحصـول على صـورة المسيح المقدسـة التى كانت موجودة بالرهـا حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيما سبق — عند الحديث عن تلك الصـورة — كيف انتـهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقى ٣٣١هـ — ٩٤٣م على التخلى عنهـا فى مقابل اطلاق سراح الأسرى المسلمين الموجودين فى القسطنطينية(٦٠٥) . وبالفعـل تم نقـل ذلك الاثر المقـدس الى القسطنطينية فى ١٥ اغسطس ٩٤٤م وسـط احتفال دينى عظيم (٦٠٦) .

---

(٦٠٢) Iorga : L'Arménie Cilicienne : p. 94, Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٣) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٤) Cam. Med. Hist. : Ibid., p. 140.

(٦٠٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : أخبـار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ مخطوط ص ٨٠.
Le Strange : Op. Cit., p. 104.
أما ابن العبرى فيذكر ان ذلك كان ٩٤٢م
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162 - 3)

(٦٠٦) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med. Hist.: Ibid, p. 141.
ويضيف المرجع الاخير أن نقل ذلك الاثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus) لانه بعد حوالى اربعة اشهر بالتحـديد فى ١٦ ديسمبر ٩٤٤م قبض على الامبراطور ووضع فى جزيرة Prote حيث توفى فى ١٥ يونيـة ٩٤٨م
Cam. Med. Hist., p. 143.

وفى ١٠٣٠م (٤٢٠هـ) « كان يحكم الرهـا اميران عربيان فارسل احدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة وأقاموا اماكن دفاعية قوية هناك وعندما سمع حاكم حلب بذلك ارسـل الى الرها جيشـا اسـتولى عليها وهرب المسيحيون الى الكنيسـة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثلوج وعندئذ جعلوا الشـتاء ذريعة وتنازلوا عن البلد ورحلوا(٦٠٧) » .

وفى ١٠٣٢ (٤٢٤هـ) توجه القائد البيزنطى جورج مانياكس الى الرهـا واسـتولى عليها محققا بذلك قمة انتصـاراته(٦٠٨) . ففى تلك الحملة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الثـانى فى الرهـا وهـو خطاب المسـيح المشـهور الى ابجر ملك الرهـا السـابق الذكر واحتفل فى القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الأثر اليها(٦٠٩) . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين (٦١٠) أو على الأصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقـة (٦١١) ». « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤هـ) فان مدنـا أخرى متطرفة فى الشرق مثل انطاكية بالشـام والرهـا شرقى الفرات ـــ ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاميات بيزنطية وزعماء من الأرمن يعترفون بالسيادة للقسطنطينية ، وقـد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م ـــ ٤٨٠هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشـاعر

---

(٦٠٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192 - 193.
وكان حاكم حلب آنذاك هوشبل الدولة ابو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذى حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩هـ (الطباخ الحلبى: اعلام النبلاء، جـ ٢ ص ٣٢٢ ، العينى : عقد الجمـان ، جـ ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ ـــ ٨٢٨) .

(٦٠٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285
اما ابو الفضائل الحموى: التاريخ المنصورى، ص ١٥٠ فيذكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣هـ ويتفق معه فى ذلك ميخائيل السريانى الذى يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م Michel : Op. Cit., p. 280. ولكن الراجح أن حملة جورج مانياكس كانت فى العام التالى وانها هى التى اكدت استيلاء البيزنطيين على الرهـا .

(٦٠٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725.

(٦١٠) Cam. Med. Hist : Ibid., p. 726.

(٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ Setton : Op. Cit., V. 1. p. 304.

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية : جـ ١ ص ٩٤ .

الأرمنى نيرسيس فى قصيدته التى رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطبه القسطنطينية فتقول .

يا مدينـة العـظمة والأبهة
يا من شادها الملك قسطنطين
على ابواب آسـيا الصغرى
لقـد كنت ملـكا لك
وجزءا منك يا أم المدائن
وبنيت على أرضى هيكلا
وسميته باسم هيكلك(٦١٣) .

فاذا انتقلنـا الى علاقة امـارة الرهـا الصليبية بعـد تأسيسـها بالامبراطورية البيزنطية . نجـد ان « تأسيس بلدوين البولونى للامـارة فى حـد ذاته يعتبر خروجا واضحا على الاتفاق الذى ابرم مع البيزنطيين(٦١٤). ذلك ان الرها كانت اقليما بيزنطيا وكان يجب أن تعـود لبيزنطة . وهكذا ورغم أن بلدوين كان قد حلف يمين الولاء للامبراطور الكسيوس الا انه لم يقم أى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرهـا للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة فى أهالى الرهـا الذين نادوا به أميرا عليهم (٦١٦) .

---

(٦١٣) الأبيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠. Nersès : Op. Cit., p. 220.
هنا يفسر المترجم الفرنسى دولوريبه المقصـود بالهيكل هنـا : كنيسـة (القديسـة صـوفيا) .

(٦١٤) Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 209, اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٠٩

(٦١٥) Bréhier : Ibid., p. 313.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ عن (Runciman)
جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦
عن (Ostrogorsky) هـذا الى جـانب الغـدر الذى عـامل به بلدوين الامير ثورس كان لطمة للعاهل البيزنطى ، فثوروس كان موظفا فى خدمة الامبراطور كما انه كان عضوا فى الكنيسـة الارثوذكسية البيزنطية (اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٦١٦) J. Prawer : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V, 1, p. 304.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فان الامبراطور الكسيوس الاول كومنين (Alexius I Comménus) (١٠٨١ — ١١١٨م (٦١٧) / ٤٧٤هـ — ٥١٢ هـ) لم يفعل شيئا ولم يقدم حتى احتجاجا رسميا ، بل فضل السكوت فى ذلك الوقت حتى تحين فرصة افضل ، فقد كانت مسالة الرها عندئذ اقل نسبيا من مشكلة انطاكية الاكثر خطورة(٦١٨) .

واذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الامارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداء مرير فاق فى قسوته العداء مع المسلمين، الا انهم اكتفوا فى البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة فى آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم فى ذلك الدور(٦١٩) .

ويبدو ان هجمات البيزنطيين اخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) فقد سبق أن اشرنا ان ثوروس بن قنسطنطين ساعد الصليبيين فى صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع أن موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة فى الرها وانطاكية برز واضحا جليا بعد هزيمة الفرنج فى حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) « فقد كان الامبراطور يراقب الموقف فى قلق فى بيزنطة ولم يأسف لسماع إخبار هزيمة الفرنج »(٦٢١) .

وقد سبق أن اوضحنا كيف أن هزيمة الصليبيين فى حران اضعفت مركز الصليبيين بالشام واحيت آمال كلّ من الامبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو أن تمسك الامبراطور الكسيوس كومنين بحق البيزنطيين فى انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الأمير بوهيموند امير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٨م بدليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الامبراطور البيزنطى الكسيوس وبين بوهيموند سنة ١١٠٨م بعد هزيمة الأخير فى البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٦١٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304.
(٦١٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52 - 57.
(٦٢٠) H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.
(٦٢١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44.
(٦٢٢) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58.

وجوده فى السجن الامبراطورى(٦٢٣) » وفى اثناء تلك المفاوضـــات ادى بوهيموند يمين الولاء من جـديد للامبراطور ، والراجح أنه اتفق معـــه فى مقابل امراره على اخذ انطاكية منـــه ان يحصـــل فى مقـابلها على ارضـــ اخـــرى فى الشـــام ومـــا بين النهـــرين ويفهـــم ممـــا ذكرتـــه (أنـــا كومنينـــا) (٦٢٤) أن الرهـــا كانت ضمن تلك البلاد التى سيعوض بها الامبراطور الكسيوس بوهيموند عن امـــارته انطاكية . وربما شجع الامبراطور على ذلك التعهد خلو امـــارة الرها من اميرها فى ذلك الوقت . ويفهم من النص الذى ذكرته (أنا) ايضا أن التعهد من جانب الامبراطور لم يقتـــصر على بوهيموند فحسب بل امتـــد الى ورثة بوهيموند بشرط خضوعهم ايضا للامبراطور (٦٢٥) .

والحقيقـــة اننا لم نعثر فى اى مصـــدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (أنـــا كومنينـــا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية اذ لا يستبعد أن يكون بوهيموند قـــد أراد فعلا أن يتخلص من حـــالة عـــدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها فى انطاكية والذى ستتمسك به باستمرار بعد ذلك مقـــابل افضل الشروط .

وعندما خلف تنكريد بوهيموند فى حكم انطاكية يبدو انه لم ينفذ ما تعهد به بوهيموند للامبراطور الكسيـــوس ممـــا ادى الى تجدد الخلاف بينهما . ويدلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدوين دى بورج من الاسر ، اذ رفض تنكريد اعطاءه امارته ، مما تسبب فى قيـــام النزاع بين الجانبين . هنـــا يشير ابن الفرات الى انه بعـــد ان استنجد بلدوين بجـــاولى كما مر بنـــا لجـــأ الأخير الى جوسلين صـــاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجى

---

(٦٢٣) اشار جروسيه الى ذلك الاتفـــاق تحت اسم معاهـــدة Deabolis وذكر انها كانت بين الامبراطور الكســـيوس وبوهيموند ١١٠٨م عنـــدما كان الاخير سجينا لديه .

Grousset : Hist. des Crois.. V. 2, p. 89 عن (Chalandon)

امـــا بروييه فقـــد اشـــار الى ذلك الاتفـــاق بقـــوله (كل ما وعد به بوهيموند الامبراطور الكسيوس عند هزيمتـــه فى البلقـــان سنة ١١٠٨م . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك اشـــار ارنست باركر : الحروب الصليبيـــة ، ترجمـــة العـــريني ص ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بان ذلك كان بعد هزيمة بوهيموند فى دورازو .

(٦٢٤) Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356.

الصـــعوبة الوحيدة هنا ان (أنـــا) لم تحـــدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق

(٦٢٥) Anna : Ibid., p. 356.

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة .. وكان طنكريد اقوى بانطاكية وجوسلين اضعف بقلة ملكه وماله ، ولما راى جوسلين ان لا طاقة له بطنكريد اوصى لمن يحفظ البلاد وشحن الحصون وسار الى ملك الروم فطرح نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فاطلق له خمسة عشر الف دينارا وغادر من عنده (٦٢٦) » . وهذا النص نستشف منه : ان أولى الأمر فى الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الامبراطور وبوهيموند ؛ فضلا عن ان الامبراطور عندما وجد ان تنكريد غير موافق على ما تعهد بوهيموند به أراد ان يكسب حكام الرها الى جانبه ضد تنكريد وبذلك لم يتأخر فى تقديم المساعدة اليهم كفاتحة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثمة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لأتفاق الكسيوس — بوهيموند هو ان انا كومنينا نفسها تعود وتذكر ان سفارة اتجهت من بيزنطة الى بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الاول عقد تحالف مع الامبراطور ضد تنكريد فى مقابل مبلغ من المال تقدمه الامبراطور ، ولما رفض الملك ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دى كورتناى — الذى كان بالقدس عندئذ — فى نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا ان الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقى للامبراطور من وراء كسبه ودها ، وانه يرمى الى وضعها الى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضت ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبيين والبيزنطيين على اشده حتى أن الامبراطور نفسه لم يلبث ان ارسل يحرض سلطان السلاجقة محمد بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤هـ — (١١١٠م) وقد اورد كل من ابن القلانسى وابن الاثير اخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتى سبق ان اشرنا اليها بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس فى تلك السنة .

وعندما خلف الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م (٦٢٩) ٥١٢ — ٥٣٨هـ) الامبراطور الكسيوس الاول كانت أهم آمال الامبراطور

---

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ مخطوط ، ص ٢٥ (أ) ، (ب) .

(٦٢٧) اوردنا النص مع الملاحق Anna Comnena : Op. Cit., p. 367.

(٦٢٨) ابن القلانسى : الذيل - ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon)

الجديدة هى « اعادة تاسيس القوة البيزنطية فى وادى الفرات وبدا مصمما على التدخل فى شئون مملكة بيت المقدس، ووادى الفرات (٦٣٠)» هذا يعنى ان امارة الرها نفسها كانت محط اطماع ذلك الامبراطور .
على أن العلاقات البيزنطية الصليبية دخلت مرحلة جديدة منذ ١١٣٧م — (٥٣١هـ) ففى تلك السنة توجه الامبراطور حنا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتاكيد حقوق الامبراطورية فى كل من الاقليمين . ذلك أنه اعتبر اعطاء امارة انطاكية لريموند دى بواتيه عن طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثانى دون الرجوع الى القسطنطينية فى ذلك الأمر خرقا لليمين الذى اقسمه الصليبيون فى القسطنطينية لوالده الامبراطور الكسيوس (٦٣١) . هذا فضلا عن حقده على أمراء أرمينيا الصغرى فى قيليقية لخروجهم عن طاعة الامبراطورية البيزنطية (٦٣٢) .

والواقع ان امراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشعور وموقف الامبراطور البيزنطى من كل من الجانبين (٦٣٣) .

وقد راينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الأول أمير أرمينيا الصغرى وريموند الثانى امير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثانى بينهما ١١٣٧م حتى تم الصلح بينهما وعندئذ « تحالف الطرفان ضد الامبراطور حنا كومنين (٦٣٤) » . وكان أن الحق ليو قواته العسكرية بالقوات الانطاكية للقيام بعمل مشترك ضد الامبراطور البيزنطى (٦٣٥) .

اما الاسباب التى حركت الامبراطور ضد ارمينيا الصغرى وانطاكية فى تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذى سبق أن اشرنا اليه بين ملك

---

(٦٢٩) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204
اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ ، هنا يكنيه الكاهن جريجوار (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٦٣٠) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66.

(٦٣١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٣٢) Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152.

(٦٣٣) Jacques de Morgan ; Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 174.

(٦٣٤) Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournebize : Ibid p. 173 - 4.

(٦٣٥) (Cinnamus) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. .152.

أرمينيا وأمير انطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فان الامبراطور تقدم الى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر ليون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكى لبارين ١١٣٧م (٥٣١هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... الى بلاد الفرنج والروم يستجدونها »(٦٣٧) . بل قيل ان القساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحشدت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) .

ولكن يبدو ان الامبراطور لم يستطع القيام باى عمل ايجابى تجاه الصليبيين المحاصرين فى بارين بدليل ما ذكر من أنه عند رجوع الأمير ريموند الثانى امير انطاكية الى امارته وجدها محاصرة بواسطة الامبراطور البيزنطى (٦٣٩) .وعندئذ طالب الامبراطور ريموند بأن يتخلى له عن انطاكية، وفى النهاية اصبح اهالى انطاكية انفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على انه فى مقابل دخول انطاكية تحت نفوذ الامبراطور يساعد الأخير الصليبيين فى الاستيلاء على بعض المدن التى ما زالت خاضعة للمسلمين فى الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وان تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف أمير انطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالحلف الفرنجى

---

(٦٣٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. 152. هنا يسمى ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٢ الامبراطور حنا (كاليانى) أما ليون فيسميه لاون بن روبال .

(٦٣٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٦٣٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325.

(٦٤٠) Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٤١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. 101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard : Op. Cit., p. 45,
يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى البـاب القـادم . وكل ما يهمنـا هنـا هو ابراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خـلال هـذا الحـلف خاصـة منذ ١١٣٨م — (٥٣٢هـ) عندمـا بـدأ يدخـل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور ارسـل فى تلك السنة رسله لدعوة الأمير ريموند والأمير جوسـلين الثـانى وأمراء آخرين للسير مـعه لحرب المسلمين، وبالفعـل جنـد الأميـران القوات من كـل مناطـق نفوذهمـا وتبعوا الامبراطور (٦٤٢) . وتقـدم الامبراطور ومعـه ريمونـد وجوسـلين الثـانى الى حلب ولكن بعـد قتال شـديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان أن توجـه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهنـاك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركـة حاميـة ، تحمـل الامبراطور فيهـا الجـزء الأكبر من عبء المعركـة فى الجبهـة المسيحية ، بينما لم يبذل كل من جوسـلين الثانى وريموند جهـدا ايجابيـا ملحوظـا فى الحصـار (٦٤٤) . وعندئـذ اضـطر الامبراطور الى رفـع حصـاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعـد من بينها الموقف غير الايجابى لأميرى الرهـا وانطاكية .

ثم انسحب الامبراطور والأميران الصليبيان الى انطاكية ، وهنـاك طلب الامبراطور من أمير انطاكيـة ان يسلم قلعة المدينـة اليـه تنفيذا لوعـده (٦٤٥) ، وقـال له « انجز وعدك وكن مطيعا واظهر ولاءك واعمل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى أن ننفـذ الالتزامات

---

(٦٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(٦٤٣) Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, Zoé : Op. Cit., p. 328,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية، حـ ٦ ص ٦٤ .

(٦٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(٦٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٨ J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362. Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقيـة علينـا (٦٤٦) » . وعندئـذ تدخل جوسـلين الثـانى لينقذ الموقف فرد على الامبراطور قائلا : « سيدى أن كلمات سموك الامبراطورى مشحونة بالفصـاحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لأننـا نرى انها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة أمر جـدير بالأعتبار هو أن طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكيـة وحـده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائـه ورأيى ورأى رعايـاه المخلصـين ولـذا يجب اعطـاءه مهلـة للتفكير (٦٤٧) » .

وبالفعل لاقت تلك الأجابة استحسانا من الامبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير فى الأمر .

وعندئـذ اتصـل جوسـلين سرا عن طريق بعض اعوانـه بالناس ليخبرهم بمطالب الامبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسلح والثورة ولـم تلبث أن شبت ثـورة فى المدينـة وانطلقت الجمـاهير تصـيح فى شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ أسرع جوسـلين على فرسـه الى القصر كما لو كـانت الجماهير تطـارده ثم ألقى بنفسـه لاهثـا عند أقـدام الامبراطور فتعجب الامبراطور من دخوله المفاجىء وسـأله بقلق لـماذا يفعل هـذا على عكس قواعـد التشريفات والسـلوك . فأجاب الأمير بأن الضروريات تبيح المحظورات . وأن الثورة الجماهريـة ارغمته أن يخالف القواعـد المـألوفة كى يتحاشى خطر الموت على يـد الجمـاهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث أن ترامت الى مسـامع الامبراطور صـيحات الجمـاهير « الويل لأنطاكية لقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار أفراد أسرة الامبراطور ونهبوهم وضربوهم ووضـعوا السيف فى كل من ابدى ايـة مقاومة (٦٥١) . مما جعل الامبراطور يقرر الرحيل عن أنطاكية (٦٥٢) .

---

(٦٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 98.

(٦٤٧) William : Ibid, V. 2 p.p. 98 — 99.

(٦٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327, Grousset : L'Eppoée, p. 157.

(٦٤٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 99.

(٦٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ، ص ٦٥ .

(٦٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100.

(٦٥٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327. سعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٥٨٩ (عن وليم الصورى) .

وبعـــد مضى أربع سنوات عـــاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جـــديد فى شمـال الشـــام كى يطالب بانطاكيـــة مرة اخرى ولكن قبل ان يتوجـــه اليهـــا بدأ أولا بامارة الرهـــا ، كى يضمن جـــانب جوســـلين الثانى لأنه لم يخف عليه ما دبره جوســـلين من حيلة لاجلائه عن انطاكيـــة ١١٣٨ . لـــذا ظهر الامبراطور فجاة أمام تل باشر ١١٤٢م — (٥٣٧هـ) وطلب من جوســـلين رهائن مما اثار دهشـة الأخير لوصول الامبراطور المفـــاجىء ولكنـــه ازاء قـــوة الامبراطـــور البيزنطى وجيشـــه الـــذى لا يضـــاهى والذى لا يمكن لأى مملكة أن تصمد أمامه بادر بتقديم ابنتـــه (ايزابيلا — Isabella) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوســـلين الثـــانى الذى انتصر على الامبراطور بالخديمـــة والحيلة منـــذ أربع سنوات مضت ، وجـــد نفســـه فى هـــذه المرة عاجزا ضعيفا فسلم للامبراطور بعض الرهـــائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى باذنه (٦٥٥) . فخلفه ابنه مانويل الأول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بدايـــة حكم مانويل سقطت الرهـــا فى يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع ان الشـــاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرهـــا عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لســـان مدينـــة الرهـــا أيضـــا ، المعونـــة والثار من المسلمين مما يبين أن بيزنطـــة لم تقف موقفا متعاطفا مع الرهـــا فى محنتها فهو يقول :

اليك اتوســـل : عبثى

قواتك العاتيـــة

واطعنى الأعـــداء فى صميمهم ثاراً وانتقاما (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قـــد ادت فى النهاية الى ضياع امارة الرهـــا من ايـــدى الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقيـــة العـــالم المسيحى الغربى فى استعادة الرهـــا مرة

---

(٦٥٣) William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois.. V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 361 (1936).

(٦٥٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335.

(٦٥٥) ابو الفضـــائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أســـد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٦٥٧) Nersès : Op. Cit., p. 230

أخرى وردها الى حظيرة الحكم المسيحى . ففى اغسطس ١١٤٦م (٥٤١هـ) أرسل الامبراطور مانويل خطابا الى البابا (٦٥٨) ، ردا على خطاب كان قد ارسله الى الامبراطور واخبره فيه ان ملك فرنسا سيتوجه على رأس حملة للانتقام للكنائس المقدسة وليعوض كارثة الرها . فقد ابتهج مانويل لهذا المسعى من أجل صالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقد رد بأنه مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبى وتجهيزه بالمؤن ولكنه طالب فى مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين ورغب فى أن يجتهد البابا فى تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هذا أن الامبراطور مانويل كانت لديه الرغبة فى المساعدة على استعادة الرها ولكن فى مقابل الحصول على ولاء الصليبيين له . وربما فضل مانويل ان تعود الرها الى قبضة الصليبيين خير من بقائها فى يد المسلمين . فعند عودتها الى المسيحيين يصبح من السهل على الامبراطور فرض سلطانه على شمال الشام من جديد ولو بطريقة اسمية .

والحقيقة انه عثر على خطابين للامبراطور مانويل ارسلهما الى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعد سقوط الرها مباشرة ولكننا سنرجىء دراسة هذين الخطابين بالتفصيل الى الباب القادم عند دراسة ردود الفعل بالنسبة لسقوط الرها .

---

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث ، — Eugène III
١١٤٥ — ١١٥٣م اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ٢١٠ .

(٦٥٩) V. Grümel : Deux Lettres de Manuel Comnéne au pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

(٦٦٠) V. Grumel : Ibid., p. 146.

الباب الثالث

نهاية امارة الرها

جهود زنكي في الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية :

ينتسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم أبو المحاسن بانهم « أواسط الدول (١) » عرف أبوه « بالحاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه (٣) . ولما تخلص الأمير كربوقا من سجن حمص بعد مقتل تاج الدولة تتش صاحب دمشق وحلب ٤٨٩هـ (١٠٩٦م) توجه الى حران واجتمع اليه جماعة وملك نصيبين ثم الموصل وماردين وعظم شانه . ثم احضر مماليك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم باحضار الأمير عماد الدين زنكى وقال « هو ابن اخى وانا اولى الناس به فاحضروه عنده فاقطعهم

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زكى هم أواسط الدول فان أول من ملك مع الخلفاء وتلقب بالسلطان والألقاب العظيمة بنوبوية ، ثم أنشأ بنوبوية بنى سلجوق . وانشأ بنو سلجوق بنى أرتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشأ بنو زنكى (اعنى الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بنى ايوب سلاطين مصر وغيرها . ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ ، ابن أيبك كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٧٠ (أ) هنا يضيف ابن الفرات ان قسيم الدولة سمى بذلك لانه كان مملوكا للسلطان العادل عضد الدولة الب ارسلان بن داود ميكائيل بن سلجوق ، تربى مع ولده السلطان العادل جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه واستمر فى صحبته الى حين كبر وافضاء اليه فجعله من اعيان دولته واكابر امرائه واخص أوليائه واعتمد عليه فى أموره كلها وعلت رتبته ومنزلته. الى ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : حـ ١ ص ٧٠ أ ، ب .

(٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٧٠ (ب) .

الاقطاعات السنية (٤) » ... واقام الامير عماد الدين زنكى فى صحبة الامير كربوقا الى ان توفى ... وعندما تولى جكرمش الموصل — وهو احد مماليك السلطان جلال الدولة ملكشاه — قرب عماد الدين اليه الى ان توفى ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ثم ولى بعده الامير جاولى سقاووا ، فاتصل به الأمير عماد الدين . ولما تولى الأمير مودود الموصل من قبل السلطان محمد بن السلطان جلال الدولة ملكشاه صحبة الامير عماد الدين وحضر معه حروبه الى أن قتل مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) فعاد عماد الدين الى الموصل (٥) . فلما أمر السلطان محمد البرسقى بالخروج للجهاد وكتب الى عساكر الموصل بالخروج معه ، ساروا وفيهم عماد الدين فابلى فى هذه الحرب بلاء حسنا وعادت العساكر تتحدث بما فعله وما ظهر له من الشجاعة (٦) . وفى ٥١٦هـ (١١٢٢م) اقطع مدينة واسط وولى شحنكية البصرة (٧) . ثم ولى شحنكية بغداد ٥٢١هـ (٨) (١١٢٧م) ثم ولى الموصل — كما مر بنا — هذا الى جانب ديار الجزيرة . ومن الموصل سار الى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم اليه أيضا نصيبين وسنجار والخابور وحران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلها اماكن كانت بأيدى المسلمين . ثم بدأ بعد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قد استولوا عليه

---

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ — ١٦ ، ابن الفرات المصدر السابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦ — ١٧ — ١٩ ، ابن الفرات المصدر السابق والصفحة .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ١٩ — ٢٠ . ويبدو أن اتابك زنكى حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج فى الشام فى سنتى ٥١٣هـ،٥١٥هـ (١١١٩م ، ١١٢١م) بدليل ماذكره ابن ايبك انه فى ٥١٣هـ كسر اتابك الفرنج على جبل السماق كسرة عظيمة (ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦، ص ٤٨٢) وفى ٥١٥هـ كسر اتابك الفرنج على تل حورى . (نفس المصدر ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٤. والشحنة لفظ فارسى معناه : محافظ المدينة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنا من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ — ٣١ ، الذهبى : العبر ، ج ٤ ص ١١٢ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٦ — ٣٧ ، الكامل ج ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناولـه بالتفصيل . ويلخص الذهبى صفات زنكى فى قوله « كـان فارسـا شجاعا ميمون النقيبـة ، شـديد البـأس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وايده الأصفهانى فى ذلك بوصفه انه « كان جبـارا عسوفا ، نمرى الخلق اسـدى الحنق ، لا ينكر العنف ولا يعرف العرف (١١) » .

وقبل الحـديث عن جهود زنكى فى مواجهـة الصليبيين نود ان ننقل تلك الصـورة المعبرة عن الموقف بين المسـلمين والفرنـج عنـد تولى عماد الدين حكم الموصـل فقـد قال ابن الاثير : « لمـا ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنـج قـد اتسـعت بـلادهم وكثرت أجنـادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضـاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد بطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف اهلها من كف عاديتهم ، وتتابعت غزواتهم ، وساموا المسـلمين سوء العذاب وركبوهم بالتبار والتباب ، واسـتطار فى البلاد شرر شرهم ، وعم اهلهـا شـديد حيفهم وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسـلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسـلام منشورة ، وانصـارهم على اهل الايمان منصورة .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قـد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسـلمين غير حلب وحمص ، وحماه ودمشـق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمـد ، فلم يبقوا على موحـد ولا جاحـد . ومن ديـار الجـزيرة الى نصـيبين ورأس العين فاستاصلوا ما لاهلها من اثاث وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ باسلوب المهادنة مع امارة الرهاالصليبية بدلا من اسلوب القوة . ففى ٥٢١هـ (١١٢٧م) ارسل الأتابك زنكى الى جوسـلين امير الرهـا فهادنه مـدة يسيرة (١٣) ، او بمعنى آخر دخل معـه فى عـلاقة ود وصـداقة حتى أن زنـكى عندمـا أراد أن يرتبط ببوهيموند اميـر انطاكيـة ، اسـتخدم فى تلك المفاوضـات جوسـلين وسيطا (١٤) . وكـان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مـع امـارة

---

(١٠) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هى شراسة الخلق) .

(١١) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .

(١٢) ابن الاثير : البـاهر ، ص ٣٢ — ٣٣ . (التبار والتباب اى الهلاك والخسران) .

(١٣) ابن الاثير : البـاهر ص ٣٧ ، الكـامل حـ ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .

(١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 148.

الرهــا هو التفرغ للاستيلاء على ما بقى له من البلاد الشامية والجزرية واصــلاح شــأنها والفراغ من اقطــاع بلادهــا لجند يختبرهم ويعرف شجاعتهم (١٥) .

ولمــا فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها « عاد الى الموصــل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم أمرهم للغزاة فتجهزوا واعــدوا واستعدوا وعاد الى الشــام وقصــد حلب (١٧) ». وكــان أن عزم على الاستيلاء على حصن الاثارب ، اذ كان ذلك الحصن شــديد الضرر على اهل حلب فقــد اجتمع فيه عــدد كبير من فرســان الفرنج الشجعان وكان « من المســلمين فى نحورهم (١٨) » . وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربيــة « حتى على رحا لأهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » . لذلك ســار زنكى الى الحصن ونازلــه فلما علم الفرنــج بذلك توجهوا لملاقاته فى كامل استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

---

(١٥) ابن الاثيــر : البــاهر ص ٣٧ ، الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ : ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤. .

(١٦) (ابن الاثير : البــاهر ص ٣٨ ، الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٦) ويذكر (ستون) من جهب أن ذلك كان فى يناير ١١٢٨م
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابو الفــدا : المختصر فى اخبار البشر، حـ ٣ ص ٣ ، العينى : عقد الجمان، ١٦م ١ ص ٢٥ — ٢٦ .

(١٨) ابن الاثير : البــاهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (أ ، ب) ابو الفــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، النويرى : نهــاية الأرب حـ ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، أحداث ٥١٣هـ العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، البــاهر ص ٣٩ ، ابن الفرات : المصــدر الســابق حـ ٣ ص ١٣ (أ) ، أبو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب الســابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٥ ،
Setton : Op .Cit., V. 1, p. 431.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على أن ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م . نجــد بعض المصــادر اشــارت الى أن ذلك كــان سنة ٥٢٣هـ مثل :
=

والحقيقـــة أن الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انقسموا ا
فريقين على رأى ابن الاثير ، فالبعض هونوا أمره والبعض طالبوا بات
اقصى الاستعدادات لملاقاته (٢١) وبالفعل توجهوا اليه فى قوة كبيرة
ذلك فقــد اهتموا حينئذ « بجميع الفرســـان والأجناد واحضروا من
أطراف البـــلاد وجمعوا الدانى والقـــاصى والمطيع والعاصى واقبلوا
جموعهم المحشــورة وعساكرهم المجرورة ، وأعلامهم المنشورة وصلبا
وبنودهم وملوكهم وكنوذهم (٢٢) » .

ويبدو أن جند زنكى واصـــحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمـــع
الاعـــداء (٢٣) فقــد ذكروا له « ان لقـــاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدر
على اى شـــىء تكون العاقبـــة » . ولكنـــه لم يســـتجب لهـــم وقـــال
ان الفرنـــج متى رأونا قــد عدنـــا من بين ايـــديهم طمعوا وســـار
فى اثرنا وخربوا بلادنـــا ولابــد من لقائهم على كل حـــال (٢٤) . لذ
ترك زنكى الحصن وســـار لملاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجم
نصر الله المسلمين وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرســـا
فى الأسر (٢٦) .

=
النويرى : نهايـــة الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٢٥ . وروض المناظ
مخطوط أحداث ٥٢٣هـ . فى حين ذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ
ص ٢٧ ان ذلك كان فى صفر ٥٣٣هـ .

(٢١) ابن الاثير : البـــاهر ، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

(٢٢) ابن الاثير : الباهر ص ٤٠ . اما تفسير كلمة كنودهم فتذ
حاشية لمحقق الباهر ص ٤١ ان كلمة امير الفرنسية Comte عر
العرب الى (كند) ، (كندد) ، (قند) .

(٢٣) tton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٢٤) ابن الاثير : الكـــامل ، حـ ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخط
حـ ٣ ، ص ١٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المصـــ
الســـابق حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : المصـــدر الســـابق نفس الصفح
ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ
ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الاثير : نفس المصـــدر والصفحة ، ابن الفرات : نف
المصـــدر والصفحة ، العينى : نفس المصـــدر والصفحة ، ابو شـــام
الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهايـــة الارب حـ ٢٥ مخط
ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احـــداث ٥٢٣هـ .

وتقدم زنكى الى جنده طالبا منهم « الاثخان فى القتل (٢٧) » . قائلا ان هـذا اول مصـاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ذلك (٢٨) » فلم ينـج من المعركـة الا من هرب اثنـاء الليل أو اختفى بين القتلى (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فامتلكه عنـوة (٣٠) » وقتلوا واسـروا كل من فيـه (٣١) ثم خربـه زنكى وجعله دكا (٣٢) .

وبعـد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فارسل من فيـه من الفرنج اليه يطلبون الصـلح ويبذلوا له نصف دخل حـارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لان عسـكره كان قـد « كثر فيهم الجراحات

---

(٢٧) ابن الأثير : الباهر ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الأثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر السـابق ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (ب) أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السـابع ٥٢٤هـ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٥٥ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ .
النويرى : نهايـة الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٢٥ ، العينى : عقـد الجمان :

(٣١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : ٤٢ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، أبو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، النويـرى : نهايـة الأرب حـ ٢٥ ورقـة ٢٥ ، العينى عقـد الجمـان : حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ، احـداث ٥٢٣هـ ، ابن قاضى شـهبة : الدر الثمين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٤هـ ، ابو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ٢٠٥ أنها حصن حصين وكورة جليلة تجـاه انطاكية من اعمال حلب .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، ابو شـامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ . Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا (٣٥) » . وعاد زنكى وقد « اشتد أزر المسلمين بتلك الاعمـال وضعفت قوى الكافرين ، وعلموا ان البلاد قـد جاءها مالم يكن لهم فى حسبان وصار قصارى همهم حفظ ما فى ايديهم بعد أن كانوا قـد طمعوا فى ملك الجميع (٣٦) » .

وفى شعبان ٥٣٠هـ أبريل ١١٣٦م سـارت جيوش زنكى مـع الأمير اسوار نائبه بحلب فقصـدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصـف وقتلوا واسروا ، وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبى ومائـة الف راس من الدواب وخربوا اللاذقية وما جاورهـا ثم توجهوا الى شيزر فى منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفى ١١٣٧م (٥٣١هـ) اكمل زنكى عملياته العسـكرية الأولى بحملته الكبيرة ضد بارين التى كانت تقع فى امـارة طرابلس الصـليبية (٣٨) . ويفسر وليم الصورى قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بانه استغل فى ذلك الوقت وضـع الامارة الضعيف بعـد وفـاة بونز وقيـام ابنـه ريموند الثـانى (٣٩) .

ثم سـار زنكى على راس قواتـه واغـار على حصـن بـارين فى شـوال ٥٣١هـ (٤٠) وعندئذ ارسـل ريموند أمير طرابلس الى خـاله

---

(٣٥) ابن الأثير : البـاهر ص ٤٢ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الأثير : المصـدر السابق حـ ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلـدون فى العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ حصـن بـارين (حصن بعدوين) وهـذا غير صحيح .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 85.

(٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٨٦ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ .

ملك القدس « بتوسلات جسادة وتضرع الى فولك ان يحضر بسرعة لمساعدتهم فى وضعهم الذى يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجابه الملك فولك لتلك التوسلات ، فجند قواته من المشاه والفرسان وبسرعة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقماصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك القدس تلقى فى ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثانى من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة اعوانه قرر نجدة طرابلس اولا ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قام بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكمن لهم كمينا وضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطمعوا فيه وتبعوه فوقعوا فى الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بارين ، فاستصوب ذلك الراى بوصفه احسن

---

(٤١) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 70.

(٤٢) William : Ibid V. 2, p. 85.

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٢ — ٧٣ (والقماصة جمع قمص والقومص تعريب حرفى للفظة اللاتينية (Comes) ومعناها (الرفيق) لانه كان فى بادىء الأمر يرافق الملك فى حروبه وتنقلاته ولفظة (Comes) اللاتينية هى التى حورت فى اللغة الفرنسية الى (Comte) واعتادت المراجع العربية أن تعربها الى (كد) ، (كند) ، (قند) محقق الباهر ص ٤١ .

(٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 71.

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب : مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ بعد ان قتل كل المشاه او اسروا (٤٨) . لذلك احتمى بحصن بارين (٤٩) فى حين اسر امير طرابلس هو وبعض فرسانه (٥٠) . « وغنم العسكر الاسلامى سوادهم واثقالهم وكراعهم (٥١) » . ولم يحمل اللاجئون ميرة معهم الى داخل القلعة بل حملوا فقط أسلحتهم ، وقد ادرك زنكى هذه الحقيقة ولذا عزم على تجديد الحصار لبارين ، وكان واثقا انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) .

« فحصرهم ومنع عنهم كل شىء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته (يقصد زنكى) على جنوده (٥٣) » .

وفى نفس الوقت كان الفرنج الذين فى الحصن واثقين من حصانته ، متيقنين انه لا يمكن لاحد أن ينالهم بسوء وهم به معتصمون (٥٤) . ولكن ذلك لم يمنعهم من الاتفاق على طلب النجدة من القدس والرها وانطاكية وبالفعل سار ثلاثة رسل الى تلك المناطق لطلب نجدة سريعة (٥٥) . ولم تقتصر طلب النجدة على الامارات الصليبية فى بلاد الشام فقط بل تعدتها الى بلاد الروم وبقية البلاد المسيحية (٥٦) .

---

(٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، الباهر ، ص ٦٠ (وهو يذكر أن ذلك كان ٥٣٤هـ) ، النويرى : نهاية الارب ، هـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابو شامة : الروضتين هـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، هـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى تتمة المختصر هـ ٢ ص ٤١، العينى : عقد الجمان ، هـ ١٦م ١ ص ٩٤ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ، ص ٩١ (أ) .

(٥٢) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86 - 87.

(٥٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، هـ ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٠ .

(٥٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 87 - 88.

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج

اما زنكى فقد اشتد فى تضيقه الحصار على من بالقلعة حتى قلت الأقوات والذخائر لدى المحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى اكل خيولهم ودوابهم (٥٨) . واخيرا طلب المحاصرون الامان من زنكى على ان يسلموا اليه الحصن وينجوا بانفسهم الى بلادهم فلم يجبهم الي ذلك (٥٩) . « وأبى الا نأخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زنكى باقتراب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا عن اقتراب الجيوش التى اتت من الامارات الصليبية الثلاث الأخرى لنجدة المحاصرين (٦٢) - وافق زنكى على طلب الأمان « وقرر على المحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا بأخبار اقتراب جيوش النجدة

=

الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٥٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٨) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Cit., V. 2, p. 90

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الأثير : الباهر ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (أ) .

(٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323 ,Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438. ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، ١٦م ١ ص ٩٤ .

منهم وهى الجيوش التى اختلفت المصـــادر الاسلامية فى وصفها (٦٤) . اما المصـــادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرهـــا وانطاكية وبيت المقـــدس (٦٥) . هـــذا الى ان المصـــادر العربيـــة والافرنجية اختلفت من جـــديد فى موقف أولئك المســـيحيين بعـــد أن اطلق سراحهم وبعـــد أن عرفوا بقرب النجـــدة منهم . فبعض المصـــادر الاســـلاميـــة اكتفى بقوله انهم « ندموا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قـــال ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « ســـألتهم عن حالهم فاخبروهم بتسليم الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا، عجزتم عن حفظـــه يوما او يومين . فحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصـــولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منـــذ حصرنا الى الآن . فلما عميت الاخبار عنا ظننـــا انكم قـــد اهملتم امرنـــا وقعدتم عن نصرنـــا فحقنـــا دماءنـــا بتســـليم الحصـــن وافتدينا بـــه ماوراءه (٦٧) » .

اما وليم الصورى فيقول ان الملك ورفاقه عندما اطلق سراحهم توجهوا جنوبا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم أن اميرى انطاكية والرهـــا بالقرب منـــه ، فقابلهم الملك بتـــاثر عظيم وشـــكر شعورهم الأخوى وعنايتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لأجين

---

(٦٤) يذكر ابن الاثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتمـــاع من اجتمع بسببهم) وفى البـــاهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية) ويذكر هـــذا الراى ايضـــا ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، وبعض المصـــادر تـــذكر (تحققوا خـــروج ملك الروم لنصرتهم) مثـــل ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ . اما النويرى : نهايـــة الأرب حـ ٢٥ ورقـــة ٤٧ ، العينى . عقـــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .

(٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٧٤ ، النـــويرى : نهايـــة الأرب ، حـ ٢٥ ورقـــة ٤٧ ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٦٧) ابن الاثير : البـــاهر ، ص ٦١ ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٨ .

(٦٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

فلم يزل فى يده ويد اولاده الى عهـد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى فسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .

والواقـع ان استيلاء زنكى على بارين كان من اهم الأعمـال التى احرزها فى مواجهة الفرنج بالشـام وهو ما عقب عليه بروبيه بقوله « كان الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا اهمية كبيرة ، لأنه أعـاد اراضى زراعية لمـدن حماه وحمص كانت معرضـة على الـدوام لخطر الهجوم الفرنجى (٧٠) » .

وفى نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى ايضـا على المعرة وكفر طاب وكان ذلك « فى مـدة مقامة على بارين (٧٢) » . باجمـاع معظم المصـادر الاسـلامية ، فى حين انفرد ابن ايبك بالقول أن ذلك كان « بعـد فتح بارين (٧٣) » . وقـد دفع زنكى الى أن يخطو تلك الخطوة أن الفرنج الذين بالمعرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المسـلمين لتوسطهما البـلاد الاسلامية (٧٤) » . والواقع أن المصـادر الاسلامية اسهبت فى الكلام عن عدل زنكى الشـديد خاصـة مع أهل المعرة بعـد استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقـد صور عدله هـذا بروايتين الأولى

---

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (ب) .

(٧٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، روض المنـاظر : مخطوط احـداث ٥٣١هـ . فى حين ينفرد ابن الأثيـر : البـاهر ص ٦١ بالقول ان ذلك كان ٥٣٤هـ أما الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٥ فيقول أن ذلك كان ٥٢٩هـ ، بينما يذكر ابن قاضى شهبة : الـدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب السـابع ٥٢٨هـ أن ذلك كان ٥٢٨هـ . ولكن المرجح أن استيلاء زنكى عليهما كان فى ٥٣١هـ .

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمـة المختصـر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب حـ ٣ ص ٨٩ .

(٧٣) ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٤ .

عن ابن الاثيـر (٧٥) ومن اخـذ عنه والثـانية لابن واصـل (٧٦)ومن اخـذ عنه .

وفى ٥٣٢هـ صيف ١١٣٨م ســار اتابك الى حصــن عرقـه وهو من اعمال طرابلس فحاصره وفتحه عنوه ونهب ما فيــه (٧٧) . وفى المحرم ٥٣٣هـ — ٢٧ سبتمبر ١١٣٨م « فتح اتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » . كذلك استعاد الاثارب التى كان الصـليبيون والبيزنطيون قـد استولوا عليهـا ٢١ ابريل ١١٣٨م (٧٩) . وفى ٥٣٤هـ / ١١٣٩م كانت موقعـة الزيتون مع اتابك زنكى التى هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل منهم عشرين الف شخص على تل الثعالب (٨٠) وفى نفس السنة ايضـا قتل زنكى من اهل العريش الف رجل كانوا قـد اتفقوا مـع الفرنج على ان يسلموهم بـلاد المسلمين (٨١) .

وفى ٥٣٦هـ / ١١٤١م اغار عماد الدين زنكى على انطاكية عند جسر الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد الى حلب محملا بالغنائم والسبى (٨٢) . وقيل ان الذى قام بذلك هو نائب زنكى فى حلب سيف الدين اسوار (٨٣) . وفى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وهى السنة التى سبقت فتح الرهـا على يد زنكى

---

(٧٥) ابن الاثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب : حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابن الفـرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (أ) .

(٧٧) ابن الاثير : البـاهر ، ص ٥٧ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٩
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.
Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

(٧٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329.

(٨٠) ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصـدر السـابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٨٣) ابن ايبك : كنـز الـدرر ، حـ ٦ ص ٥٣٧ ، العينى : المصـدر السـابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين (٨٤) » .

تصدع الحلف الفرنجي البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

يبدو من دراســة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين فى عصر الحروب الصليبية أن العلاقة الطيبة التى كانت تسود بينهما احيانا بدافع العــداء للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصــالح المتضــاربة مما ادى فى كثير من المراحل الى اثارة الشقاق والخــلاف بين الجــانبين مما سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شــاهد على ذلك تمكن زنكى من اسقاط امارة الرهــا .

والحقيقة ان موضوع الحلف الفرنجي البيزنطى (٨٥) او كما يسميه البعض البيزنطى الأنطاكى (٨٦) ــ بحكم خطورة العــلاقة بين الدولة البيزنطية وامارة انطاكيــة ــ احتل مكانا مهما بين صفحات المصــادر والمراجع التى تناولت دراســة الثلاثينات والأربعينات من القرن الثــانى عشر للميلاد ، السـادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشىء من التفصيل للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقــع ان طبيعــة الحلف الفرنجي البيزنطى لا يمكن فهمها فهما واضحا الا فى ضوء العلاقات البيزنطية الارمينية من ناحيــة والعــلاقات البيزنطية الانطاكية من ناحية اخرى . وقــد مر بنا كيف كان البيزنطيون ناقمين على الطرفين ، اذ اعتبــروا ان امراء آل روبان الأرمن ســلبوا قيليقية منهم واغتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هــذا الى جــانب انطاكية التىكانت محط اطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فاننا فى علاجنا لسقوط امارة الرهــا نجــد انفسنا مضطرين للوقوف والتســاؤل عن الســبب المبــاشر لتحرك الامبراطور حنــا كومنين Jean Gommène (١١١٨ ــ ١١٤٣م / ٥١٢ ــ ٥٣٨هـ) فى ســنة ٥٣١هـ ١١٣٧م ممــا ادى الــى عقــد حلــف فرنجي بيزنطى فى تلك السنة ؟

---

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٧ .

(٨٥) Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 94.

(٨٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٨٧) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 88.

والواقع ان الاجابة على هذا السؤال تختلف فى المصادر العربية عنها فى المصادر والمراجع الأجنبية . فبينما تشير غالبية المصادر العربية الى ان سبب تحرك الامبراطور الى الشام ٥٣١هـ ١١٣٧م هو استنجاد الصليبيين به بسبب حصار زنكى لبارين وانه فى طريقه اخضع « ابن ليون الارمنى » ثم توجه الى انطاكية (٨٨) . الا ان ابن القلانسى المعاصر لحملة الامبراطور هذه يظهر فى تاريخه ان الامبراطور خرج اولا واستولى على بلاد (ابن ليون) فى الوقت الذى كان زنكى موجودا بالموصل وانه عندما تقدم وحوصرت بارين كان الامبراطور لايزال فى بلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك أن استنجاد الصليبيين بالامبراطور بسبب بارين كان وهو فى أرمينيا وانه لم يعد حملة بسبب بارين بالذات .

اما المصادر والمراجع الأجنبية فتذكر انه حدث فى ١١٣٧م ان انتهى الخلاف بين ريموند دى بواتييه (٩٠) . وليو الارمنى بوساطة جوسلين الثانى بينهما وتعهد الجانبان بالاتحاد معا ضد

(٨٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ؛ ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ . تذكر هذه المصادر : « لما مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين ... فتجهز الروم وساروا الى انطاكية وهى لهم عنئذ فارسوا بها منتظرين المراكب التى فيها الأثقال والسلاح فلما وصلت ساروا الى مدينة نيقية فنازلوها وحاصروها ثم صولحوا على مال يؤدى اليهم . ثم ساروا الى مدينة اذنه والمصيصة وهما لابن ليون الأرمنى فحصرهما ملك الروم وملكهما ... ثم توجه الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة » . واذا كانت كل المصادر تذكر أن خروج ملك الروم كان فى ٥٣١هـ فان العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يذكر أن ذلك كان ٥٣٠هـ .

(٨٩) يذكر ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ بالتواريخ « فى ذى القعدة ٥٣٠هـ وقيل اول المحرم ٥٣١هـ خرج متملك الروم من القسطنطينية . وفى شعبان ٥٣١هـ توجه عماد الدين أتابك من الموصل وقطع الفرات ووصل الى حمص . وفى شوال نزل زنكى على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من أيدى الافرنج . وفى ذى القعدة نزل متملك الروم على أنطاكية وضايقها وجرى بينه وبين صاحبها مصالحة ثم رحل عائدا الى الدروب ، فافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى » .

(٩٠) يسمى ميخائيل السريانى ريموند دى بواتييه (Bedawi)
Michel : Op. Cit., p. 245.
أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن المظيمى) فيسميه بيمند بن بيدنس الافرنجى) .

البيزنطيين (٩١) . وجـاء هـذا التحـالف الجـديد مهـددا لمصـالح الامبراطور حنا كومنين الذى كان يرغب حينئذ فى اثبات حقوقه فى كل من انطاكيـة وقيليقية (٩٢) لذا غزا الامبراطور حنا قيليقية « وكان ممتلئا بالغضب ضـد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصـة وطرسوس واذنه بل واخـذ ليو نفسـه اسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض اولاده (٩٤) .

ومعنى هـذا ان الامبراطور كان قـد رتب بالفعل لحملته التى قـام بها ضـد قيليقية وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا عن للامبراطور أثناء توجهـه الى الشـام كما ذكر برييه « ان الأمبراطور اثناء عبوره قيليقية بجيشـه الكبير استولى على طرسوس ثم ظهر امام انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقية ثم الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا عن رغبته فى الاستيلاء على قيليقية بعـد ان علم بالفقرة الأخيرة من الصـلح بين الأمير ليو وريموند الشـاتى ثم لرغبته ايضـا فى القصـاص من انطاكية التى شقت عصـا الطاعة منذ فترة وجيزة بسبب الصـلح الأخير ، أما موضوع پارين فقـد استجد بعـد خروجـه بالفعل .

وفى بداية ذى القعدة ٥٣١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين امام انطاكية . هنا تكتفى المصـادر العربيـة بالقول بـأن الامبراطور وامير

---

(٩١) Jacques de'Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen : Op. Cit., p .358 عن (Orderic).

(٩٢) Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٩٣) Michel : Op. Cit., p. 245.

(٩٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Michel : Op. Cit., p. 245. Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 336, Archer. : Op. Cit., p.p. 191 -192.

وربما هـذا ما اشـار اليه ابن العديم بقوله « لمـا فتح ملك الروم بلاد لاون بن روبال دخل اليه لاون متطارحـا فقال : أنت بين الفرنج والأتراك لا يصـلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ، جـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٩٥) Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

انطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) » ليستكمل فتحها . والواقع أن تلك الكلمات الموجزة فى المصادر العربية هى نفسها التى تشير الى الحلف الفرنجى البيزنطى الذى نقصده ، والذى تناولته المصادر والمراجع الأجنبية بالتفصيل . ذلك انه حدث فى اغسطس (٩٧) ١١٣٧م ان ظهر الامبراطور حنا كومنين أمام انطاكية وحاصرها وطالب باخذها (٩٨) وعندئذ أسرع امير انطاكية بارسال بعض المبعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشيره فى الموقف . وقد رد الملك بأنه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة فى انطاكية (٩٩) . عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطى والانطاكى وهى المفاوضات التى يذكر (برييه) أن اهالى انطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) . لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيته للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق

---

(٩٦) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ عن (العظيمى) .

(٩٧) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٩٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., p. 245.
Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p 439.
Zoé : Op. Cit., p. 327.

(٩٩) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95-96 (Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.

(١٠٠) Bréhier : Op. Cit., p. 101.

(١٠١) حاشية عن Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. (Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky : Op. Cite., p. 336.
عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97.
هنا يذكر برييه وجروسية أن اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان فى معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدهما ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣، الذى يذكر « خرج ريموند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم فى عسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية » . ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال » (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٧ ص ١٠١) .

على « أن يساعد الامبراطور فى الاستيلاء على حلب وشيزر وحمص وحماه وأن يمنح تلك المدن لريموند كاقطاع له يحكمه من قبل الامبراطور وفى مقابل ذلك يستعيد الامبراطور انطاكية (١٠٢) » وقد وعد الامبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٣٨م لاستعادة تلك البلدان المشار اليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف او الاتفاق على النواحى السياسية فقط بل تعداه الى ناحية دينية مهمة وهى أن الامبراطور شرط فيه « أن يصبح بطريرك انطاكية من الآن فصاعدا بيزنطى أرثوذكسى (١٠٤) » وقد انفرد ابن القلانسى بين المصادر العربية بالاشارة الى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع أن ذلك الجانب الدينى من الحلف هو الذى جعل جروسية يعقب عليه بقوله « أن ذلك التنازل — من جانب الصليبيين — لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا أيضا . فلقد كانت كل خطوة فى الغزو البيزنطى لهذا الاقليم تعتبر نصرا للكنيسة البيزنطية على حساب الكنيسة الارمينية (١٠٦) » .

وفى ذى الحجة ٥٣١هـ (١٠٧) — سبتمبر ١١٣٧م (١٠٨) غادر الامبراطور انطاكية واكتفى برفع الراية الامبراطورية عليها (١٠٩) وتوجه الى « بغراس ومنها الى بلاد ابن ليون (١١٠) »

---

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Brhier : L'Eglise, p. 101, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147; Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

(١٠٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣ .

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147.

(١٠٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣ .

(١٠٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٩) Bréhier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٥ .
والغريب أن هذه المصادر تذكر أن ابن ليون صالح الامبراطور بالاموال
=

على أسيابين العودة كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل ان ننتقل الى الكلام عن التنفيذ العملي لنص الحلف الفرنجي البيزنطي نود ان نشير الى ان بعض المصادر العربية المعاصرة للحلف اشارت الى انه كانت هناك مراسلات بين الامبراطور وزنكي بعد اتمام عقد ذلك الحلف ، فقد انفذ الامبراطور رسولا الى زنكي في الثاني والعشرين من ذي الحجة ٥٣١هـ (١١١) ، فرد زنكي على تلك السفارة بسفارة اخرى معها « هدية الى ملك الروم فهود وبزاة وصقور (١١٢) » . فعاد اليه رسوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم اخبره انه يحاصر بلاد لاون (١١٣) » . فماذا كان يقصد الامبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كان يستهدف التمويه على مانصت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطي ، كي يبعد عن الحلفاء شكوك زنكي وبالتالي تهديداته وبذلك تتاح الفرصة لتنفيذ الاتفاق ؛ ربما كان الامر كذلك وربما استهدف الامبراطور من وراء ذلك كسب زنكي الى جانبه حتى اذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة الصليبيين تجاهه ؛ ضم زنكي الى جانبه فيصبح الاخير سندا له لطعن الصليبيين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقارب المصلحة البيزنطية الاسلامية .

ومهما يكن من امر ، فانه بعد ان امضى الامبراطور شهور الشتاء في قيليقية تقدم الى الشام بجيوشه في ربيع ١١٣٨م (١١٤) (٥٣٢هـ) ، فقد اراد ان يمارس حقوقه الخاصة بنفوذه على

=

ودخل في طاعته . ولكن الحقيقة كما ذكرت المصادر الارمينية نفسها كما بينا ان ليو الارمني كان قد اسر وارسل الى القسطنطينية قبل تقدم الامبراطور الى انطاكية وانه ربما توجه الامبراطور الى بلاد الارمن في هذا الوقت لاستكمال فتحها فقط .

(١١١) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج ١٦م ١ ص ٩١ (من المظيمي) .

(١١٣) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة (وقد اشار كاهين الى تلك السفارات بقوله انه في شتاء ١١٣٧م تبودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين) Cahen : Op. Cit., p. 360.

(١١٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

اتباعه (١١٥) » ، لذا أرسـل رسله ومعهم مرسوم امبراطورى الى كل من امير الرهـا وامير انطاكية يدعوهما للمسير للحرب معه (١١٦) ».

وبدأت الخطوة الأولى لتنفيذ الاتفـاق الفرنجى البيزنطى فى فبراير ١١٣٨م — المحرم ٥٣٢هـ عندمـا قبض حاكم انطاكيـة على كل التجـار والمسـافرين من حلب كي لا تتسرب أخبـار الاستعدادات الصـليبية الى زنكي (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحـالفة توجـه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش أضاعت حوالي اسبوعين امام قلعة بزاعـة حتي استولت عليها (١١٨) ، فى الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩) .

---

(١١٥) Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101.
وهنـا يذكر بريبه أنه دعاهم لحصـار شيزر أما فى كتابة الثـانى فيقول أنه دعاهم لحصـار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.)
أما ميخائيل السريانى فيذكر أن الصليبيين أرادوا أن يخدعوا الامبراطور فخرج الى قيليقيـة فذهبوا اليه هنـاك وعملوا اتفاقا جـديدا وعـاد الامبراطور معهم لحصـار حلب .
(Michel : Op. Cit., p. 245.)

(١١٧) ابن القلانسى : الـذيل ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٥ ،
Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois.,.
V. 2, p. 100.

(١١٨)
Michel : Op. Cit., p. 245, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
هنا يضيف كلّ من جروسية وكاهين
ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثانى
(Grousset : Ibid., p. 101. Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٥ : ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصـل : مفـرج الكـروب حـ ١ ص ٧٦ ، النويـرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ص ٩٨ وتفصـل بعض المصـادر ما حـدث لأهل بزاعه عندئذ فتقول : « كان حصن بزاعـة فى يد امرأة فسلموه الى الروم بالأمان بعـد أن توثقوا منهم بالعهود والأيمان فغدروا بهم وأسروا من بزاعة حوالى ستة آلاف مسـلم =

(حوالى مارس ١١٣٨م) والواقـع أن الوقت الذى ضـاع أمام بزاعـة لم يكن فى مصلحة الجيوش المسيحية « فقـد ضـل منهم جماعة اظهروا انهم مستأمنه ، وانفروا من بحلب بالروم فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا اتابك زنكى بذلك فوصـله الخبر وهو على حمص (١٢٠) » وكان ذلك الانـذار لأهل حلب قبل الاغـارة عليهم بيوم واحد (١٢١) مما اتـاح لعماد الـدين زنكى ان يرسـل اليهم فى الحـال « الأمير سـيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسمائة فارس فى اربعة من الأمراء (١٢٢) » . فزود سوار المدينـة بالمؤن والسـلاح ووزع الدفاع منها بين رجاله وبين اهل المدينة أنفسهم (١٢٣) » . ثم تقدم الروم والصليبيون الى حلب « فقاتلهم احـداث البلـد قتالا شـديدا فقتل كثير من الروم وجرح كثير فاقـاموا ثلاثة ايام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجـه الروم الى الأثارب وملكوها بعد أن هرب اهلها منها وطرحوا النـار فى خزائنها (١٢٥) . ثم وضـع الروم

أو بزيدون . وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من اهلها تقدر بحوالى اربعمائة نفس واقام الروم بعـد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى ودخنوا على من دخل المغاير فهلكوا » ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير . الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العديم . زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٥ . ابن واصـل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٧ ـ ٧٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٦ ، روض المنـاظر : مخطوط احـداث ٥٣٢هـ ، العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ . أما التاريـخ المنصـورى فيذكر ص ١٦٦ ـ ١٦٧ (ان ذلك كان ٥٣٣هـ) وهـذا خطأ .

(١٢٠) ابن العديم : المصـدر السـابق حـ ٢ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(١٢١) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ .

(١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(١٢٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٤ (أ) .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ : ذكرا ان ذلك كان (من ٦ شعبان الى ٨ منه) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصـل . مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩٠ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ .

(١٢٥) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ (وكان ذلك فى ٩ شعبان) ، ابن العديم : زبـدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الاثيـر : الكـامل حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصـل : مفـرج الكـروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقـة ٤٨

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 103.

أمـا ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٣٣ فيسـمى الأثـارب (الأتـاود)

اسرى وسبايا بزاعة بالأتارب ، فتوجه اليهم الأمير سوار من حلب وخلصهم وأنزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عندئذ توجه ملك الروم الى معرة النعمان فاستولى عليها كما استولى أيضا على كفر طاب (١٢٧)

اتفق الامبراطور البيزنطي بعدئذ مع الفرنج واجمعوا على التوجه الى شيزر ومنازلتها (١٢٨) . والمعروف ان شيزر حصن منيع على مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير ابو العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني (١٣٠) . وترجع أهمية تلك المدينة الى انها احدى المدن التي وعد الامبراطور بالمساعدة في الاستيلاء عليها في مقابل استعادته لانطاكية (١٣١) ، فضلا عن انها مدينة بيزنطية قديمة ذات موقع عسكري هام (١٣٢) . وكان الفرنج هم الذين اشاروا على الامبراطور بالتوجه الى شيزر بدعوى « انها ليست لاتابك فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) » . ولكن ذلك لم

---

(١٢٦) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ، هـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، روض المناظر ، بمخطوط احداث ٥٣٢هـ . التاريخ المنصوري ص ١٦٧ ، الغزي : نهر الذهب ، هـ ٣ ص ٩٠ ، ابن خلدون : العبر ، هـ ٥ ص ٢٣٣ ، العيني : عقد الجمان ، هـ ١٦م ١ ص ٩٨ — ٩٩

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 103.

(١٢٧) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ (المعرة في الثالث عشر من شعبان وكفر طاب في منتصف شعبان) ، Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢

Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٥ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨١ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السابع ٥٣٢هـ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٩ .

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 104.

(١٣٢) Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ .

يمنع اميرها ابو العساكر سلطان من الاستنجاد بالاتابك عماد الدين زنكى الذى سارع لنجدته (١٣٤) .

وهكذا نزلت الجيوش المتحالفة على شيزر فى شعبان ٥٣٢هـ ابريل ١١٣٨م (١٣٥) . « فى مائة الف راكب ومائة الف راجل ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصى الا الله (١٣٦) » . وفى الحال اسرع زنكى لنجدة امارة شيزر ونزل على نهر العاصى بينها وبين حماه (١٣٧) . ولكنه لم يجازف بالدخول مع المسيحيين فى حرب مباشرة بسبب ضخامة عددهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم (١٣٨) ». اما الجيش المسيحى فقد شدد الهجوم على المسلمين فى حين كان دور الامبراطور البيزنطى بارزا جدا فى تلك المعركة يفوق دور حلفائه الصليبيين . وقد اورد لنا وليم الصورى وصفا كاملا لجهود الامبراطور حينئذ (١٣٩) . ويبدو ان اميرى الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

---

(١٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويرى: نهاية الارب حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين - ميكروفيلم الباب السابع حوادث ٥٤٢هـ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ٢ ص ٥٢ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى: تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ .

(١٣٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، اما سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٦٣ فيذكر ان ذلك كان فى شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 104.

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p .104.

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٣٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ — ٧٩ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب : حـ ١ ص ٥٢ ابو الفدا : حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٦ .

(١٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

واكثر من ذلك نيقلـة اهتمامهمـا بمواصـلة الحرب اثروا على الاخرين بتقللوا من دورهم الايجابى فى الحصـار (١٤٠) .وبهذا كان تفكك جهود الحلفـاء عنـد شيزر من اهم العوامل التي اديت الى نشلهم فى الاستيلاء عليها . اما الاسباب المتباينة التى ادت لرفـع الجيوش المسيحية حصارها عن شيزر (رمضان ٥٣٢هـ — مايو ١١٣٨م) (١٤١) .

اولها الأسلوب الذى اتخذه زنكى فى مواجهة اولئك الحلفاء اذ حاول فى البداية ان يشن عليهم حربا نفسية ويدخل الخوف فى قلوبهم من قوته وقوة اتباعه فقال لهم « انكم قـد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصـحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم أرحت المسـلمين منكم وان ظفرتم . استرحتم واخذتم شيزر وغيرها » والواقع أنه لم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه (١٤٢) . ثم حاول زنكى بعد ذلك ، الايقـاع بالحليفين البيزنطى والفرنجي « فكان زنكى يرسل الى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشـام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشـام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشـام حصنا واحـدا ملك بلادكم جميعها فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رفـع الحصـار عن شيزر ان زنكي عندما كانت الجيوش المتحالفة محـاصرة لبزاعـة ، « ارسـل القاضى كمال الدين ابا الفضـل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

(١٤٠) William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102. Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الاثير : الكـامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، سـبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٦٣ ؛ Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الاثيـر : الكـامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، البـاهر ص ٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ — ٨٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم البـاب السـابع ٥٣٢هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الأثيـر : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، البـاهر ص ٥٦ ، ابو شـامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨٢ النويرى : نهايـة الأرب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقـة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السـابع ٥٣٢هـ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣ Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر (١٤٤) » . ولكن القاضي لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رفاقه فى جامع القصر يوم جمعة وامرهم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين محمداه ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجدتها ـ لأنه اثناء اعدادها « وصل كتاب اتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم (١٤٥) » ـ فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين العوامل التى شجعت على رفع الحصار عن شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق عبر الفرات فى جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) ».

على أن المصادر والمراجع الأجنبية القت مسئولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى انطاكية والرها اللذين تركا العبء الاكبر فى المعركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والعبث (١٤٧) .

« وكان الامبراطور ساخطا عندما وجد مدينة ضعيفة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو أن الامبراطور عندما فقد الأمل فى تحقيق نصر جماعى على شيزر « فكر فى الحصول على نجاح شخصى يسمح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

---

(١٤٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٤٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ـ ٨١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٠٠ .

(١٤٦) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٨ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 101 — 102.

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois.. V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 328, 331, Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(١٤٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110.

لذلك انتهز الامبراطور فرصـــة ارســال امير شيزر اليه متوســلا ان يحفظ مدينته فى مقابل دفــع مبلغ من المــال فوافق الامبراطور على هــذا العرض (١٥٠) . وربما هــذا هو الذى دفــع البعض الى القول « بان امارة شيزر كانت تارة محالفة للفرنج وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فان ثمة عــامل عجل برفــع الامبراطور وبالتــالى حلفائــه الحصــار عن شيزر وهو ما بلغه من اخبــار من مهاجمــة الســلطان مسعود ســلطان قونية لقيليقية واستيلائه على مدينــة أذنه (١٥٢) . لذلك لم يكد امير شيزر يدفــع المبلــغ المتفق عليه للإمبراطور حتى رفــع الحصــار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء فاشلة (١٥٤) . وكان انسحابهم على تلك الصــورة من اهم الانتصــارات التى احرزهــا زنكى فى ذلك الوقت ؛ لذا كافاه السلطان بارســال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحــالف الفرنجى البيزنطى فى ١١٣٨م فى تنفيذ الخطة التى تم الاتفــاق عليها ١١٣٧م . وكــان الكســب الوحيد الذى احرزه الامبراطور من كل تلك الجولــة الطويلة هو ما اخــذه من مــال من أمير شيزر العربى فى مقابل انسحابه عن مدينتــه . وباخفــاق الحلفــاء فى الاستيلاء على المــدن التى سيعوض بها امير انطاكية فى مقابل استرجاع الامبراطور لانطاكيــة ، قرر الامبراطور العودة الى انطاكيــة وفى نيتــه وضــع يده عليها بحكم ســلطته .

---

(١٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit.. p. 362, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 329, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٤
هنا يذكر جروسية أن امير شيزر قــدم للامبراطور بعض الخيول وبعض الملابس الحريرية الموشــاه بالذهب ومنضــدة قيمة وصــليب مرصــع بالياقوت الأحمر : والمنضدة والصــليب سلبا من الامبراطور رومان ديوجين بعد كارثة منزيكرت .

(١٥١) Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٥٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.

(١٥٣) William : Op. Cit,. V. 2, p. 96.

(١٥٤) تاريــخ أبو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريــخ حوادث ٥٣٢هـ ، روض المناظر : مخطوط ، احــداث ٥٣٢هـ : التاريــخ المظفرى : مخطوط رقم ٦٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .

(١٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨٣ .

وفعلا تقدم الامبراطور البيزنطى بعد ذلك الى انطاكية ودخلها وسط مظاهر العظمة واستقبله البطريرك ورجال الدين ، بينما احاط جوسلين الثانى وريموند دى بواتييه بالامبراطور يخدمانه (١٥٦) . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يمارس حقوقه بتشدد وأن يتحاشى اى تصدع متعذر اصلاحه (١٥٧) . وقد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكية « كما لو كان فى قصره الخاص (١٥٨) » . وبعد عدة ايام استدعى امير الرها وأمير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقاء فى امارته وقتا طويلا لكى يوسع امارته وذلك وفقا للاتفاق الذى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسمح لقوات الامبراطور بالبقاء فى المدينة او بمعنى أصح يجب ان تسلم قلعة المدينة للامبراطور كى تكون مركزا للعمليات العسكرية ضد المسلمين بدلا من قيليقية البعيدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يتصوروا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هذا الطلب ولذا فوجئوا به ، ولكن تدخل جوسلين الثانى هو الذى انقذ الموقف ــ كما مر بنا ــ بان طلب من الامبراطور مهلة للتشاور فى الامر ثم ما كان من اتصاله باهالى انطاكية وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد شغب الجماهير وتعرضوا بالأذى حتى لافراد اسرة الامبراطور نفسه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور عاقبة اشتداد تيار

---

(١٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112, Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.

(١٥٧) Cohen : Ibid., p. 362.

(١٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 112.

(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع الملاحق)
William : Op. Cit., V. 2, p. 98,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223, Bréhier : L'Eglise ... p. 102,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٦٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده لدعا الأمراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ؛ ورجاهم تهدئة الجماهير ، وانه قرر الانسحاب فى اليوم التالى (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى أن أميرى الرها وأنطاكية كانا يجهلان ان الامبراطور ادرك جيدا ما يجيس فى صدروهما ، لذا اسرعا بتقديم الاعتذارات للامبراطور عما حدث حتى « أن أمير انطاكية أبدى استعدادة للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المدينة الى أيدى الامبراطور (١٦٢) » .ولكن الراجح أن امير انطاكية لم يقدم ذلك العرض السخى للامبراطور الا لعلمه أن الامبراطور لم يعد يفكر فى ذلك الوقت الا فى الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجماهير ضده ، والواقع ان الامبراطور لم يرغب فى ذلك الوقت فى استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا اخبرهم « بان اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . وبعد أن اعاد علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتية « طلب منه الاحتفاظ بالقلعة وبكل انطاكية وأن يكون تابعا مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى قيليقيه ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد ان وعد حلفاءه السلبيين بالعودة مرة اخرى وبقوة اكبر لتنفيذ الاتفاق الذى عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ومعنى هذا ان التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد الصراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب المرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى فى ٢٨ مارس ١١٣٨م

---

(١٦١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Epopée, p. 158, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(١٦٣) Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 120.

(١٦٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 102.

(١٦٥) Grousset : L'Epopée, p. 158.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذى استنكر فيه وصول الامبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الامارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة انه ربما كان الدافع الأكبر الى اصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الاشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على احلال بطريرك بيزنطى محل اللاتينى وهو ما فرضه الامبراطور فى قيليقية بالاجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفى ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الامبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه فى تلك المرة — وبعد مرور أربع سنوات على خديعة حلفائه الصليبيين له ١١٣٨م — لكى ينفذ شروط التحالف الذى سبق ان تم بينه وبينهم ١١٣٧م ان هناك اسبابا أخرى دفعته الى المجىء تلك المرة ؟ حقيقة ان أمير انطاكية كان قد أرسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زنكى ويرجوه الحضور الى امارته (١٦٩) وفقا للتحالف السابق . لكن الامبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على انطاكية . والدليل على ذلك انه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وانما وصل فجاة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار أمام تل باشر (١٧٠) » . ويبدو ان الامبراطور أراد أن يضمن ولاء جوسلين الثانى له فى اتجاهه الجديد ضد انطاكية لذا طلب من أمير الرها رهائن لضمان ولائه له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة ، فانه أرسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) » ثم تقدم الامبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من انطاكية .

والحقيقة ان الامبراطور كان ينوى تكوين امارة على الحدود لابنه

---

(١٦٨)
William : Op. Cit., V. 2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩)
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit., p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٧٠) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124

(١٧١) William : Ibid., V. 2, p. 124.

مانويل تشمل على الاناضول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفى نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية ابدا بعهودهم (١٧٣) .

ومهما يكن من امر فقد ارسل الامبراطور رسلا الى امير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن المجاورة التى بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع أمير انطاكية فى حرج لأنه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على اساس الاتفاق المعقود بينهما . واخيرا اتفق امير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين فى ذلك على ان ريموند لم يرث الامارة وانما تولاها بعد زواجه ، وليس لزوجته أيضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرأيهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين فى ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لأقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين فى انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن فى امكانه القيام بعمل عسكرى ايجابى لتحقيق هدفه فى ذلك الوقت لان الشتاء كان قد اقبل ببرده القارس (١٧٧) ، فاكتفى البيزنطيون بنهب

---

(١٧٢) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224, (Kinnamos)
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن

(١٧٣) Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224.

(١٧٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، جـ ٦ ص ٦٥

(١٧٥) William : Op. Cit., V. 2. p. 124.

(١٧٦) William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 2, p 126, Archer : Op. Cit., 192

أطراف المدينــة (١٧٨) . ثم انسحبوا الى قيليقية على اســاس العودة فى الربيـــع لتحقيق مطامعهم فى انطاكيـــة (١٧٩) . ذلك أن الامبراطور كان يعلم أن الحقوق البيزنطيـــة فى انطاكية لها سندها التاريخى فضــــلا عن تأكيد الصــــليبيين أنفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات عام ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٣٧م (١٨٠) .

ولكى يخفى الامبراطور غرضـــه الحقيقى تجـــاه انطاكيـــة فى ذلك الوقت ارســـل ســـفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقــدس يعرض عليه رغبته فى التوجه الى القدس لزيارة الأماكن المقدسة (١٨١) ، فضــلا عن وضـــع قواته فى مواجهـــة العدو فى تلك الأجزاء (١٨٢) . وكان أن عقـــد الملك مجلســـا للتشـــاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مـــع بعض رســـله مرحبا بالامبراطور فى حجـــه الى القـــدس بشرط الا يصطحب معـــه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لأن مملكته لا يمكنها أن تقدم المؤن لعدد اكبر من هـــذا والا تعرضت لمجاعـــة (١٨٣) . وقـــد اغضب هـــذا الرد الامبراطور ولكنـــه كظمـــه وحمـــل الرســـل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفى نفس الوقت ازداد تصميما على اعـــلان

---

(١٧٨) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

الدبس : تاريخ سورية . حـ ٦ ص ٦٥

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والمرجع الأخير يذكر سببا آخر لموافقة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الأكبر الكسيوس . عن
(Otto of Freising)

(١٧٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ .

(١٨١) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٣) William : Ibid.. V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102.
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330.
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.
(النص الكامل لرد الملك مع الملاحق)

(١٨٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud · Op. Cit., V 2, p. 87.

الصراع العلنى ضــد الصليبيين بعــد انتهاء الشتاء لولا وفاته فى ٨ أبريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حــاول امير انطاكيــة ان يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكى يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية فى قيليقية ، لكن الامبراطور الجــديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الامبــر الصــليبى الــى الذهــاب للقسطنطينيــة راعــلان ولائــه للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقــة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفى فيها ايضــا الملك فولك ملك بيت المقــدس (١٨٧) .

وكانت خســارة المعســكر المسيحى كبيرة بفقــد هاتين الشخصيتين البارزتين فى تلك الظروف ، مما جعل تلك الســنة تمثل بدايــة النهايــة بالنســبة لامارة الرهــا الصــليبية بوجــه خاص . ذلك أن أميرهــا جوســلين الثــانى كما سبق ان ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من أمراء الامارة الســابقين ؛ ولكن الظروف نفسها خدمتــه وجعلت زنكى يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقيــة الامارات الصــليبية الى ممتلكاته ســواء فى الموصــل او فى حــلب . بــل هادنــه زنكى حتى تتــاح لــه الفرصــة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكــان دخول الرهــا طرفــا فى الحلف الفرنجى البيزنطى فى السنوات الأخيرة من أهم الاسباب التى جعلت زنكى يؤجل تســديد ضربته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تصــدع التحالف الفرنجى البيزنطى — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكى تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرهــا الصليبية وحالفــه التوفيق فى اسقاطها كما سنرى .

---

(١٨٥)
William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)
Charles - Joseph Hefele : Hist. des Concîles, T.V., Part 1, p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان فى ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
أما شلمبرجية فذكر ان الملك فولك توفى فى ١٣ نوفمبر ١١٤٤ والراجح انه أخطأ فى ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصـــراع بين امارتى الرهـــا وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هــذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقـــة بين الامارتين ولكننا هنـــا سنركز على مراحل النزاع والخـــلاف فقط بين الامارتين . لأن ذلك سيترتب عليه تصـــدع الوحـــدة الصليبية نفسها فى شمال بلاد الشـــام فـــاذا اضيف هـــذا الى التصـــدع الســـابق بين تلك الجبهـــة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف اصبح الطريق ممهدا أمام زنكى لتسديد ضربته الكبرى ضـــد امارة الرهـــا .

فقـــد مر بنا كيف بدات جـــذور العداء بين امارتى الرهـــا وانطاكية منذ وصـــول بوهيموند الثـــانى الى انطاكية ١١٢٦م ـــ ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثـــانى ضاعت آمال جوســـلين دى كورتناى فى امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العـــداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م ـــ ٥٢١هـ فى التســـابق لاحراز مكاسب على حســـابه حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قـــد انهوا ذلك الموقف الشـــائك بدفـــع المـــال للفرنج (١٨٨) ، الا أن الصراع استمر بين الأميرين الصـــليبيين على أرض امارة انطاكية واستعان فيـــه جوســـلين بالأتراك ضـــد بوهيموند (١٨٩) وكان أن اغار أمير الرهـــا وحلفاؤه على انطاكيـــة ونهبهـــا (١٩٠) . ولمـــا وصـــل الأمر الى تلك الدرجـــة من الخطورة أسرع الملك بلدوين الثـــانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهدد بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين فابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك فى القضـــاء على هـــذا الشقاق بطريرك انطاكية برنارد دى فالنس الذى أصـــدر قـــرار الحرمـــان ضـــد الامـــارتين كى يعيـــد الأميـــرين الى صوابهما (١٩٣) . كما أمر باغـــلاق الكنـــائس وايقـــاف كل الطقوس

---

١٨٨) ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V.1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصادف عندئذ أن مرض جوسلين مرضا خطيرا جعله يندم على مسلكه السابق ولذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل ان الأمر وصل الى ماهو أبعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما أكده متى الرهاوى بقوله « ان بوهيموند استطاع بسلطته التى لا تقهر أن يخضع لنفوذه أمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بسيادته (١٩٦) » .

وفى فبراير ١١٣٠م منتصف رمضان ٥٢٤هـ توفى بوهيموند الثانى (١٩٧) وحاولت أرملته السيطرة على الحكم — كما مر بنا — وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعى من الحكم . وعندئذ أسرع بلدوين الثانى من جديد ومعه جوسلين دى كورتناى ليوقفا تصرفها هذا واصدر والدها — على كره منها — مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الأميرة كونستانس فيصبح زوجها أميرا على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفى جوسلين الأول وتولى جوسلين الثانى مكانه أن رفض أهالى انطاكية وبطريركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم فى امارتهم (١٩٩) . وفى١١٣٦م — ٥٣٠هـ تزوج ريموند دى بواتيه من الأميرة كونستانس واصبح اميرا لانطاكية (٢٠٠) .

وفى ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والصليبيين امام شيزر نلمح تجدد العداء بين الامارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التى كتبها وليم الصورى حين يقول أن الأمير جوسلين الثانى

---

(١٩٤) Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429.

(١٩٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

(١٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 147.

(١٩٧) Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .

(١٩٨) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255.

(١٩٩) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٢٠٠) Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

حـاول أن يوغر صـدر الامبراطور ضـد الأمير ريموند الثـانى حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الامبراطور (٢٠١) . ولو اننا لا نستبعد أن يكون انفراد وليم الصورى بهذه الراويه راجع الى سوء علاقاتـه بأبناء جوسـلين الثـانى (٢٠٢) . والواقع ان الامارتين الشماليتين كانتا فى غالبيـة الأحيـان متنازعتين ولكن جهود الملك بلـدوين الثـانى شجعت باسـتمرار على توحيـد الامـارتين فى اطـار المصـلحة الصـليبية العـامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والأجبـار كما تعـددت على ذلك الأمثلة من قبل . اما خليفـة بلدوين الثـانى ــ الملك فولك ــ فانـه لم يستطع فى غالبية الأحيـان بسط نفوذه على امـراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحـا فى بعضها . وعندما توفى فولك وتولى ابنـه بلدوين الثـالث العرش تحت وصـاية امـة ميلزاند (٢٠٥) ضـعفت الفرصـة للسيطرة على امارتى الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الامارتين حتـى أن أميـر الرهـا ــ كمـا رأينـا ــ ابتهـج لسـقوط امـارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصالحه هو الآخر .

---

(٢٠١) William : Op. Cit., V. 2, p. 97.

(٢٠٢) Zoé : Op. Cit., p. 295.

(٢٠٣) والحقيقـة أن جهود الملك بلدوين الثانى (مارس ١١١٨م ــ اغسطس ١١٣١م) لم تقتصر فقط على الامارتين الشماليين بل تميز حكمه بانه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعمت : حتى ولو تطلب ذلك الدخول فى معارك مرعبة مع المسـلمين المجاورين والتى وقـع الملك فى احـداها اسيرا فى أبريل ١١٢٣م .

(Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

(٢٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

هنـا يعلـق (هيفـل) علـى حكـم فولـك وميلزانـد بانه « كان بداية انحلال أعقاب الصـليبيين فى الشرق »

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802.

(٢٠٥) Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802

(٢٠٦) William : Op Cit., V. 2, p. 201.

سقوط الرهـا فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م (٢٠٧) – ٥٣٩هـ .

(أ) الظروف المشجعة لزنكى على التقدم الى الرهـا :

كان استيلاء عماد الدين زنكي على الرهـا اهم خطواته فى جهـاده الاسـلامى ضـد الصليبيين والذى استكمله بعده ابنه نور الدين والحقيقة ان الذى شجع زنكى على القيـام بذلك العمل الهـام عـدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرهـا الخارجيـة وبعضها يخص الرهـا فى الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على **الحوافز الخارجيـة** ، نجـد اننا قـد اشرنا اليهـا اثناء تناولنا للحلف الفرنجى البيزنطى وللصراع بين الرهـا وانطاكيـة . فغالبيـة المصـادر والمراجـع الأجنبية تضـع فى المقـام الأول ، ذلك الصراع الشـديد بين أميرى الرهـا وانطاكيـة والذى كان قـد وصـل الى حـد الصـدام العلنى ؛ حتى ان كلا منهما كان يفرح لمـا يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهـذا ايضـا الحافز الثـانى وهو انه بوفـاة الملك فولك ، اصبح نفوذ مملكة القـدس ضئيلا جـدا على أميرى الرهـا وانطاكية وخاصـة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصـاية أمـه ميلزاند (٢٠٩) . ففى ذلك الدور انعـدم وجود الشخصية الصـليبية القويـة التى يمكنهـا جمـع شمل الأمراء الصـليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصـدع الحلف الفرنجى البيزنطى (٢١٠) — كمـا مر بنـا — والذى ازال بذلك عقبة كبيرة من

---

(٢٠٧) ينفرد ابن العبرى : كمصـدر سريـانى والدبس ولوسترانج بالقول ان ذلك كان ١١٤٥م .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit., p. 104, يوسف الدبس : تاريخ سوريـة ، حـ ٦ ص ٦٦

ولكن جميـع المصـادر العربية والافرنجية تؤكد — كما سنرى — أن ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140 - 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174 - 175.

(٢٠٩) Charles - Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit. p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175 182, L'Empire, p. 224.

(٢١٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

طريق زنكي — لامكننا التعرف على مدى طمانينة زنكي من ناحية تلك القوى الخارجية التى لن تتمكن من المسارعة بتقديم العون الضرورى لامارة الرها اذا هاجمها .

اما اذا انتقلنا الى الحوافز الداخلية فاننا نجد ان التركيز على شخصية جوسلين الثانى امير الرها آنذاك وتصرفاته تاتى فى المكان الاول . ذلك ان جوسلين الثانى ولد من لم ارمينية ، وكان يفضل مجتمع الارمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انه كان يشعر بالغربة بين فرسانه الفرنج (٢١٢) . ثم انه لم يشبه والده جوسلين الاول فى شجاعته المطلقة وان احتفظ بقدر محدود منها (٢١٣) ، حيث ان بعض المصادر العربية اشارت اليه بانه « كان صاحب راي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . فى حين قال البعض الاخر عنه انه « هو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم (٢١٥) » .

يضاف الى هذا كله ان جوسلين الثانى كانت تنقصه روح التصميم (٢١٦) وكان يميل الى حياة الراحة والهدوء ولذا تخلى عن الاقامة فى مدينة الرها وفضل عليها تل باشر لكى يكون « بعيدا عن القلق المتسبب عن اعدائه (٢١٧) » . وفى مقره الجديد مارس

---

(٢١١) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Epopée, p. 162.

(٢١٣) Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، النويرى نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤١ .

(٢١٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، تاريخ ابو الهجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢١٦) Zoé : Op. Cit., p. 337.

(٢١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حيـاة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هـذا فضـلا عن انه اقحم نفسـه فى الأمـور الدينيـة وتدخـل فى ترشيحات رجـال الكنيسـة اليعقوبية (٢١٩) . بل انه تحت ستار الحج نهب دير مـار برصوما Mar Bar Çauma المقـدس لدى اليعاقبة (٢٢٠) مما أوجد بينه وبين المساقبة فجوة كبيرة .

اما عن المسـائل المتعلقة بالدفاع عن الامارة ومن الذى كان يتولاه . فالمعروف ان أهلهـا كـانوا يشتغلون بالتجـارة ويجهلون اسـتخدام الاسـلحة (٢٢١) . ولمـا كـان عـدد سـكان الرهـا من الفرنـج بالنسبة للسـكان الأصليين اصغر (٢٢٢) لذا اعتمدت الامارة فى الدفاع من كيانها على المرتزقـة ، وكان هـذا النظام له خطورته ، خصوصـا بالنسبة لامارة الرهـا بالذات (٢٢٣) .

فاذا اضفنا الى ذلك ان امـارة الرهـا كانت اكثر تعرضـا لهجمات

---

(٢١٨) William : Ibid., V.2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Epopée, p. 163, Archer : Op .Cit., p. 202.

(٢١٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176.

(٢٢٠) Grousset : Ibid., p. 176, L'Epopée, p. 300.

(٢٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1 p. 446.
والراجح ان السريان من أهلها هم الذين كانوا زراعا وتجـارا مهرة وغير مغرمين بحمل السـلاح استنادا الى ماجاء فى المصـدر اللاتينى
Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.), T. 2, p.p. 270 - 271.)

(٢٢٢) William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٣)
William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446
فقـد ذكر وليم الصورى أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يتلقون اجورا ونقـا لزمن ونوع الخدمـة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سـنة او اكثر قبل ان يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشتمل حتى على الفرسـان ، ومن الواضح انها كانت باهظة أكثر فى الرهـا عن اى مكان آخر ، لأن النبلاء من السـكان الأرمن والمسيحيين الوطنيين الآخرين ، لم يكونوا قـد أخرجوا بواسطة النبلاء الغربيين حتى انه بدون شك اشتملت المرتزقة فى بعض الأوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وانها تعرضت تحت الحكم الصليبى لها لتدهور الحيـاة الاقتصـادية فيهـا بسبب التخريب والهجـرة التى أصـابت جزءهـا الشـرقى (٢٢٤) ، فاننـا نخرج من هـذا كلـه بحصـيلة عن الأوضـاع التى شجعت زنكى على توجيه ضربته القاتلة ضـدها .

والواقع ان عماد الدين زنكى وجـه جهوده ضـد امارة الرهـا بالذات فى ذلك الدور دون غيرهـا من الامارات الصليبية ، للاسباب المشجعـة السـابقة الذكر فضـلا عن أنها كانت الامارة الصليبية الأقرب الى مركز نشـاطه والى مقر الخلافة فى بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررهـا كان كبيرا على المسلمين اذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقـة وكان حكامها يملكون من قرب ماردين الى الفرات ، عـدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هـذا فضلا عن مدينـة الرهـا ذاتها التى « كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الاسـلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجـد سببان مباشران دفعا زنكى الى مهاجمة امارة الرهـا ، أولهما انه حـدث ٥٣٨هـ/١١٤٣م ان كان السـلطان مسعود قـد استعد لمحاربة زنكى لأنه اعتقد انه هو الذى يحرض أمراء الأطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكى أراد عندئذ أن يشغل السـلطان وليتمكن هو من فتـح البلاد والتمكين لنفسـه (٢٢٧) . لذلك ارسـل زنكى يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسـل بينهما حتى استقر الراى على أن يدفـع زنكى للسـلطان مائة الف دينار دفـع منها زنكى عشرين الف دينار . ولكن عندما طلب السـلطان من زنكى مثوله بين يديه اعتذر باشتغاله بمحاربة

---

(٢٢٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م١ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى أيضـا السن وهى قلعـة بالجزيرة قـرب سميسـط (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصـدر السـابق ص ٦٥ ، الكامل حـ ٩ ص ٦ .

الفرنج « فعذره وشرط عليه فتح الرها (٢٢٨) » .

وثانيهما أن زنكى سمع بقيام تحالف أرتقى رهوى ، أى بين فخر الدين أبو الحارث قرا ارسلان بن داود (٢٢٩) . الأرتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسلين الثانى ؛ تنازل فيه الأول للثانى عن احدى قلاعه بالقرب من كركر ، على أن يساعده الأخير ضد زنكى (٢٣٠) . وقد ارسل جوسلين بالفعل ١١٤٤م نجدة الى قرا ارسلان (٢٣١) . لذا أراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيدا انه لن يستطيع أن ينزل ضربته بالرها مادام جوسلين وأعوانه موجودين بها (٢٣٢) . وانه اذا توجه اليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلة والخداع وبدأ يموه ويخفى غرضه الحقيقى ، فبدأ بمهاجمة قرا ارسلان الأرتقى فى خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كى يوهم فرنج الرها بانه مشغول عن التفكير فى محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

---

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ص ٦٥ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٩٨ .

(٢٢٩) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ ١١٤٤م .

(٢٣٠) Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461.

(٢٣١) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٣٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ ؛ ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، أبو الهجاء : مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) » . عندئذ اطمأن جوسلين الثانى من ناحية زنكى وغادر الرها الى بلاده الشامية او الغربية (٢٣٦) أى الى تل باشر غربى الفرات . وفى الحال بلغت زنكى عن طريق اهل حران تحركات أمير الرها (٢٣٧) . وانه كان مصحوبا بمعظم رجاله والبارزين فى حاميته واكثر محاربيه شجاعة (٢٣٨) . فى حين ترك مدينة الرها بدون حامية ومؤن كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل امراء الرها السابقين (٢٤٠). وعهد جوسلين بالدفاع عن الرها الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه اساقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقة الذين لم يكونوا يتقاضون مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

---

(٢٣٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ . ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ . ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، تاريخ ابو الهجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

(٢٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقد اخطأ ميخائيل السريانى هنا فى قوله (ان أمير الرها كان قد توجه الى انطاكية آنذاك) أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، فيذكر أن الذى اخبر زنكى بتحرك جوسلين الثانى كان (جمال الدين ابو المعالى فضل الله بن ماهان رئيس حران) .

(٢٣٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، (البيت ٦٢٨) Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266..

(٢٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire p. 300.

(٢٤٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177.

(٢٤١) Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p 336, Archer : Op. Cit., p. 202, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit., p. 202.

ب ــ حصار زنكى للرها واستيلائه عليها :

كاتب زنكى طوائف التركمان ليساعدوه ويؤدوا معه فريضة الجهاد واخبرهم انه لن يتبل أى عذر ، فوصل اليه عدد كبير منهم (٢٤٣) . ثم ارسل زنكى بعض قواته بسرعه الى الرها بقيادة الأمير صلاح الدين الياغيسيانى كى ياغلتوا المدينة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيسياني ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . فى الوقت الذى كان عماد الدين زنكى قد وصل الى الرها فعلا وبدأ حصاره لها فى ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكى أول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجأ هؤلاء الى داخل المدينة واحتموا باسوارها الحصينة ، وعندئذ شدد زنكى الحصار عليهم ، وسد فى وجه المحاصرين كل سبيل للخروج او الدخول للمدينة للحصول على أى مؤن (٢٤٧) . ووصلت قسوة تشديد الحصار الى درجة « أن الطائر لا يكاد يقرب منها ــ من الرها ــ خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندما طلب زنكى من أهالى الرها التسليم كى

---

(٢٤٣) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩
Nersès : Op. Cit., p. 246. (الأبيات ٦٣٠ : ٦٣٤)
ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩
Gibb : Op. Cit., p. 266
هنا يضيف (ميشو) بنطرفه الواضح فى كتابته أن تلك الأعداد الكبيره سارعت للانضمام الى زنكى طمعا فى غنيمة ثرية
(Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 102)

(٢٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879.

(٢٤٥) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268
Grousser : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.
Bréhier : L'Eglise, p. 103.

(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 141,
Nersès : Op. Cit., p. 246 (البيت ٦٣٦)
ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩

(٢٤٨) ابن القلانسى : المصدر السابق والصفحة
Gibb : Op Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لأنــه لا يوجــد لهم اى منفذ للنجــاة - رفضوا (٢٤٩) ، لأنهم كانوا يأملون فى وصــول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن مــاذا كــان موقف جوســلين نفســه ؟ الواقــع ان كــل ما فعله جوســلين فى ذلك الوقت كــان محــاولة جمــع قواته بسرعــة الى جــانب استجاده بانطاكيــة والقــدس (٢٥١) . وهنــا يعقب وليم الصــورى على موقف جوســلين بأنــه تحرك بعــد فوات الأوان « فبــدا كأنــه يُعــد الطقوس الجنائزيــة للموتى ، لهؤلاء الذين اهمل مســاعدتهم أثناء المرض والتوســل (٢٥٢) » . ومعنى ذلك ان جوسلين لم يتنبه للخطر الذى هــدد امارتــه الا متاخرا ، بعــد ان ترك الجزء الشرقى للامارة ونعم بالراحــة فى جزئها الغربى . والواقــع ان جوسلين لم يخف الى الرهــا بسرعــة عندما علم بالهجوم عليها ، وانمــا اكتفى بالبقــاء فى تل باشر كى يستطيع منها أن يقطع اى تعزيزات تصــل الى زنكى من حلب . ويبدو أن ثقته فى تحصينات الرهــا كانت كبيرة (٢٥٣). ولكن الأسوار والأبراج لم تفد الا قليلا لعــدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤). حقيقة ان أهــالى الرهــا ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها فى تلك الأزمة ، وذلك بقدر مــا اسعفتهم طاقاتهم ؛ فاستبسلوا رجــالا ونســاء « سواء الأعيان المحترمون أو السوقة الذليلون (٢٥٥) » . هــذا الى جــانب الدور الكبير الذى قام به رجــال الدين عندئذ والذى سنتناوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيســة ورجــال الدين فى الفصــل الأخيــر .

---

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٥٠) Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen : p. 370.

(٢٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

(٢٥٢) William : Op. Cit., V .2, p. 142.

(٢٥٣) Runciman :Op.Cit.,V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٥) Nersès : Op. Cit., p 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880, Zoé: Op. Cit., p. 336.

اما عن موقف زنكى عندما راى صمود اهل الرهـا ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) ، فانه امر بتشـديد الحصـار بدرجـة اكبر على المدينـة . وعندئذ ظهرت براعـة رجاله الخراسـانيين والحلبين فبذلوا جهـدا كبيرا فى حفر الخنادق تحت سور المدينـة ووضعوا فيها العوارض الخشبية كى يشـعلوا فيها النيران فيسهل انهيـار السـور (٢٥٧) . ومرة اخرى طلب زنكى من المحـاصرين أن يستسلموا بعـد ان غـدت المدينـة على وشـك السقوط ولكنهم اصـروا على الرفض ، مؤملين وصول النجـدة اليهم ، بل انهم استهزأوا به وتحدوه (٢٥٨) . لذا أمر زنكى باشعال النـار فى الخشب الموجود فى الانفـاق تحت السـور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

---

(٢٥٦)

Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ،

Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)

Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184

ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٨ - ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤

Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,

Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول

حين انبعثت نيران سـاروم
من اعماق الأرض
ولم تمطر من السـماء
بل من أجواف الخنـادق
واذا بالسـور المحصن
ينهـار ويتـداعى
ويـدك من اسسـه
لقـد فتح الأعـداء فيه ثغرة

وقـد سـارع أهالى الرهـا الى ذلك الصـدع الذى فتح فى السـور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامى الا أن اعتلى الاسوار التى خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالى حماية انفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجـأوا الى قلعة المدينـة وجـدوا ابوابها مغلقة فمات الكثيرون مخنوقين من شـدة الزحام وكان من بينهم الأسقف اللاتينى نفسـه (٢٦١) . وسنرجىء الكلام عما أصـاب اهالى الرهـا عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع فى الباب الاخير .

واخيرا سقطت الرهـا فى يد زنكى وقواته فى يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . السـادس والعشرين من جمادى الاخره ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعـد حصـار دام ثمانيـة وعشرين يوما (٢٦٤) . اما القلعة فقـد

---

(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢٦١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269. William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p.370.

(٢٦٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Tournebize : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op. Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، الأصفهانى : تاريخ دولـة آل سـلجوق ، ص ١٨٦ . امـا كل من ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ١١٢ - الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (أ) ، أبو الفضـايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٩ فيذكروا ان ذلك كان فى الخامس والعشرين من جمادى الاخره . وأما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ فيذكران أن ذلك كان فى ١٦ جمادى الآخرة . والراجح أن ذلك كان فى ٢٦ جمـادى الآخـرة .

(٢٦٤) ابن واصـل : مفرج الكـروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٧٠ ، الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حـدث كل هذا دون ان يتقدم جيش صـليبى واحـد لنجدة الرهـا . فانطاكية كما بينا من قبل لم تقـدم اية معونـة ولم يرسـل اميرهـا اية نجـدة بل انه سر لمـا اصـاب الرهـا (٢٦٦) اما بيت المقـدس فرغم ارسـال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرهـا الا انها وصلت متاخرة جـدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبرى أن سـقوط الرهـا كـان مرجعـه الآثام التى ارتكبها اهـالى الرهـا (٢٦٨) . والتى يرجعهـا نيرسيس الى اختلاطهم بالفرنج (٢٦٩) . اى بالصـليبيين الغربيين . واما البعض الآخر فيذكر ان السر فى سـقوط الرهـا يرجـع الى تغيبه

---

(٢٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104 Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401, Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلعة مانياكس (Maniacès)
وان الذى سـاعد على سقوطها هو نقص المـاء بداخلها . .
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

(٢٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud :Op. Cit. V. 2, p. 104.

(٢٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس الى ذلك بقوله :
لكن لم يصـل احـد
ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصـليب
فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسـوا .
عن مديد المعونة الينـا
(الابيات من ٨٠٧ الى ٨١٢) Nersès : Op. Cit., p. 252.

(٢٦٨) Nersès : Ibid , p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(٢٦٩) (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢) Nersès : Op. Cit., p. 245
منذ تلك الساعة التى بدات فيها
اصـاهر اهل روما واقترب اليهم

حماتها عنها (٢٧٠) . والحقيقة ان المجهودات الكبيرة من جـانب زنكى وقواته الى جـانب ظروف الامـارة الداخلية والخارجية آنذاك تضافرت لتمكين الجيوش الاسلامية من النصر .

كانت المدينة قـد تعرضت للسلب والنهب من جـانب قوات زنكى فلما دخلها اعجبته ورأى ان تخريب مثلها لا يجوز « فنودى فى العسـاكر برد ما اخـذوه من الرجال والنسـاء والأطفال الى بيوتهم واعـادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقـد منـه شىء الا الشـاذ النادر الذى اخـذ وفارق من اخـذه المعسـكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هدوئهـا مرة اخرى ، فترك زنكى بهـا بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كـان أن توجـه زنكى بعـد ذلك الى سروج فاستولى عليها فى يناير ١١٤٥م بعـد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسـلين شرقى الفـرات سـوى البيـرة التى توجـه اليهـا زنكى وحاصرهـا (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجـزء الشرقى من امارة الرهـا .

---

(٢٧٠) Michel : Op. Cit., p. 266.
(ذكر ذلك احـد رجـال الدين بالرهـا وهو (Mar Jean :
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن واصـل ، مفـرج الكـروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السـابع ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : حـ ٩ ص ٩ ، البـاهر ص ٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسى : الـذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العـديم : زبـدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ ، Gibb : Op. Cit., p . 268, Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثيـر : الكـامل ، حـ ٩ ص ٩ ، البـاهر ص ٧٠ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، روض المنـاظر ، مخطوط احـداث ٥٣٩هـ. Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شـديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قـد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جـانب وضـع حاميات هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصمد له مـدة طويلـة (٢٧٧) . ولكن عندمـا نفـذت المؤن والذخـائر وكـادت المدينـة تسقط فى يد زنكى وقواته جاءته الأخبـار من الموصـل بمقتل نائبه نصير الدين جقر فيها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعـة الى الموصـل « خوفـا من أن يحـدث بعـده فى البلاد فتق يحتـاج الى المسير اليها (٢٧٩) . » ولمـا غادر عماد الدين زنكى البيرة خـاف الفرنج الموجودون بهـا من عودته اليهم فراسـلوا حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) » .

---

(٢٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩، البـاهر ص ٧٠ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ ابو الهجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .
Gibb : Op. Cit., p. 268.

(٢٧٦) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٩ ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٩٤ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ١٦م ١ ص ١٤٢ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.
عن (Rey : Colonies franques).

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠، ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل فى ٨ ذى القعـدة ٥٣٩هـ/٢ مايو ١١٤٥م)
Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,
وهنا يذكر ميخائيل ان زنكى اصطلح مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثيـر : البـاهر ص ٧٠ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٦ ، ابو الفـدا : المختصر : حـ ٣ ص ١٧ . بن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دعمت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرها وارتقة ماردين ، لتشابه مصالح الطرفين فى مواجهة اهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثانى من بقايا امارته سوى تل باشر وسميساط ومرعش ودلوك وعينتاب وقورس وعزاز والراوندان (٢٨٢) . ومن الواضح انه بسقوط الرها سقطت أول لبنة فى البناء الصليبى بالشرق واذا كانت امارة الرها اول امارة اسسها الصليبيون فى الشرق ، فان الظروف شاءت أن تكون أول اماره صليبية تنهار أمام ضربات المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرها ١١٤٤م :

١ ــ رد الفعل من جانب المسلمين :

كان فتح الرها من اهم الأعمال التى جلبت السرور الى نفوس المسلمين . فقد حمل اليهم أملا جديدا (٢٨٤) . فى اسقاط بقية الصرح الصليبى فى الشرق . وازال عنهم كربا شديدا (٢٨٥) . وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بانه « طار فى الآفاق ذكره وطاب بها نشره (٢٨٦) . كذلك عبر الشاعر الأرمنى (نيرسيس شنورهالى) (٢٨٧) . فى قصيدته عن رثاء الرها عن

---

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٩ ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير انه مما قلل من اهمية تلك المخالفات أنها كنت شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ٢ ص ٦٠٨ Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

(٢٨٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p.p. 208 - 209.

(٢٨٤) Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٩ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٨٧) Nersès : Op. Cit., p. 264.

فقد ذكر أن الائمة المسلمين صعدوا الى المآذن هاتفين :

« يا رسول الله محمد

لقد استرددنا ما كنا قد فقدناه :

ديارك ودارك

=

فرحــة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم فى اجزاء كثيرة من تلك القصــيدة .

ومن ناحيــة اخرى فقــد رفــع ذلك الفتــح من مكانتــه زنكى لدى المسلمين ، فمجـده الشعراء وخلع عليه الخليفة العباس المقتفى لأمر الله العباس ، وزاد فى القابــه ، زين الاســلام الملك المنصــور ، نصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اتاح سقوط امــارة الرهــا الصليبية تامين طريق المواصلات الاسلاميه بين الموصــل وحلب ورفــع الحاجز الصــليبى الذى كان قائما بين اتراك ايران واتراك الاناضول (٢٨٩) .

٢ ــ رد الفعل من جــانب بقية الامارات الصــليبية فى الشرق :

حمل استيلاء المســلمين على الرهــا الحزن الشــديد والكآبة بين

= من تلك الأمة الضــالة .
العابدة لحجــارة صماء .
لقــد روينا الأرض من دمائهم
وفقا لتعليمات قرآنك
اليك نزف البشرى
يامكة العظيمة ، موطن محمد
ياقبلة الأمانى بكعبتها السوداء .
والقدم المرسومة على صفحتها
اننا سنرد اليوم اليك
جميع اولئك المشارقة
عباد الصــليب الضــالين
وخدام يســوع المســيح » .

هــذا الى جــانب خطــاب زنكى نفســه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغــداد والذى سياتى فى الملاحق .(Nersès : Ibid., p. 267)

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريــخ الــدول والملوك ، حـ ٤ ص ٦٠ (ب) ، Cahen · Op Cit., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud · Op. Cit , V 2, p.p. 110 - 113 - 114.

(٢٨٩) Cahen Op Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238.

الصـــليبيين جميعا فى الشرق (٢٩٠) ؛ اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصـليبية ، التى لم تستطع أن تقـدم اية مســاعدة ايجابية للرهـا وقت محنتها (٢٩١) . حتى جيش القـدس الذى كان قـد ارسـل نجـدة للرهـا ، والذى انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامـارات ، لم يستطع الوصـول الى الرهـا . ففى رمضـان ٥٣٩هـ مارس ١١٤٥م علم زنكى باجتماع هـذا الجيش فى تل عدى Tell'Ada شمال انطاكية ـ فارسل اليهم جيشـا كبيرا من التركمـان أعمل فيهم الأسر والقتل وشتت جموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

وعندما لم تجـد تلك الوسيلة لانقاذ امـارة الرهـا بدات أنظـار صليبى الشرق تتجه الى الغرب المسيحى من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ ـ رد الفعل من جـانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرهـا على بقية الامارات الصليبية فى الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المسـيحية الشرقية خاصـة الأرمن الذين اعتبروا الاستيلاء على الرهـا ضياعا لجـزء هـام من كيـانهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قـدوم الصـليبيين ، فضـلا عن انهـا كـانت مقـرا لجوسـلين الثـانى وهو صديق حقيقى لهم (٢٩٤) .

وقـد ظهر ذلك الحزن فى عـدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

---

(٢٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٩١) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69.

(٢٩٢) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269,
ابن القـلانسى : الـذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشى : نور الـدين والصـليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبى : تاريخ الاسـلام) وهنـا يشـير ميخـائيل السـريانى أن سبب تفرق الجيوش الصـليبية هو خوفهم من المجاعة بعـد قطـع المسـلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر أن الانطاكيين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكى التركمانية ؛ وربما دفعـه الى ذلك الخطأ أن مكان التجمع كان فى منطقة قرب انطاكية
(Cahen : Op. Cit., p.p. 370 — 371).

(٢٩٣) Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: l'Eglise, p. 104.

(٢٩٤) Iorga : L'Arménie, p. 96.

التى توجهت الى روما فى نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجـدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت فى نفس الوقت صـلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) . كان يصـاحب تلك البعثة (هيو) أسقف جبلة ، احـد أسـاقفة امـارة انطاكية البارزين ، والذى توجـه الى الغرب وأثار فكرة حرب صـليبية جـديدة (٢٩٦) . ومن هـذا يبدو أنه اذا كان أمير انطاكيـة لم يسرع لنجـدة الرهـا ، فان هـذا لم يمنع رجـال الدين فى امارته من القيـام بدور ايجابى تجاه الرهـا .

ومن بين تلك المظاهر ايضـا المراثى الشعرية والنثريـة التى كتبها بعض رجـال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسـقوط الرهـا والتى من اهمها قصيدة الرثاء التى كتبها نيرسيس شنورهالى (٢٩٧) . هـذا الى جـانب المقالتين التى رثى بهمـا الرهـا (ديونيسيوس) — الذى كان لايزال شمـاسـا فى ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التى كتبها باسيليوس Basilius مطران الرها اليعقوبى (٢٩٨) .

وقـد يتضح موقف الأرمن اكثر تجاه تلك الحركـة التى قام بها زنكى اذا عرفنا أن بعض المصـادر المعاصرة ذكرت أن جماعة من الأرمن بالرها

---

(٢٩٥) Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٦) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : L'Eglise, p. 104, يؤكـد هـذا ما ذكـره اسـحاق عبيـد : رومـا وبيزنطـة من ١٨٢ عن (Otto of Freising « ان اسقف جبله وصل الى روما وعيناه قـد اغرورقت بالدموع يحـذر سـامعيه من الخطر المحـدق بالكنيسـة فيما وراء البحـار نتيجة لسقوط الرهـا ، ومبديا رغبتـه فى عبور جبال الالب ليستعطف ملكى الألمـان والفرنسيين لاستنقاذها » .

(٢٩٧) Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

ففى الأبيات ٤٨٥ — ٤٨٨ ، ٥٢٣ — ٥٢٥ يقول

كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتـلى مركبتـه
او ملكة رائعة الجمال
ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ماأسبغ على من نعمة
زال واندثر

(٢٩٨) Michel : Op. Cit , p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. - p. 270

انتهزوا فرصـــة قلة الحامية الزنكية بالمدينـــة وارادوا الأيقاع بهـــا . لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فانى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب والطرد (٢٩٩) .

٤ – رد الفعل من جـــانب البابوية والغرب المسيحى :

اثـــار استنجاد مسيحى الشرق بالبابويـــة ١١٤٥م فكرة الشروع فى اعـــداد حملـــة صـــليبية ثانيـــة تتوجـــه لانقـــاذ الأراضى المقدســـة فى الشرق (٣٠٠) . وقـــد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنســـا لويس الســـابع ، الذى أعلن فى يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبتـــه فى انقـــاذ الامارات المسيحية فى الشرق وبعـــد ان اصبحت فى حـــال يرثى له بعـــد سقوط الرهـــا (٣٠١) . وارســـل الملك بالفعل بعثة الى البابا ايوجين الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقت الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء الى فرنســـا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسى وشعبه على تنفيذ ذلك ، واعـــدا اياهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفى نفس الوقت عين البابا مندوبا عنه فى تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard (٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على ان الأجل لم يمهل زنكى حتى يستكمل فتح بقيـــة امارة الرهـــا ،

---

(٢٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٦٠ (ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصـــدر والمرجع الأخيرين اتصـــال جوســـلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114, Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit., p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804. Augustin Fliche : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنـــا يذكر (هيفل) ان رغبـــة ملك فرنســـا هـــذه نبعت من رغبتـــه فى اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتى كانت قـــد ساءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804. من (Labbe : Concilia)

فلم يمر سوى سنة وتسعة اشهر تقريبا على سقوط الرهــا حتى قتل فى اوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصــف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك اثناء حصـــاره لقلعه جعبر التى كانت بيد مالك بن ســالم بن مالك بن بدر العقيلى (٣٠٤) . وكان زنكى قــد أرســل فى ذلك الوقت ايضــا جيشــا للاستيلاء على قلعة فنك من صــاحبها الامير حسام الدين الكردى البشنوى (٣٠٥) . ويبدو أن زنكى كان لا يود ترك ايــة قلعة وســط بلاده فى يد قوة لا يطمئن اليها ، مبالغة منه فى الحزم والاحتياط (٣٠٦) . لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

---

(٣٠٣) Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.
يذكر أن ذلك كــان فى ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . امـــا جروسية ورنسيمان فيذكران أن ذلك كــان فى ١٤ سبتمبر .
Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.
اما المصادر العربية فبعضها يذكر انه توفى فى الخامس من ربيع الآخر ٥٤١هـ واهمها ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ والبعض الآخر يذكر أن ذلك كان فى ســادس ربيع الآخر واهمها ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، ابن العــديم : زبــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ . فى حين انفرد سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ . بالقول أن ذلك كان فى يوم الثلاثاء ســابع عشر ربيع الآخر . والراجح أن هــذا الراى الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، ابو الفــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الانســاب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٠٥) ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، ابو الفــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن عمر وهو للاكراد البشنوية وكــان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الأثير : الباهر ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الأثير : البــاهر ، ص ٧٣ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٧ .

(٣٠٧) ابن الأثير : البــاهر ، ص ٧٤ ، ابن العــديم : زبــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، ســبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ ، ابو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقــد ذكر ابن العــديم أن سبب قتله انه هــدد احد خدمه المسمى (يرنقش) فى النهار فلما كان الليل قتله وذكر ايضــا أن زنكى بعــد أن نام تنبه فراى يرنقش يشرب هو وجماعة من غلمانــه فضــل شرابه فتوعدهم فأجمعوا على قتله . اما ابو شــامة وسبط بن الجوزى فيذكران أن سبب ذلك أنه كان اذا نقم من كبير ارداه واقصــاه واستبقى ولده وخصـــاه . ولذا فيعد أن خصى جماعة من الغلمان ذبحوه وهو نائم .

خسر الاسلام بمقتله شخصية من اهم الشخصيات التى تزعمت حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى الشرق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد ، حتى قيل ان المسلمين قتلوا جميعا بقتله (٣٠٨) . وبهذا احدثت وفاته فرحة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعد وفاة زنكى انقسمت ممتلكاته الى قسمين . الشرقى ومقره الموصل تولى الحكم فيه ابنه الأكبر سيف الدين غازى بمساعدة جمال الدين محمد الأصفهانى ، والقسم الغربى ومقره حلب وقد آل الى نور الدين محمود بمساعدة صلاح الدين الياغيسيانى (٣١٠) . وتمكن أبناء زنكى من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضد الفرنج بعد ابيه ، بل صار اكثر منه شدة فى التصدى لهم ، مما جعل فرحة الفرنج بوفاة زنكى لاتدوم طويلا .

ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

لم تكد اخبار وفاة زنكى تصل الى الفرنج حتى تجدد لديهم الأمل فى استعادة الرها من المسلمين . كان جوسلين الثانى لايزال مقيما فى تل باشر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرها ليسترجعها بعد ان تأكد من معاضدة مسيحى الرها — خاصة الأرمن — له فى تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصادر العربية قد اكدت ان جوسلين هو الذى راسل اهل الرها واخذ موافقتهم

---

(٣٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ — ١٤ ، الباهر ص ٨٤ — ٨٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٨٥ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف ابو شامة ان زنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له ايضا ولدين وبنتان والولدين هما قطب الدين مودود وهو ابو الملوك بالموصل ونصرة الدين امير اميران .

(٣١١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١٠ ؛ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

على مســـاعدته فى القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصـــورى ذكر أن أهـــالى الرهـــا كان لهم التأثير الكبير فى دفعه الى ذلك . ذلك انه أوضـــح أن زنكى كـــان قـــد ترك بالرهـــا حاميـــة قليلـــة العـــدد ، وكان الســـكان الموجودون بالمدينة آنذاك شـــديدى الأخلاص للمسيحيه . لذا ارســـلوا سرا الى جوســـلين الثـــانى وأخبروه انه باستثناء الاتراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الأهـــالى ، والحوا عليه بشـــدة أن يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الاهالى فى الحـــال (٣١٢) .

والراجح أن رغبة جوســـلين الثـــانى الجامحة فى استعادة امارتـــه تضـــافرت مـــع التقرير المشجع الذى وصـــله عن الرهـــا وطبيعة الدفاع منها فى ذلك الوقت .

وكـــان أن تقـــدم جوســـلين الى الرهـــا مصحوبا بما تبقى لـــه من فرســـان فضـــلا عن بعض المشـــاة ، كما رافقـــه بلدوين امير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرهـــا فى ٢٧ أكتوبر ١١٤٦م — جمادى الآخره ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجاة اثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تســـلق المشـــاة لأسوارها بمســـاعدة ســـكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من ابراج المدينـــة ، ولم يلبث أن فتـــح هؤلاء المتسللون الأبواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلدوين (٣١٦)

---

٣١٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

٣١٣) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois. p. 200, من (Michel), p. 884 عن (L'Anonyme)

٣١٤) Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p.884 (L'Anonyme) عن ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٢٨
وهنـــا اخطـــأ كل من الكـــاهن جريجوار وابن العبرى فى القول بـــأن تلك الحركة كانت ١١٤٧م
(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273.)

٣١٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160.

٣١٦) Michel :Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينة أعمل جوسلين ومن معه السيف فى المدينة بتهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسلمين وهرب الباقون (٣١٨) ، الى القلعة واحتموا بها (٣١٩) .

عندئذ ارسل الأتراك الموجودون بالرها رسلا الى حلب والموصل (٣٢٠) كما ارسل جوسلين رسلا تخبر المسيحيين فى كل مكان بعودته الى الرها ونطلب فى نفس الوقت التعزيزات . فكان لتلك الأخبار اثرها الكبير السار بين المسيحيين . وكان سرورهم فى تلك المرة لايقل عن حزنهم العميق الذى احسوا به عند فقد الرها ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شاء حسن حظ المسلمين ان اهالى الرها كانوا لا يملكون الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالأضافة الى أن جوسلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم اى مهندسين ولا آلات للحصار (٣٢٣) ، ثم انهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب فى أرجاء المدينة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية فى الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ، التى كانت محصنة بعناية ومجهزة تجهيزا جيدا بالمؤن والأسلحة والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجح كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو أن بقية الامارات الصليبية سارعت ودعمت فرحتها وقتذاك بتقديم المساعدة الجدية للرها . لكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يصل للرها أية

---

(٣١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ؛ العينى : عقد الجمان ، جـ ١٦م ١ ص ١٦٠ .

(٣١٩) Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(٣٢٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣٢٢) Zoé Op. Cit., p. 339.

(٣٢٣) William : Op Cit., V. 2, p .158, Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 111.

(٣٢٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

تعزيزات (٣٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرة جوسلين على المدينة الا أن « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٣٢٧) » .

وبمجرد معرفة نور الدين محمود بن زنكى أمير حلب بتلك الأخبار ، تقدم مسرعا الى الرها لاستعادتها (٣٢٨) . على رأس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٣٢٩) . جدوا فى السير حتى « وقعت الدواب فى الطرقات من شدة السير (٣٣٠) » . وعندما وصلت القوات النورية الى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ أصبح جوسلين والحفنة القليلة من رجاله الفرنج الى جانب أهالى الرها محصورين بين نارين (٣٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والأتراك الذين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف فى الخارج ورعب فى الداخل (٣٣٢) . فماذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

الحقيقة أن غالبية المصادر العربية تشير الى أنه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين عائدا الى بلاده (٣٣٣) » . أى أنه لم يحدث صدام بين الجانبين . الا ابن القلانسى وهو المصدر

---

(٣٢٦) Michel : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، يسبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، أبو شامة : الروضتين ، فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

(٣٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273

(٣٣٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ١٢٥ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٦ م ١ ص ١٦٠ .

(٣٣١) William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

(٣٣٢) William : Op. Cit. V. 2, p. 159.

(٣٣٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ، ص ٨٦ ،

العربى المعاصر فيذكر انه عندما قدم نور الدين وشدد حصاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى احد ابراج المدينة « ومعه عشرين الف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسلين مع أصحابه (٣٣٤) . هذا فى حين ذكر وليم الصورى ان المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينة مع المخاطرة بالموت اذ كان من الافضل أن يواجهوا العدو ويشقوا لأنفسهم بالقوة طريقا للنجاة بدلا من ان يصروا على حصار يفنى فيه الجميع اما بالسيف او بالمجاعة ، او يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار فى الثانى او الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل اقامة الفرنج فى الرها فى تلك المرة حوالى خمسة أيام او ستة (٣٣٧) .

والواقع أن جوسلين كان لايزال موجودا بالرها عند قدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضييق نور الدين وقواته على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينة خلسة . كذلك قرر اهالى الرها مغادرة المدينة سواء عن رضى أو عن غير رضى لأنهم كانوا متأكدين مما سيحل بهم من تنكيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينة (٣٣٨) ، بعد ان تنكروا لعهودهم . ولن نتناول هنا بالتفصيل وضع اهل الرها عندئذ لأننا سنفصل الحديث عن الأهالى فى الباب القادم .

ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ . يبدو أن العدد المذكور فيه شىء من المبالغة .

(٣٣٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 159.

(٣٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 من (L'Anonyme) يذكر ان ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف فى كتاب آخر أن ذلك كان فى ٣ نوفمبر . (Grousset · L'Empire, p. 224).

(٣٣٧) يذكر الكاهن جريجوار أن اقامة الفرنج بالرها كان خمسة أيام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160).
اما ابن العبرى فيقول ان ذلك كان ستة أيام .
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273).

(٣٣٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884, عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرسانه فضلا عن أهالى الرها يغادرون المدينة أثناء الليل حتى تتبعتهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش فى ذلك الوقت (٣٤٠) . فى حين فر جوسلين الى سميساط (٣٤١) . بعد أن جرح فى رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبها وسبى أهلها ففر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازى أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

---

(٣٣٩) Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها فى الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد ان كون طابور من الهاربين وضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمى المؤخرة

Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885. عن (L'Anonyme)

(٣٤٠) Grégoire : Op. Cit., p. 160.

Michel : Op. Cit., p. 271.

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist .des Crois., V. 2, p. 885

عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار انه قتل رغم اقدامه البطولى ويفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسهبة

(٣٤١) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٤٢) Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ــ ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١١١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥٤ ؛ الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٩١ . وهنا يصور ميخائيل السريانى خراب الرها فى هذه المرة قائلا : أصبحت الرها خالية مسربلة بالسواد غارقة بالدماء ، عفنة من جثث ابنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة الأخرى ، لتقتات أثناء الليل باجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم يدخل المدينة أحد من الناس الا من كانوا ينبشون لاكتشاف ثرواتها . (Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بمن قاموا بالحركة الأخيرة فيها واستبدادهـا للمرة الثـانيه تركها سيف الدين له ولم يعارضـه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات أسباب هزيمة الفرنج فى الرهـا فى تلك المرة (٣٤٥) - فان ذلك لا يقلل من شـأن ذلك الفتح الثـانى للمدينة ، وهو الفتح الذى يعتبر نهائيا فضـلا عن انـه يشير الى حركة استرداد اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لسقوط الرهـا ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

كان استيلاء المسـلمين على الرهـا للمرة الثانيـة ١١٤٦م اكثر ايلاما بالنسبة للمسـيحيين من فتحها الأول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تأكد بهـذا الفتح استيلاء المسلمين عليها فضـلا عما حل باهلها جميعا تلك المرة من تنكيل شـديد بعكس المرة السـابقة التى كانت اخف وطأة .

ومع ذلك فان بقيـة الامارات الصـليبية لم تحاول تقديم أية نجـدة سريعة للرهـا ، حتى أنطاكية الشـديدة القرب جـدا من امارة الرهـا رفض اميرهـا تقديم اية مسـاعدة ، وسلك مسلكا انانيا مـع ما فى ذلك من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين امارة انطاكية من ارتاح وبذلك كشف الجـانب الشمالى الشرقى لتلك الامارة وهو الجـانب الذى اصبح معرضـا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

---

(٣٤٤) ابن الأثيـر : الكـامل ؛ جـ ٩ ص ١٤ ، البـاهر ، ص ٨٧ ، ابن واصـل : مفـرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، سـبط بن الجـوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٤٥) يذكر أولدنبرج أن سبب كارثة الرهـا فى هـذه المرة هو تهور جوسـلين ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جـانب تهاون واهمال رؤسـاء الامارات الصـليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل فيـذكر عن ديونيسيوس الآمـدى أن ذلك بسبب آثام اهـالى الرهـا (Michel : p. 273)

ويشـارك ميخائيل فى رايه هـذا وليم الصورى (William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

(٣٤٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208.

(٣٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 208.

(٣٤٨) Grousset : L'Empire, p. 225.

وبرز حزن العسكر المسيحى على فقدان الرها تلك المرة من خلال بعض قصائد الرثاء التى من اهمها تلك المرثية التى كتبها ديونيسيوس الآمدى والتى يرجع فيها هزيمة المسيحيين فى ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشادات السيد المسيح ولم يطيعوه ، وانهم هم سبب ما يصيبهم من خير أو شر ، وان الرب يساعدهم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٣٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السريانى الرها واهلها الذين نكل بهم نور الدين واخذ عنه ذلك الرثاء ابن العبرى فى تاريخه (٣٥٠) . لكن اذا كان مسيحيو الشرق قد اكتفوا برثاء الرها ، فان اخبار سقوطها فى تلك المرة كان له اعمق الاثر فى الغرب ، وخاصة فى المانيا وفرنسا حيث ارتفع صوت ينادى بحملة صليبية (٣٥١) بطريقة اكثر جدية واكثر سرعة .

وقد راينا انه منذ ١١٤٥م كان قد بدا الاعداد بالفعل لحملة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الاماكن المقدسة ، فلما وصلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صحب ذلك من قتل وطرد المسيحيين ، بدا الملك لويس السابع يتبادل بعض الرسائل مع الأمراء الذين تقع بلادهم على الطريق الذى ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالاضافة الى جهود القديس برنارد فى الهاب حماس بقية الغرب للدفاع من تلك القضية المقدسة (٣٥٢) .

---

(٣٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extortation qu'écrivit Dionysius d'Amide).

ستاتى مع الملاحق

(٣٥٠) Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p. 273.

ستاتى مع الملاحق فهو يقول مثلا :

يالحسرة على سحابة الغيظ ، يوم بغير شفقة !
ياليل الموت ونهار الجحيم ، يوم التخريب ! الذى اندفع على الأهالى البؤساء ! » .

(٣٥١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

(٣٥٢) Vacandard . (Vie de Saint Bernard). Charles-Hefele : Op. Cit., p. 809.

اما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرهـا فى المرتين فيمكننـا ان نستشفه من خـلال الخطـابين اللذين ارسلهما الامبراطور مـانويل كومنين الـى البـابا ايوجيـن الثـالث اغسـطس ١١٤٦م ، مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

ويفهم من الخطاب الأول ان البابا كان قـد ارسـل الى الامبراطور البيزنطى مـع رسـل ملك فرنسـا لويس السـابع خطابا يحثه فيه على المشـاركة فى تقديم المسـاعدة لحملة صليبية تثأر لسقوط الرهـا ، عقب سقوطها اول مرة . ثم ارسـل اليه معاتبا على عـدم رده عليه . والراجح ان خطـاب البابا الأول لم يصـل للامبراطور ووصله الثـانى فقط لـذا ففى الخطـاب الأول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجـده يشكو للبابا من انه لم تصله منه ايه رسـائل وانه كان مستعدا لتقديم المساعدة الممكنة . بشرط ان يقـدم الصليبيون له ولاءهم كما حـدث فى عهد جـده الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جـديدة ولا برسـالة ، لذا أسرع مانويل بالكتابة اليه مرة اخرى فى مارس ١١٤٧م اى بعـد سقوط الرهـا للمرة الثانية ، وكان هـذا هو خطابه الثانى الـذى ابدى فيـه مانويل تعجبه من عـدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه اى اقتراح يروق له حتى ولو كان الاتحـاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم نظهر اية اشـارة عن هذين الخطابين فى المصـادر التى ارخت للحروب الصـليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشـالندون . كانت النسخة الأولى للخطابين مكتوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية . ثم ضاعت الترجمـه اللاتينيـه . نشرت نسـخة للخطـاتين بواسـطة Amaduzzi الى جانب عـدة نسـخ مخطوطة منه ما نقله Brial فى جامـع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich, Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)

(٣٥٤) اما عن محتويات الخطـاب الأول فقـد ذكرها المصـدر السابق (p. 144).

(٣٥٥) V. Grumel : Ibid : p. 157 - 159.
هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كان الامبراطور ظن هنا أن سـبب عـدم رد البابا عليه هو الانفصـال الدينى بين كنيستى روما وبيزنطة . لكن الحقيقة أن سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقــع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض فى ذلك الوقت معونتــه مشروطــة بالشرط التقليدى وهو خضوع الحملــة الصــليبية المزعومــة للامبراطور ؛ لانــه لم ينس ما حــدث من قبل من تنكر الصــليبيين لمــا كانوا قــد اتفقوا عليه مع جــده . وفى نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية فى الشرق بيد الصــليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة أن مسيحيى الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار فى نجــدة تاتيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قــدوم الحملة الصــليبية الثانية بقيادة الامبراطور الألمــانى كونراد Conrad والملك الفرنسى لويس السابع Louis VII ، كان جوســلين الثانى يامل فى استعادة الرهــا كما كان ريموند امير طرابلس يرغب فى استرجاع بارين لذلك أرســل هــذان الأميران الى الملك الفرنسى اثناء وجوده فى انطاكية بعض الخطابات محملة بالتوســلات هذا الى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جيران الرهــا وبقايا الامارة حتى اسر جوســلين الثانى :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها فى ١١٤٦م ــ ٥٤١هـ وبعض متعلقاتها ، فانه لم يهدأ بل كان يسعى دائبــا الى استخلاص بقايا تلك الامــارة من يد اميرها الذى اضعفته تلك الضربة الثانيــة لامارته . ففى ٥٤٣هـ ــ ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب الى احــد حصون جوسلين للاستيلاء عليــه ، وعندئذ لم يجــد جوســلين بدا من مسالة نور الدين والمثول بين يديه « واستعفى من هفواته فرضى عنه وخلع عليه (٣٥٧) » . وربما استخدم نور الدين اسلوب المســالمة منذئذ ليعــد لضربة أقوى فيما بعــد . لكن امــارة الرهــا لم تسلم فى ذلك الوقت من تهديد فرع اســلامى آخر ، ممثلا فى ســلاطين قونية أو ســلاطين الروم فقد تقدم الســلطان مسعود الأول بن قلج ارســلان (٥١٠ ــ ٥٥١هـ / ١١١٦ ــ ١١٥٦م) جنوبا الى شمال سوريا منتهزا فرصــة وفــاة أمير انطاكيــة

=

كــان يرغب فى الاعتمــاد على مســاعدة الصــليبيين فى حمايــة اراضى الامبراطورية اكثر من استعادة الاراضى التى اخــذت بواسطة الاتراك . وانه كان يامل فى الحصول ــ عن طريق ضربة واحدة ــ على ما حصل عليه جــده بعد ان بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل » .

(٣٥٦) Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٩١ (ب) .

ريموند ٥٤٤ ـ ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التى كانت بلا قوات تدافع عنها فى ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة أميرها بلدوين فى ١١٤٦م . ثم تقدم السلطان بعد ذلك الى تل باشر وحاصرها رغم أن جوسلين الثانى وزوجته واطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجد رايين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . احدهما يذكر ان الملك بلدوين الثالث ارسل نجدة الى جوسلين من انطاكية استطاعت أن تحمى عزاز التى كانت مهددة ايضا وقتئذ . ثم ساد السلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا الى بلاده بينما توجه الثانى الى انطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمصالحه (٣٦١) .

والراى الثانى يذكر ان جوسلين لم يبد اى اهتمام بجمع فرسانه، واكتفى بارسال القوات التى بقيت لديه مع الأمير باسيل اخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وامرهم بحمل المؤن والأمدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا ارسلان الأرتقى باغتتهم واسرتهم جميعا ومن جملتهم الأمير باسيل ، وقادهم امام قلعة كركر التى كانت بها زوجة باسيل واطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان فى مقابل اطلاقهم للاسرى فى أمان وتم اتفاق ودى بين الجانبين . وعندئذ تقدم جوسلين الى انطاكية لطلب نجدة لكنه اسر فى الطريق (٣٦٢) .

ومهما تختلف الآراء فان امارة الرها خسرت جزءا آخر من أراضيها هو مرعش انتقل الى سلاطين الروم فضلا عن أن تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بأيدى الفرنج لفترة قصيرة بعد ذلك كما سنرى .

---

(٣٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ ان امير انطاكية توفى ٥٤٤هـ اثناء حصار نور الدين لحصن انب (وهو حصن من اعمال عزاز من نواحى حلب) .

(٣٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit , p. 163.
ولكنه يذكر ان ذلك كان ٥٤٣هـ ــ ١١٤٩م والراجح انها ٥٤٤هـ لانه قام بحملته هذه بعد وفاة امير انطاكية
William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
والراجح ان حصار مسعود لتل باشر كان فى ٥٤٥هـ استنادا الى راى بن السماد الاصفهانى : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٠٦ .

(٣٦١) William : Ibid., V. 2, p. 200.

(٣٦٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164.

اسر جوسلين الثانى :

اختلفت المصادر العربية فى السنة التى اسر فيها جوسلين كما اختلفت ايضا فى الطريقة التى اسر بها فمن ناحية تاريخ اسره ، نجد فريقا يذكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩م) . والراجح ان ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠م) استنادا لراى ابن القلانسى (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فاسروه لانه كان « شديد العداوة للملة الاسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفى بعهد (٣٦٧) » . هذا بالاضافة الى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين واسر عددا كبيرا منهم من جملتهم « سلاح دار » نور الدين ، فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله الى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلج ارسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع انه سيأتيه

---

(٣٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٥ ، ص ٣٢ (أ) ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ النويرى : نهاية الأرب ، ٢٥ حـ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٣٦٥) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١٢١ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ، ص ٥٥٤ .

(٣٦٦) (William : Op. Cit., V. 2, p. 201).
يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٣٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفداء : المختصر حـ ٣ ص ٢٣ .

بعـد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك صمم على الأنتقام من جوسـلين فأحضر جماعة من التركمان « وبذل لهم الرغائب » أن هم ظفروا بجوسـلين وسلموه اليه اما قتيلا أو أسيرا(٣٦٩) .

وفى احـد الايام خرج جوسـلين فى بعض رفاقه أما للصيد (٣٧٠) أو لطلب النجـدة من انطاكية ضـد السـلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضـا انه قصـد انطاكية « مقويا » لاهلهـا من الفرنـج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فأسروه .

هنا تختلف الروايات عن اسره (٣٧٣) لكنها تتفق فى انه بعـد اسره سـيق فى اغـلاله الى حـلب فقضى فى السـجن سـنواته الأخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقـد فرح المسلمون كثيرا باسره وحزن المسيحيون حزنا شـديدا لذلك (٣٧٥) .

---

(٣٦٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .

(٣٧٠) ابن الاثير : المصـدرين السـابقين نفس الصفحات ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ ، روض المناظر ، احـداث ٥٤٦هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، أبو الفدا ، حـ ٣ ص ٢٣ .

(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.

(٣٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (أ) .

(٣٧٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضى شـهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السـابع ٥٤٥هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٥٥ ،
William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٣٧٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164, William : Ibid., V. 2, p. 201, Bar Hebraeus ' V. 1, pp. 276 - 277.

(٣٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣
William : Ibid., V. 2, p. 201. Gibb : Op. Cit., p. 300.

اندثار امارة الرها بعد اسر جوسلين :

وبعد اسر جوسلين وضع الفرنج الموجدون فى تل باشر ابنه الذى كان لايزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين ايضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر اميرها القوى واصبحت هدفا للمسلمين اكثر من ذى قبل .

ذلك انه حدث بعد اسر جوسلين مباشرة ان تقدم نور الدين بقواته الى عزاز فحاصرها واستولى عليها فى ربيع الأول ٥٤٥هـ ١١٥٠م بالأمان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد أن رتب بها من ينظم امورها رحل عنها الى حلب (٣٧٧) .

ولما رات زوجة جوسلين ان المسلمين سينتزعون بقية الامارة قطعة بعد اخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت فى نفس ١١٥٠م عن قلعة الروم الى جريجوار الثالث الكاثوليكوس ١١١٣م — ١١٦٦م ، فاصبحت تلك القلعة مقرا لأتباعه حتى ١٢٩٢م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك فى مصر (٣٧٨) .

---

(٣٧٦) — Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277.
لذلك اصبحت أمة بياتريس وصية عليه واصبحت المتصرفة الحقيقية فى شئون بقية الامارة .

(٣٧٧) ابن القلانسى : الـذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ٢٢٨ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ١٨ (أ) تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٤٥هـ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300 - 301. (وقـد انفرد ابن الفرات بالقول بان ذلك كان ٥٤٤هـ ولكن الراجح ان التاريخ غير صحيح) .

(٣٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.
هنا يشير مصدر آخر الى أن التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧م ولكن هـذا التاريخ خطأ لأنه قبل أسر جوسلين نفسه .
A .Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الامبراطور البيزنطى مانويل الأول بأن حالة الرهــا تبعث على اليأس ارســل ١١٥٠م ــ ٥٤٥هـ الى زوجــة جوسلين بعض الرســل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين فى مقابل دخــل سنوى لهــا ولاولادهــا عندئذ وافقت الأميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعــد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقــدس الذى فضــل هو ورجال مملكته ان تنتقل تلك المناطق الى حوزة البيزنطيين عن ان تسقط فى قبضــة المســلمين (٣٨٠) . وهكذا تســلم البيزنطيون بقايا امارة الرهــا . أما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسلين واولاده فقــد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه الى بيت المقــدس بعــد مصــاعب جمة لحقت بهم فى الطريق (٣٨١) .

على أن انتقال بقايا امارة الرهــا الى ايدى البيزنطيين شجع نور الدين بصورة اكبر على المضى فى طريقه لاستخلاص كافــة ارجــاء تلك الامــارة المحطمــة ووضعها تحت ســلطة المســلمين . هــذا الى ان البيزنطيين الذين عهــد اليهم مهمة حمايــة ذلك الحطــام الرهوى كانوا غير راغبين فى الحرب ، مما جعل نور الدين يشــدد هجماته عليهم حتى اضطرهم الى

---

(٣٧٩) William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 355.
هنا يذكر شالندون أن امارة الرهــا اختفت تماما فى ١١٥٢م بعــد أن تخلى عنها لامبراطور بيزنطــة . ولكن الراجــح أن ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصورى، وانه فى ١١٥٢م كانت الغالبية العظمى من اراضى الامارة قد استعادها نور الدين كما سنرى .
(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.
أما آرشية فيذكر ان زوجــة جوسلين لجــأت الى انطاكيــة فى حين يشير (ايورجا) الى انها توجهت الى مرعش . لكن الرايين خاطئين .
Archer : Op. Cit., p. 206,
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانســحاب عن تلك الأراضى التى ضحوا من اجلهــا منــذ قليل بالأموال الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ — ١١٥١م استولى نور الدين بالأمان على تل باشر وعهد بشــئونها الى الأميــر حســان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ — ١١٥٢م حــاول الفرنج الوقوف فى وجــه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه وهو فى دلوك — احــدى المدن التى كانت تابعة لجوســلين الثــانى — فدار بين الجانبين قتال شــديد قتل واسر فيه كثير من الجــانبين ولكن الغلبة فى النهاية كانت لقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيرا استكمل نور الدين بعــد ذلك الاستيلاء على بقيــة حطــام امارة الرهــا (٣٨٥) . فاســتولى على عين تاب وتل خــالد وقورس والراوندان وبرج الرصــاص وحصن البارة وحصن بسرفوت بجبل بنى عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

---

(٣٨٢) William : Op. Cit, V. 2, p. 212, Zoé : Op. Cit., p. 355.

(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العــديم : بغيــة الطلب ، مخطوط ، ص ٣٦٨ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هنــاك بعض المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل باشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط. رقم ٩٦٦ تاريــخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) فى حين ذكر الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ — ٥٥٠هـ) .

(٣٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٥٠ (أ) ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٥٦ أما ابن شــداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ فى القول بأن ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329,
ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ .

(٣٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ — ١٠٣ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو شــامة : الروضــتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، روض المناظر ، مخطوط أحــداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضع فيه حاميات وذخائر تكفيه لمدة عشر سنوات « خوفا من نصرة تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجة الى شيء (٣٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على امارة الرها الصليبية واثبت للفرنج انه اشد اصرارا من ابيه على الجهاد . وبقضائه على تلك الامارة سقط الدرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصليبية فى الشرق وبدات حركة افاقة اسلامية كبرى .

---

(٣٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

اوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

(أ) طبقات المجتمع فى الامارة .

(ب) الحياة الاقتصادية .

(ج) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان امارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين فى المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، الى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين فى مدينة سروج بالذات (١) .

اما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) . والراجح أن زيادة عددهم بها يرجع الى الغزو السلجوقى لأرمينيا فى القرن الحادى عشر الميلادى اذ لجأ اليها الكثير منهم فى ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

---

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,
سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٤٣٧
هنا يذكر وليم الصورى أن سروج كانت ممتلاه بالمسلمين الى درجة الفيضان .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ص ٢٠٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، ح ٢٦ ورقة ٧٧ ،
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire, p. 295.

(٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p 241, Encyclopaedia Britannica V. 7, p 954.

كان مسيحيو الرهـا يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وهى أصبح اللهجـات الآرامية السـامية (٤) .

وبقيام امارة الرهـا الصليبية انضم الى العناصر السكانية السـابقة عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق ان بينا كيف بدأوا باعداد قليلة كانت قـد صحبت بلدوين دى بوايون عند دخولـه الرهـا (٥) ، ثم ازدادت أعـدادهم فيما بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا قـد سئموا من حصـارهم لانطاكية آنذاك ففضلوا الاتجـاه الى الرهـا والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان فقيرا منهم يعيش فى رخاء وسعة ومن كان لايملك قرية أصبح سيدا لاحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عـدد الفرنج فى امارة الرها كان أصغر من عددهم

---

(٤) اغناطيوس افرام الثـانى : مقالة فى سـورية ، ص ٢٠ — ٢٣ . وهو يذكر ان من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهى تشمل لهجـات شتى الفينيقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والمندية والنبطية . وقد كشفت كتابات شتى بالسريانية الرهاويـة بعد أن نشرهـا المستشرق بونيون فى جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques) ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية ماذكره (بوركيت) من أن سـكان الرهـا كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة لتلك المتكلم بها فى فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op. Cit., p. 62.

(٦) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud: Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208, Jean Richard · Op. Cit., p. 27, Zoé : Op. Cit., p. 141.

وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرهـا مع عـدد كبير من الفرسان والمشاه الأقل مرتبة
"Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Gastus de Bederz" (Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

(٧) Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

فى اية امارة صليبية اخرى (٨) ، الا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية فى الرهـا حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لامارة الرهـا الصليبية خلال فترة قيامها التى امتدت حوالى نصف قرن تقريبا : انها كانت امارة فرنجية أرمينية (١٠) ، وانها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقـد دعمت الصبغة الارمينية الفرنجية فى امارة الرهـا عن طريق الزيجـات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بداها بلدوين البولونى ثم سـار على نفس المنـوال كل من بلـدوين دى بـورج وجوسـلين دى كورتنـاى (١٢) .

والواقع ان غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قـد اصـطحبوا معهم عائلاتهم الى الارض المقدسـة . واذا مـات الأزواج المحاربون فى الحرب فان الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخذون من ارامل اولئك المحاربين زوجـات لهم وانتشرت هـذه الظاهرة فى الامارات الصليبية فى المشرق فيما عدا الرها التى تزوج امراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن روبان وثوروس وليون (١٣). وقيل ان انطاكية شاركت الرها فى تلك الظاهرة الى حـد ما فانتشرت الزيجـات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الاقطاعيين ذوى المكانة العالية والشديدى الاحتكاك بالفرنج فى الحياة السياسية والعسكرية من ناحية أخرى (١٤) .

---

(٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.
سـعيد عاشـور : الحركـة الصـليبية ، جـ ١ ص ١٨٧ ،
هنا يذكر اولد نبـرج ان أرستقراطية الرها الفرنجية . كانت تتكون من الفالون والفلامند Wallonne, Flamande
(Zoé : Op. Cit., p. 227).

(١٠) Grousset : L'Empire, p. 316.

(١١) سعيد عاشـور :الحركه الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٧ .

(١٢) Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et Chrétiens d'Orient, p.p. 20 — 21.

(١٣) Zoé : Op. Cit., p. 300.

(١٤) Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241.

لكن ذلك لايعنى ان الصليبيين اقتصروا فى زواجهم على الأرمينيات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع أننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشأ جيل جديد عرف باسم (الأفراخ Poullains (١٦)) .
ومن أبرز أمثلة هــذا الجيل بالنسبة لامارة الرها الأمير جوسلين الثانى .

واذا كانت أواصر المودة قــد ازدادت فى الرهــا بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصــليبيين عن طريق الزواج ، فان العلاقات بين الحكــام والمحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائما مخلصين لحكامهم الغربيين وربما كان هــذا هو سبب التقدم البطىء لتلك الامارة بالنسبة لبقية الامارات الأخرى (١٧) .

هذه هى لمحة عامة عن اهالى الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الامارة . ولكي يسهل علينا التعرف على موقف الأهــالى فى مراحل تطور الامارة المختلفة سنحاول دراســة ذلك وفقا لفترات حكم أمراء الرهــا المختلفين ، حتى نصــل فى النهاية الى مصير الأهالى الوطنيين بعد انتهاء تلك الامــارة .

والحقيقة أن الأرمن فازوا بنصيب الأســد فى تلك الدراسة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من الســكان ، ولكن ذلك لا يمنــع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى فى الامارة بقدر ما أسعفتنا به المصادر والمراجع المختلفة .

اهالى الرهــا وبلدوين البولونى (١٠٩٨ ـــ ١١٠٠م) :

رأينا انه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولونى الرها تلقاه الأهالى بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حــارا اشترك فيــه كل افراد الشعب وعلى راسهم ثوروس . وقــد افاضت المصــادر المعاصرة والمراجع التى

---

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس أن فولشر دى شارتر قال « أننا اصبحنا شرقيين لاننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا اما سريانية او أرمينية أو مسلمة بعــد أن تنصرت »
(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).

(١٦) فيليب حتى : العرب ، ص ٢٢٣ Lammens : Ibid., p. 241.

(١٧) Prawer : Op.Cit., T. 1, p. 288.

اخذت عنها فى وصف ذلك الاستقبال الرائـع (١٨) ، اذ استقبل كمنقذ ومحرر للأهالى ولأميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ فبينما نظر اليه ثوروس كمنقذ له من اعدائه الأتراك المحيطين به ، يبدو أن الأهالى نظروا اليه تلك النظرة ايضـا الى جانب رغبتهم فى التحرر من اميرهم الأرمنى الذى اتبع مذهب كنيسة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم يبد اهالى الرهـا اى اعتراض على دخول الصليبيين الى بلادهم ، ويتضح ذلك اكثر عندمـا ظهرت نوايـا ثوروس فى استخدام بلدوين كجنـدى مرتزق (٢١) . اذ رفض بلـدوين ذلك الوضـع وهدد بالانسحاب من الرهـا (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالى والحوا على حاكمهم بالا يسمح لبلـدوين بالرحيـل (٢٣) . بـل قيـل انهم هم الذين اجبروا ثوروس على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

---

(١٨) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.

(١٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., V. 1,p. 242.

(٢٠) Zoé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206

(٢١) Alberti Aquensis : Hsitoriae, Liber III., T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٢) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Grousset : l'Empire, p. 204, L'Epopée, p.p. 56 — 57, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٣) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit , V. 1, p. 191 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op Cit., p. 210 Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op Cit., p. 61.

وهنا يذكر (ستون) أنه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلى الارتياح لتبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالى واحسوا بالطمأنينة فى حماية بلدوين (٢٦) .

وكان ان اتجه أهل الرهـا بعد ذلك الى ماهو ابعد ، فتعجلوا التخلص من اميرهم الأرمنى (٢٧) . للاسباب التى اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذى اصبح وفقا لرغبتهم اول امير صليبى لأول امارة صليبية فى المشرق .

فى بداية حكم بلدوين لامارة الرهـا خضع له اهلها واخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من أجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقة عسكرية أرمينية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين الحاصرين للمدينة (٣١) كما ساعده الأرمن أيضا فى حملته التى توجه بها الى سميساط فى بداية حكمه للرهـا فى ١٠٩٨م والتى استطاع عن طريقها ان يرد الى الرهـا عددا كبيرا من الرهائن الذين كان بلك الدانشمندى قد احتجزهم فى قلعة سميساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وازدادت اواصر المودة بين بلدوين البولونى وبين الأرمن فى الرهـا قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمينية اردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

---

(٢٥) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191

(٢٦) William : Ibid., V. 1, p. 191 .

(٢٧) Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier: L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٨) Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, p. 339, Cahen : Op Cit., p. 211, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 59.

(٢٩) Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355.

(٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(٣١) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(٣٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208 عن (Albert).

(٣٣) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433 ,Alberti : Op. Cit. T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset : L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

سرعان ما انقلبت الى كره وعداء من جانب الأهالى الوطنيين لبلدوين عندما فتح ابواب الأمارة على مصاريعها لرفاقه الصليبيين واغدق عليهم ثروات البلاد (٣٤) . فى الوقت الذى نحى الأهالى الأصليين وزعماءهم جانبا واستغنى عن مشورتهم مفضلا عليهم الفرسان الفرنج الذين احتقروهم (٣٥) .

لذا دبر الأهالى فى الرها مؤامرة فى ١٠٩٨م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٣٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٣٧) . وعندئذ امر بلدوين بانزال اشد العقوبات بالمتآمرين (٣٨) . وهكذا أخذ أهالى الرها الأرمن والسريان ينظرون الى بلدوين على أنه « طاغية فظ عنيف وجشع (٣٩) » . وندموا لتأييده فى حكمه عليهم (٤٠) ، بل أن الأرمن الذين قاسوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجدوا فى فرسان

---

(٣٤) يذكر آرتشية بالاضافة الى ذلك ان الكثير من مؤن البلاد وثرواتها نقلت الى الصليبيين المحاصرين لانطاكية مما سبب ضغطا شديدا على اهالى الرها . (Archer : Op. Cit., p. 63).

(٣٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٣٦) Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit,. V. 1, p.p. 305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Epopée, p. 58.

(٣٧) ويسميه البرت هنا انزو (Enzhu او Enxhu)

Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois., V 1, p. 67.

(٣٨) Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op Cit., V. 1, p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Empire, p.p 205, 297, L'Epopée, p. 581, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(٣٩) Zoé . Op. Cit., p. 230.

(٤٠) Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. Cit , V 1, p. 305.

الترنح خصماً لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولونى لأهالى الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بمن قاموا بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الاهالى غيظهم فى سكون ، حتى انتهت فترة امارة بلدوين على الرها وتوجه ١١٠٠م الى بيت المقدس ليعتلى عرشها . ولكن قبل رحيله اثقل كاهل اهالى الامارة بالضرائب المختلفة وابتز كثيرا من أموالهم ليدبر بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

اهالى الرها وبلدوين دى بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دى بورج حكم الرها عمل على استرضاء الارمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين، كى يعيد الثقة فى الحكم الصليبى الى نفوسهم ويمحوا الأثر السىء الذى تركه بلدوين البولونى فى نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح فى سياسته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الاولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمينية (٤٥) ؛ والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمينية (٤٦) .

وقد برزت اولى المساعدات الحقيقية التى قدمها اهالى الرها لبلدوين فى معركة حران ، اذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمينية (٤٧) . التى قتل معظمها فى المعركة (٤٨) ، ورثاهم متى

---

(٤١) Grousset : L'Epopée, p.p. 58 — 59.

(٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٤٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٨ .

(٤٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٤٥) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Ciliciénne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset :Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٤٦) Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 292 — 293.

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407. عن (Albert)

الرهاوى فى حزن شــديد (٤٩) . على ان اهالى الرهـــا لم يستسلموا للحزن بعد هزيمـــة حران التى اسر فيهـــا بلدوين دى بورج وجوســـلين دى كورتناى كما مر بنا ، وحاول الأهالى انقاذ الوضـــع الداخلى للرهـــا بسرعة فقرروا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) .

ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمش الرها وعندئذ بذل الاهـــالى كل ما فى وسعهم لمســاعدة تنكريد لردهم عن الامارة ، فكان لجهود اهالى الرها فى تلك الفترة اثره الفعـــال فى رد الأتراك وفى احراز النصر (٥١) .

وبانقضـــاء ذلك الدور من ادوار الخطر التركى دخلت الامارة فى فترة من احلك فترات تاريخها ، وهى فترة حكم رينشـــارد دى ســـالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التى قاسى فيها اهالى الرهـــا كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصـــادراته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخفاقه العسكرى الذى اودى بحياة الكثير من اهالى الرهـــا خاصـــة فى مواجهة حملة جكرمش على الرها (١١٠٥م — ٤٩٩هـ) (٥٣) .

وباطلاق سراح بلدوين دى بورج ١١٠٨م — ٥٠٢هـ فرح اهالى الرها

---

(٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٥٠) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi : T. 3, p. 712, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Bréhier : Vie et Mort, p. 315, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit., p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٥١) Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, pp. 616 — 617, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée, p. 79, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٢) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٣) Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, p.p 437 — 438.

هنا يذكر متى الرهاوى انه فقد فى تلك المعركه من اهالى الرهـــا حوالى ٤٥٠ شخصـــا . وان تلك الكارثة حملت اليأس الى الرهـــا ، فكل عائلة كانت فى حزن وكل بيت دوى بالنواح والتأوهات ، وكل الريف المحيط بالمدينة ســـال بالدم .

بعودة أميرهم القديم ويتخلصهم من حكم ريتشـارد النورماندى وجمعوا الأموال لدفع فدية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحـداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلدوين دى بورج وحليفه جوسلين من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضـوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجـانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة اثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما ان علم اهالى الرهـا بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسـفوا على بلدوين الذى ظنوا انه قـد مات . وفى نفس الوقتخافوا من عودة الحكم النورماندى اليهم ممثلا فى شخص ريتشارد ، الذى حملوا لعهده اسوأ الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرهـا Saint- Jean حضره رئيس الأسـاقفة اللاتين بالمدينة وطالب الأهالى بأن يتولى امر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين الى جانب اهالى الرهـا حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الأرمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حـدث فى اليوم التالى للاجتماع أن فوجىء الأهالى بدخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرهـا . وعندما استقصى الأميران احوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهـالى قـد صمموا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحـاولات الأجراميـة فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى اقصى درجات الشـدة والقسوة فى معاملة أهالى الرهـا ، الأمر الذى جعل متى الرهاوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، التى يعتقد انهـا قامت اصـلا بسبب اصغاء الفرنج لبعض الوشـايات الكاذبة (٥٩) .

---

(٥٤) Zoé : Op. Cit., p. 240.

(٥٥) Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

(٥٦) Mattieu : Op. Cit. p.p. 87 — 88.

(٥٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442.

(٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 88.

(٥٩) Mattieu : Ibid., p. 88. ومما ذكره متى الرهـاوى : « نهبت منازل الرهويين وسملت اعين كثيرين منهم لم يكن لهم اى ذنب على

والحقيقة أنه ينبغى ان نشير هنا الى ان العقاب السريع الذى انزله بلدوين باهالى الرهـــا فى ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالى عندما وجدوا ان اميرهم قـــد حلت به الهزيمة ولم يعد مما اثار الظن بانه فقد ؟ اليس معنى ذلك انهم سيعودون مرة أخرى لحكم ريتشـارد القاسى الظالم ؟ مما جعلهم يفكرون فى التخلص من الحكم الفرنجى كلية ؟ لكن ربما كانت الأمور قـــد ســـارت الى عكس ما تطورت اليه اذا كان بلدوين دى بورج قـــد عالج الأمور بنوع من التروى والتعقل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعاون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جـــدا حيث بدأ الصـــليبيون فى الرهـــا ينظرون اليهم بنوع من الشـــك والريبة (٦٠) . وبعد أن كانت سياسة بلدوين فى حكم الرها تقوم على اساس الربط بين الصليبيين والارمن ، اذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حســـابه كلية واعتمد فى حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .

واذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م — ٥٠٢هـ قد اتسمت العنف فى معاملتهم ، فان سياسته مع المسلمين فى نفس السنة اتصفت بالتســـامح تنفيذا للاتفاق الودى الذى كان قـــد تم بينه وبين جاولى عند اطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف ان المسلمين فى الرهـــا كانوا متركزين تقريبا فى سروج فى ذلك الوقت اذ كان بها حوالى ثلثمائـــة مســـلم فسمح بلدوين لاصحاب جاولى بتعمير مســـاجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تســـامح بلدوين مع المسلمين فى ذلك الوقت ان رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولى « يقول فى الاســـلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هـــذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين نقتله (٦٤) » .

=

الاطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحيى الرهـــا عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطـــاهر الذى سفك » .

(٦٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443

(٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(٦٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ ،
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, pp. 438 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ ،
Grousset : Ibid., p. 439.

وظل أهالى الرها على ذلك الوضع حتى ١١١٠م (٥٠٤هـ). عندما بدأ مودود كما رأينا حركة الجهاد الاسلامى ضد الفرنج فكان لحملته الأولى فى هذه السنة ضد الفرنج أثرها الكبير على الوضع السكانى فى الرها ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة فى الأجزاء السابقة من بحثنا . لكن ماتود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود فى استدراج الفرنج الى حران ليوقع بهم كما حدث فى ١١٠٤م (٤٩٧هـ) ، وبعد أن ادرك الفرنج نواياه عندئذ رجعوا بسرعة الى الرها وزودوها بالمؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج الى الضفة الغربية للفرات. عندئذ قرر اهالى الجزء الشرقى من الرها — الأرمن والسريان — الجلاء عن اراضيهم والالتجاء الى مناطق كيسوم ورعبان (٦٦) . خوفا من بطش الأتراك بهم . وعندما بدأ تنفيذ خطة الجلاء هذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن اسرع مودود الى الضفة الشرقية للفرات حيث أحدث مذبحة كبيرة فى الأهالى واسر الكثيرين منهم خاصة من النساء والأطفال كما غرق البعض الآخر فى اعداد هائلة فى نهر الفرات ، وهو ما فصلته المصادر الارمينية واللاتينية (٦٨) . الى جانب المراجع الافرنجية المختلفة (٦٩) والتى ارجع بعضها تلك الابادة السكانية إلى أن هجرة السكان فى ذلك الوقت تمت فى تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الاتراك يقوم ببعض المناورات العسكرية فى الضواحى القريبة (٧٠) . أما الفرنج الذين كانوا قد سبقوا الأهالى فى عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

---

(٦٥) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٦٦) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Epopée, p.p. 88 — 89.

(٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 93.

(٦٨) (سنورد وصفا لـ الحق بالاهالى مع الملاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94.
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.

(٦٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p 299, L'Epopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op. Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٠) Zoé : Op. Cit., p. 243.

الغربيـــة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالى بأى نوع من المعونة . وتنفيسا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التى شـــاهدوها عن قرب (٧١) . فى حين رجع مودود الى المشرق وصحبته أعـــداد ضخمة من الأسرى وغنائم لاتحصى (٧٢) .

وهكـذا كــان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرهـــا ١١١٠م (٥٠٤هـ) انها ادت الى أحـــداث خلخلة كبيرة فى ســكان امارة الرهــا وعلى وجـــه الخصوص فى جزئها الشرقى (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرهـــا واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالى الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع ان شعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصـــليبيين منذ التنكيل الذى لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢هـ) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤هـ) والتى قاسى منها أهالى الرهـــا — وبخاصـــة قسمها الشرقى — أدى كل هـــذا الى ت كير بعض الأرمن فى الخلاص من النفوذ الفرنجى وفكروا فى تسليم الرهـ ا للمسلمين وذلك اثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦هـ) .
، كان أن توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه ان يؤمنهم على ارواد هم فى مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مسرورا على تلك الفكرة وتسلم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينـــة (٧٧) .

---

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcherli : Op. Cit., T. 3, p. 422, Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٢) Mattieu ; Op. Cit., p. 94.

(٧٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400.

(٧٥) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٥
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,

(٧٦) Mattieu : Op. Cit., p. 101.

(٧٧) Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 473.

ويقال أن بعض السريان اشتركوا فى تلك المؤامرة
عن Grousset : L'Empire, p. 299 (L'Anonyme)

ولكن اخبار تلك المؤامرة وصلت الي آذان جوسلين الأول فأسرع الى الرهـا ليلحق بالأمير بلدوين . وعندئذ انزل جوسلين بالمامرين اشـد الوان العقوبة والقي بالأتراك من اعلى الجدران فهلكوا فى الحـال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرهـا فى ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشـديد الذى تعرض له الأرمن ١١٢٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للنفوذ الصليبى . لذا انتهزوا فرصـة وجود بلدوين فى تل باشر بعد ان انتزعها من جوسلين دى كورتناى ١١١٣م (٥٠٧هـ) وحاولوا من جـديد تسليم الرهـا للأتراك اثناء حملة مودود على الرهـا فى تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل أن الأمر لم يتعد مجرد بعض الأشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج الميالين للشر ونقلوها للأمير بلدوين فصـدقها بسرعـة (٨٠) . ولكننا نرجح أنه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرهـا الأرمن وبين الأتراك بسبب ضجرهم فى ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التعسفى .

وما كاد بلدوين دى بورج يسمع تلك الأخبار ، حتى أمر حاكم سروج بطرد كل اهـالى الرهـا دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك فى ١١ مايو ١١١٣م (٨٢) وقد أورد لنا متى الرهاوى صـورة مفصلة لطرد اولئك الأهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج فى القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشـديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الأم لبقية المـدن المحيطـة بها (٨٣) .

---

(٧٨) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(٧٩) Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٠) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105.

(٨١) Mattieu : Ibid., p. 105.

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 105.

فقد ذكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريعة بالرها ، لم يعرف الاب ابنه وانكر الأبن ابيه ، دوى النواح والتاوهات فى كل مكان ، وغمر كل منزل فى الحزن والحـداد .. طرد الفرنج الأهالى من منازلهم ، وأمروا باحراق هؤلاء الذين اختبأوا فى المنازل ، فلم يبق فيها احـد الا القليل » ..

=

وتلتمس بعض المراجع الحديثة العذر لقسوة بلدوين آنذاك بدعوى أن مرجع ذلك كان تكرار تآمر الأرمن بالذات مع الأتراك ضد الفرنج في الرها (٨٤) .

ويلاحظ أنه كان يوجد بالرها عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥) ، الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس ثيودور واحتموا بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين دى بورج تعذر القيام بشئون الامارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من أهالي الرها فضلا عن رفاقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالي المنفيين من سميساط وتم ذلك في فبراير ١١١٤م (٨٧) (٥٠٧هـ) . ولكن عودة الأهالي مرة أخرى الى بلادهم لايعنى في نفس الوقت عودة العلاقات الطبيعية بينهم وبين أميرهم الصليبي الذى أشارت اليه بعض المراجع الفرنجية بأنه « مضطهد الأرمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة بين الأهالي والصليبيين الغربيين للذين اعتبروا « طالبى منافع وأنهم في سبيل الحصول عليها أرهقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم الفظة (٨٩) » .

اهالى الرها في عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م — ١١٣١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم امارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب من أهلها وخاصة العنصر الأرمنى الأكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحاجز الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين في الرها في عهد بلدوين دى بورج ، ولكى يمحو من نفوسهم الأثر السيء الذى تركته قسوته وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

=

فيا للشقاء على شعب أبجر ... » .

وقد تم اجلاء غالبية الأهالي الى سميساط

(Mattieu : Op. Cit., p. 105,
Grousset : Hist. des Crois. ,V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

(٨٤) Setton : Op. Cit.. V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. des Crois., p. 491.

(٨٥) Grousset : Ibid., V. 1, p .491.

(٨٦) Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٧) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٨) Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٩) Mattieu : Op. Cit.. p. 106.

المعاصر متى الرهاوى يؤكد ان ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على ان يظهر العطف على اهالى الرهـا (٩٠) .

وتدعيما لتلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين السابقين للرهـا فاتخذ لنفسه زوجـة أرمينية هى اخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة أن جوسلين اخلص فى حبه لرعاياه الأرمن فبادلوه حبا بحب (٩٢) . وفى نفس الوقت لم يهمل جوسلين العنصر السريانى ، فحرص على أن يقوى رابطته به أيضـا (٩٣) .

من أهم المناسبات التى ابرزت مدى حب رعايا جوسلين الأول له ما حدث عندما علم اهالى الرهـا بأسره ١١٢٢م (٥١٦هـ) — كما بينا من قبل — اذ انهم لم يفكروا عندئذ فى انتهاز فرصـة غيابه عن الامارة ليثوروا ، وانما اظهروا الحزن الشديد وخضعوا الملك بلدوين الثانى منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما اسر الملك فى العام التالى ايضـا بدأ اهالى الرهـا — وخاصة العنصر الأرمنى — يفكرون فى انجع الوسائل واسرعها لانقاذ اميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة الى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى سارع عدد منهم الى خرتبرت — كما مر بنا — واطلقوا سراح الموجودين فيها ، ولكن بمجرد خروج جوسلين وصل بلك الأرتقى الى القلعة وانزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء المجموعة

---

(٩٠) Mattieu : Ibid., p. 128.

(٩١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن (L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit.. p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

(٩٢) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, Archer : p. 162.

(٩٣) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, p. 877 عن (L'Anonyme).

(٩٤) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٩٥) Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419.

(٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op.

=

الأرمينية الفدائية « أن بعضهم قطع اربا والبعض دفنوا احياء ، وتحول آخرون الى عبيد لرجال بلك الى جانب قتله هربوا احياء (٩٧) » . وهكذا لم تضن بعض العناصر الأرمينية فى الرهـا بتقديم أرواحهـا فداء للأمير جوسـلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مـدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (٩٨) .

أهالى الرها فى عهد جوسلين الثانى ١١٣١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرهـا :

وعندما ورث جوسلين الثانى امارة الرهـا عن أبيه ورث معها حب اهلها الشـديد لوالده (٩٩) . كذلك كان جوسـلين اكثر أمراء الرهـا قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمينية — كما أشرنا — فلا غرو اذا أسمته بعض المصـادر العربية (جوسلين الأرمنى) (١٠٠) .

وقـد ظل أهالى الرهـا ينعمون بالهدوء وبحب أميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرهـا . وكـان جوسلين الثانى قد عهد الى أهالى الرها الأرمن والسريان بحماية المدينة فى أثناء تواجده فى تل باشر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونسـاء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما فى وسعهم لحماية أسـوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة فى مقابل المحافظـة على أرواحهم رفضوا بشـدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينـة

Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p.298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ .

(٩٧) William : Op. Cit., V. 1. p. 544.

(٩٨) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 299.

(١٠٠) ابن العديم : بغيـة الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفـرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (ب) ، ٩١ (ب) .

(١٠١) Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois.. V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Nersès : Op. Cit.. p.p. 248 — 249.

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسيأتى وصف مفصل لاستماته الأهالى فى الدفاع فى الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرهـا .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالى جهدهم لسد تلك الثغرة التى فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكتفى بالقول بأن المسلمين اعملوا فى اهل الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . اما المصادر الأرمينية والسريانية الى جانب المصادر والمراجع الأفرنجية ، فقد اشارت الى انه عندما تحول الأهالى جميعا للدفاع عن الجزء الذى سقط من السور ، اعتلت القوات الزنكية السور ونزلت الى المدينة وعملت مذبحه هائلة فى اهالى الرها ، فصلتها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الأهالى الذين نجوا من تلك المذبحة الى قلعة المدينة للاحتماء بها ، فمات اكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) . والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية فى تصوير التنكيل الذى لحق بالأهالى فى ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشىء الجديد بالنسبة لأهل

---

(١٠٣) Nersès : Ibid., p. 253, (التفصيل فى الملاحق) Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 ,p. 269.

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، الباب السابع ٥٣٩هـ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(١٠٥) Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6
(مع قصيدة الرثاء فى الملاحق)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit. V. 2,p. 105.

(١٠٦) Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 105.

وقد ذكر الكاهن جريجوار ان عدد من هلكوا امام القلعة قدر بحوالى الفى شخص .

الرهـــا ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدرين دى بورج ورفاقه من الصليبيين الغربيين فى السنوات ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م .

وعندما دخل زنكى المدينة أمن اهلها وبنى ما انهدم منهــا (١٠٧) ، واصـــدر اوامره لرفاقه باغماد السيف (١٠٨) . والواقع أن هـــذا الأمان لم يشمل كل اهالى الرهـــا بل اقتصر فقط على اهلها الاصليين من الأرمن والسريان (١٠٩) . أما الفرنج فقد امر زنكى بقتلهم اينما وجـــدوا ويسبى زوجاتهم وأسر اطفالهم (١١٠) .

والحقيقـــة أن زنكى تســـامح بالذات مع العنصر السريانى وشـــجع الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجا الى الشفقة فى معاملتهم (١١١) . واعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الـــذين تأسفوا على الحكم الفرنجى الذى تضامنوا معه بشـــدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك العنصر فى مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياســـة صـــلاح الدين فيما بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرهـــا الى ماكانت عليه فى اواخر القرن الحـــادى عشر مدينـــة يسكنها الارمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

---

(١٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Zoé: Op. Cit., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Grousset : L'Epopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Michel : Op. Cit., p. 263 ,Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer : Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Epopée : p. 163,. Cahen : Op. Cit., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268, Grousset : Hist. des Crois ,.V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Epopée : p. 164, Hist. des Crois , V. 2, p 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset ; Ibid., p. 190.

بالاشراف على شئونها الى زين الدين على كوجك ، الذى عامل الأهـــالى معاملة طيبة جـــدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودى الى الرهـــا ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن فى الرهـــا شـــدة اهتمام زنكى بالعنصر السريانى ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا صغر حجم الحامية الزنكية فى المدينـــة وبدأوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ الاســـلامى ، وليعيدوا النفوذ الفرنجى مرة اخرى . كان ذلك بعد مرور حوالى سنة ونصـــف تقريبـــا على اســـتيلاء زنكى على الرهـــا (مايو ١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكى اشتد فى التنكيل بهم ، وكانت عقوبته اما القتل او الصلب او التشريد (١١٧) . ثم احل محلهم حوالى ثلثمائة اسرة يهودية (١١٨) . واصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق أمام القضـــاء مثل المسيحيين (١١٩) . وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ الصليبى عنها . وربما كان من الممكن أن نسير الاحوال الداخلية فى الامارة على منوال آخر اذا كان العنصر اليهودى موجودا بها منذ فترة مبكره اكثر ، فقد كان اليهود الد اعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين واهالى الرهـــا ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى رأسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا سوى بقاء النفوذ الاســـلامى ، الذى اتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوى على

---

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ ،

Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset ; Hist. des Crois., V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit.. V. 1, p. 267.

كانت شهادة اليهودى أمام للقضـــاء مساوية لشهادة المسيحى .

(١٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦١٠ .

العقائد الأخرى تآمر الأرمن فى الرها لاعادة النفوذ الفرنجى اليها (١٢١) . وهنا اضاف احد المراجع المترجمة عن اصل عبرى ان من اسباب تآمر الارمن ايضا،دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تآمر الارمن استعادة جوسلين الثانى الرها لفترة قصيرة ، لم تستمر اسبوعا واحدا ، اعقبها تنكيل نور الدين محمود بن زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكتفى المصادر العربية بالاشارة الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم فى عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى اهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . اما ابن القلانسى المعاصر فيعطينا نفس المعنى بصورة اخرى بقوله « محق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان اسر من المسلمين ونهب منها الشىء الكثير (١٢٤) » .

اما المصادر السريانية والأرمينية والفرنجية وما نقل عنها من مراجع أجنبية حديثة فتفصل الحديث باسهاب شديد عما اصاب الأهالى من تنكيل فى ذلك الوقت عندما كانوا فى طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايان عن سبب خروج الاهالى . فميخائل السريانى ومن نقل عنه يذكر ان الاهالى اجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد ان اشعل الفرنج النار فى منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . اما وليم الصورى ومن اخذ عنه فيذكر ان هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة جوسلين التى شجعوه املا فى القيام بها ، وعلموا ان كل امل فى المقاومة قد انتهى وان كل طريق للنجاة قد اغلق . ثم تاكدوا انهم سيعاقبون بالموت فى افظع اشكاله ، عندئذ فضلوا ان يرحلوا مع زوجاتهم واطفالهم وان يقتسموا حظا غير اكيد مع اخوانهم فى الجيش المسيحى عن أن يموتوا او يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

---

(١٢١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 199.

(١٢٢) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu par G. Nahon).

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٩٠. النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآه الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلانسى : الديل ، ص ٢٨٨ .

(١٢٥) Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٢٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 202.

وهنا نجد فى المصــدر السريانى وصفا مفصــلا لكيفية رحيل الأهالى بطريقة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسـلمون (١٢٧) . لكن لم تمضى لحظات حتى نتبه المسلمون الى حركتهم بسبب الضوضـــاء العالية التى احـــدثها الهاربون . وعندئذ أحـــاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . الى جـــانب عـــدد آخر من الاهالى ماتوا مخنوقين من شـــدة الزحام أو داستهم الخيول (١٢٩) .

وكان للاتراك الموجودين فى قلعة المدينة دورهم فى التنكيل بالأهـــالى اذ تتبعوا الـــذين التجـــأوا الى الكنـــائس والى أمـــاكن أخرى فقتلوهم أو عذبوهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير ارسلوا الى اسواق حلب (١٣١) .

أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوســـلين الثـــانى وبلدوين امير مرعش فقـــد لحق بهم الاتراك من جـــديد واعملوا السيف فيهم فقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرســـان الفرنج بخيولهم فى حين لجـأ المشـــاه الباقون الى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الأهالى ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على ارواحهم بالفرار الى سميســاط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوســـلين الثانى نفســـه من بين الذين فروا

---

(١٢٧) Grousset : Ibid., p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٢٨) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

(١٢٩) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٣٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Epopée p. 165

(١٣٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885.

ويقال انه فى ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من بقى من ملابســهم واحـــذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أمروهم رجـــالا ونســـاء بالجرى مع الخيول فمات عددا كبيرا منهم تحت أقدام تلك الخيول التى داستهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٣٣) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161. Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى سميساط ولو أنه كان جريحا (١٣٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم اهالى الرها جميعا — ثمن اخلاصهم الفرنج غاليا (١٣٥) . ولم ينفعهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين اسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية فى ذلك الوقت (١٣٦) . بعد ان فقدت غالبية اهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السريانى من فقد منهم فى فتح الرها الأول ١١٤٤م ، الثانى ١١٤٦م بحوالى سبعة واربعين الف نسمة « قتل منهم حوالى ثلاثون الفا واسر وتحول للعبودية ستة عشر الفا ونجا حوالى الفا (١٣٧) » .

وبذلك اصبحت الرها مكانا خربا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحقت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد اصبحت اثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقى من الامارة ، فان سكان تل باشر وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين فى ذلك الجزء الغربى حتى أسر جوسلين الثانى. وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الامارة ، قررت زوجة جوسلين واطفاله الى جانبه عدد كبير من الأهالى التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن تقبل عدد كبير من الأرمن والسريان النفى عن بلادهم عن الخضوع للنفوذ البيزنطى (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفى ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

---

(١٣٤) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme).

(١٣٥) Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301.

(١٣٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93.

(١٣٧) Michel : Op Cit., p. 272.

(١٣٨) Michel : Ibid , p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273.

(١٣٩) سنورد رثاء ميخائيل السريانى وكذلك رثاء ديونيسيوس الآمدى فى الملاحق .

(١٤٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 209.

(١٤١) Zoé : Op. Cit , p. 355.

عالية ونســاء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة واطفــال صغار وقــد شردوا من وطنهم وتركوا أرض اجدادهم وآبائهم ، فى الم عميق (١٤٢) .
وهكذا تشتت ســكان امارة الرهــا ؛ كما تمزقت ارضهم . بعــد حياة مليئة بويلات الحروب المتتابعة التى تعرضت لها الامارة ، الى جانب الكوارث التى احقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الامارة الصليبية .

الحيــاة الاقتصــادية :

رغم عثورنا على بعض الأشــارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية للامارة ، اثناء دراستنا للحيــاة السياسية بها ، الا ان ذلك القليل يعطينا صورة لا بأس بها توضــح ذلك الجانب من بحثنا هــذا .

والواقع أن غالبية اهل الرهــا كانوا زراعــا وتجارا الى جــانب بعض الرعاه (١٤٣) ،حيث كان يوجد بالامارة بعض المراعى و الغابات(١٤٤). ومن اهم ثروات المراعى الخيول الممتازة (١٤٥) ، ومن اهم اشجار الغابات شجر البلوط (١٤٦) .

اما الصناعــة : فلم نعثر الا على اشــارة واحــدة وسط كتابــه وليم الصورى تدل على أنه وجــدت بالرهــا صناعة الزيوت والخمور . فقــد ذكر أن من بين الاشياء التى أرسلها بلدوين البولونى للصليبيين المحاصرين لانطاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل باشر (١٤٧) .

ولمــا كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحيــاة الاقتصــادية للامارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهما .

الزراعــة :

كانت امــارة الرهــا من اهم المنــاطق الزراعيــة الغنيــة فى اقليم

---

(١٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 211.

(١٤٣) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٤٥) William : Ibid., V. 1, p. 238.
فقد ذكر وليم الصورى ان من بين ما ارسله بلدوين البولونى من الرهــا للصليبين المحاصرين لانطاكية الخيول الممتازة .

(١٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 487.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 238

الجزيرة (١٤٨). الذى اشتهر دائما بخصوبة ارضه ووفرة حاصلاته(١٤٩) ويرجع ذلك الى توافر مياه الرى سواء عن طريق الأنهار أو الينابيع الجوفية والامطار (١٥٠) . ومن اهم الحاصلات الزراعية لامارة الرهـا الشعير والقمح (١٥١) وقـد اشتهرت تل باشر بقمحها بالذات (١٥٢) .

كذلك اشتهرت الامارة بحدائقها الغنية (١٥٣) . وكانت الرها بالذات مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤) ، وورودها الجميلة العطرة (١٥٥) . اما

---

(١٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : Op .Cit., V. 1, p. 75.

(١٤٩) Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcherii : Op. Cit., p. 337, Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٥٠) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241.

يقول نيرسيس على لسـان الرهـا :

انبثقت من أحشائى مياه حيـة

وكانت مياه البحر تمتد بين اسوارى

ويعلق دولوريـيـه على ذلك بقولـه أن الشـاعر يرمز بلفظ البحـر الى نهر سيرتوس او ديـسـان الذى كان يمر بالمدينة . وفى الربيع تتكاثر مياهه لذوبان الثلوج على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينـة .

(١٥١) Mattieu : Op. Cit, p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

(١٥٢) William : Ibid., V. 1, p. 298, Zoé : Op. Cit., p. 295.

(١٥٣) Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit., p. 113.

ويضيف المرجع الأخير أن كثرة الحدائق المحيطـة بالرهـا جعلتها تظهر ضاحكة باسمة جـدا

(١٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III . T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « أن اهالى الرهـا كانوا يقدمون لبلك حاكم سميساط ضرائب بيزنطية من محاصيل واعناب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله . « أن ثوروس الأرمنى ظلم الأهالى وكان اذا قاومه احـد آثار الأتراك ضـده فيصبح ذلك الشخص التعيس خـائفا ليس فقط ان كرومه وحدائقه ومحاصيله النامية تقطع وقطعانه تسلب بل كان يخشى على حياته أيضـا » .

(١٥٥) Nersès : Op. Cit., p. 241.

يذكر نيرسس ان حدائقها كانت مليئة بالنرجس والزعفران والورد والبنفسـج .

تل باشر فكانت اشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للنواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الأمطار او البرودة القارسة اثرها على الزراعة في الرها الى جانب الاثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الامارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) ان الأمطار لم تسقط في اى جزء من اجزاء الامارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الاشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجدب فناء كبيرا بين اهالي الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوى تلك المجاعة الى الغضب الالهي الذي انتقم لموت الأمير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الاهالي اليمين الذى اقسموه على الصليب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عاد الرخاء مرة أخرى فتضاعف انتاج القمح والشعير وحملت الاشجار الفواكه وفاضت ينابيع المياه بمياهها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى ١١٠٣م (٤٩٧هـ) عندما اصيبت البلاد بفيضان مدمر مصحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول ممزوجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الاراضي وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان للقرار ، الذى اتخذه أولى الأمر من الصليبيين آنذاك - تاثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقي من الامارة الأكثر

---

(١٥٦) Cahen Op. Cit., p. 116.

(١٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 48.

(١٥٨) Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.

(١٥٩) Mattieu : Ibid., p. 49.

(١٦٠) Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

تعرضـــا للخطر من ســكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان فى تلك الخطوة سلامــة أولئك السكان الأرمن والسريان . لكن حدث عكس ما كانوا يظنون . فقــد دمــر الاتراك الـريف بأكملــه (١٦٢) . واتلفوا كــل الحـــدائق المحيطة ببرهـــا (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بان هـــذا الاقليم الغنى الخصيب تحول فى يوم واحـــد الى أرض مجدبـــة خاليـــة من كل شيء (١٦٤) وبالأضـــافة الى ذلك فقـــد قتلت غالبية أولئك الســـكان الفلاحين فى ذلك الجزء بسهولة اثناء محاولتهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) ـ كما اشرنا ـ وبذلك كان لحملـــه مودود هـــذه اثرهـــا المدمر على الناحية الاقتصـــادية كما كان لها ايضـــا أثرها البالغ الخطورة على الناحية الســـكانية .

وفى ١١١٣م (٥٠٧هـ) اصيبت أراضى الرهـــا بمجاعة قاسية نتيجـــة الطقس البارد الذى دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هـــذا الى جـــانب قلة المشتغلين بالزراعة فى ذلك الجـــانب الشرقى من الامارة بعد مذابح ١١١٠م ، فضلا عن تخوف بقيـــة الزراع فى ذلك الجزء من مزاولة اعمالهم حتى لا يتعرضـــوا لاعتداءات الاتراك المتكررة على هـــذا الجزء المكشوف المعرض للخطر (١٦٧) .

---

(١٦١) Mattieu : Ibid., p. 99, Grousset : L'Empire, p.p. 298-299, Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : Op. Cit., p. 243, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(١٦٢) J. Prawer : Op. Cit., p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(١٦٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(١٦٤) Zoé : Op. Cit., p. 243.

(١٦٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit.. T. 3 p.p. 421 - 422, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Epopée, p. 89, L'Empire, p. 299, Cahen : Op. Cit., p. 258, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Zoé : Op. Cit .p,. 243.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 407.

حتى اضطر الناس الى أكل الخبز المصنوع من الشعير والـــذى كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

(١٦٧) William : Ibid., V. 1, p. 407.

وبينما كان الجزء الشرقى من الامارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج يعانى من الجدب والمجاعة كان الجزء الغربى المحمى بنهر الفرات ينعم برخاء وازدهار فى كافة النواحى ، والمثل فى تل باشر وضواحيها تحت نفوذ جوسلين دى كورتناى (١٦٨) . وقد ترتب على هذا الوضع الشائك — كما بينا من قبل — قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين وجوسلين وطرد الأول للأخير من الامارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية التى ازالت الخطر الاقتصادى الجاثم فى ذلك الوقت .

والراجح أن الاوضاع الزراعية فى شطرى الامارة ظلت على هذا النهج فى غالبية الاحيان لأن الجزء الشرقى ظل أكثر تعرضا باستمرار للغزوات التركية الاسلامية . فمثلا حدث ١١١٩م (٥١٣هـ) عندما غزا ايلغازى بن ارتق الرها ان احرق محاصيلها (١٦٩) . اما حملته ١١٢٠م (٥١٤هـ) فقد نتج عنها تخريب الريف حول الرها (١٧٠) .

التجارة :

اشتغل جزء كبير من سكان الرها بالتجارة (١٧١) . ذلك ان امارة الرها تمتعت بموقع جغرافى جعلها تسيطر على اهم الطرق التى تصل ما بين النهرين بالساحل (١٧٢) . هذا الى ان مدينة الرها تقع على احد الطرق التجارية العظيمة التى تصل جبال ارمينيا شمالا ببادية الشام جنوبا (١٧٣) . اما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج (١٧٤) .

---

(١٦٨) William : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 487, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٦٩) Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 249.

(١٧٠) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(١٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

(١٧٢) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 476.

(١٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 7.

(١٧٤) Le Strange : Op. Cit., p. 108.

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية فى تلك الامارة منها الطريق من مرعش الى الرهـا ، والطريق من دلوك عبر صـحراء الشـام والذى يمر بحلب ، والطريق من سميساط الى الرقـة على طول الفرات ، فضـلا عن الطرق من تورس الى حلب (١٧٥) .

والواقع ان الاهمية التجارية للرهـا هى التى جعلت تنكريد يتمسك بها حتى ١١٠٨م (٥٠٢هـ) دون المسـاهمة فى اطلاق سراح اميرها بلدوين دى بورج لأنه فضـل أن يحتفظ لنفسـه بايرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك ان وقوع الرهـا على مفترق الطرق بين الشـام وانطاكيـة من ناحيـة والعراق وفارس من ناحية اخرى جعلها مركز نشـاط تجارى واسع . وكانت عائدات الرهـا وحدها من الرسوم الخاصـة بمرور التجارة تصل الى اربعين الف بيزانت ، هـذا خلاف المتحصلات الأخرى التى تحصل من اماكن اخرى مثل سميساط وتل باشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال ان من بين العوامل التى دفعت زنكى الى ايقاف المذابـح والنهب فى الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته فى المحافظة على الازدهار التجـارى فيهـا (١٧٨) .

كنيسـة الرهـا والحيـاة الدينية فيها :

قبل ان نتناول بالبحث الحيـاة الدينية لامارة الرهـا ومـدى تاثرها بالحيـاة السياسية فى الامـارة ، يجدر بنا ان نأخـذ فكرة عن الطوائف المسيحية فى الرهـا واهم الكنائس التى تتبعها كل طائفة . هـذا مـع الاشـارة الى اهم الكنائس التى شيدت فى الرهـا ومـا بقى منها حتى الفترة الصـليبية للامارة .

والواقـع ان الرهـا تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ ان تلقى اهلها تعـاليمها على يـد (آديـا) رسـول المسيح الى ملكهم

---

(١٧٥) Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-479
(١٧٦) Zoé : Op. Cit., p. 215.
(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409.
(١٧٨) Grousset : L'Epopée, p. 163.
(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤
William : Op. Cit., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ اواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادى ٥٤٢م أسس الراهب يعقوب البرادعى المذهب اليعقوبى بالرها (١٨١) . والكنيسة اليعقوبية هى أحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) . ويؤمن اليعاقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .

وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هى السائدة فى الرها الى ان انضمت اليها الكنيسة الجريجورية الأرمينية (١٨٤) ، التى كان يراسها الكاثوليكوس Catholicos (١٨٥) .

---

(١٨٠) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

(١٨١) R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنا أن يعقوب رسم أسقفا سرا بواسطة تيودور بطريرك الاسكندرية بمساعدة اثنين آخرين من الأساقفة المونوفيزتيين . وعندئذ اصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب لم يستقر فى الرها بل قضى حياته فى الوعظ فى سوريا وما بين النهرين وقيلية وكباد وكيا وأسس فى كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

(١٨٢) R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٣) Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٤) Grousset : Ibid., p. 311.

(١٨٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

تولى القديس جريجوار كرسى البطركية الأرمينية فى القرن الرابع الميلادى اى فى بداية عهد الكنيسة الارمينية ، ثم تولاه بعده أولاده واعقابه من بعده وكلهم من فرع الأسرة الارسكيدية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٣٩٠ « ان قلعة الروم كانتمقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمينية كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الارمينية :

عيد الفصح Pâques.
عيد الغطاس Epiphanie.
عيد التجلى Transfiguration.
عيد صعود العذراء Assomption.
عيد ارتفاع الصليب المقدس Exaltation de la Saint Croix.
عيد الخمسين او الحصاد Pentecote.

(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 1o2).

لكن يبدو أنه رغمّ أن الرهـا كان يتولى فيها مطارنة يماقبـة حتى ١١٩٦م الا انهـم لـم يلعبـوا دورا مهمـا فى سـلم الكهنوت اليعقوبى Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنـائس الرهــا :

ثم ان الرهـا اشتهرت بكنائسها التى يزيـد عـددها على ثلثمائـة كنيسـة (١٨٧) . وكانت اشهر تلك الكنائس واقدمها : الكنيسة القديمة او الكندرائية التى بناها (آديا) من المـال الذى وضعه الملك أبجر تحت تصرفه (١٨٨) . وقـد ظلت تلك الكنيسـة وحيدة بالرهـا حوالى ثلاثة قرون تقريبـا (١٨٩) ، واصيبت بعـدة تخريبـات بسبب الفيضانات والزلازل مابين بدايـة القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادى . ولكن فى كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقـد وصفت تلك الكنيسـة بأنها

---

(١٨٦) R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428.

وهـذا المرجـع يعطينا حصرا لأسـاقفة الرهـا اليماقبة فى فترة امارة الرهـا الصـليبية وهم :

عزل ١١٠١م	Basile (Bar Sabhûni).
١١٠١ — ١١٣٠م	Ignace (Bar Gadhini).
١١٣٠ — ١١٣٧م	Athanase.
١١٣٧ — ١١٦٦م	Basile.

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica : V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2, p. 997.

(١٨٨) Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 38 .

(١٨٩) ففى ٣٤٦م شيدت كنيسـة المقربين

L'Eglise des Confesseurs

(Duval : Op. Cit., p. 17, 199, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p.p. 2064 - 2090).

(١٩٠) Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p. 2068.

فقـد ذكرا انه حتى الفيضـان العظيم ٢٠١م لم يكن مسـيحيو الرهـا يملكون سوى كنيسـة واحدة تعرف بالكنيسـة القديمة خربها ذلك الفيضان =

« احــدى عجائب الدنيا (١٩١) » . وقيل ان الروم اشــاروا اليها بقولهم « ما من بناء بالحجــارة ابهى من كنيسة الرها (١٩٢) » . اما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانيــة اعظم ولا أبدع صنعة منها (١٩٣) » .

والى جــانب الكنيســة العظمى بنى بالرهــا عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها فى داخل الرهــا : كنيســة القديس دانيال (١٩٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٩٥) ، كنيســة القديس اتيان (١٩٦) ، كنيسة الرســل (١٩٧) ، كنيســة حنــا المعمــدان (١٩٨) ، كنيسة القديس

=

ثم اصابها نفس الكارثة فى فيضــان ٣٠٣م ثم اعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كوانا اسقف الرهــا وخليفة سعد . وبعد فيضان ٥٢٥م الذى قلب الكنيسة اعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير .-وقلبت الكنيســة مرة اخرى نتيجة لهزة ارضية ٦٧٩م ومرة اخرى ٧١٨م .

(١٩١) Duval : Op. Cit., p .16, Dictionnaire D'Archéologie... p. 2063,

المقــدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يذكر انها كانت بأزاج ملبســة بالفسيفســاء) .

(١٩٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٩٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الأسقف Vologèse او Eulogius ٣٧٩م.

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٥) كنيســة القديس Barlâhâ شيدت بواسطة ديوجين اسقف الرهــا ٤٠٩م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٩٦) Saint Etienne التى كانت من قبل معبدا يهوديا ثم اصبحت كنيســة بواسطة رابولا اسقف الرهــا ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170, Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha اسقف الرها ٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٩٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس اسقف الرهــا ٤٥٧ — ٤٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آديا (١٩٩) ، كنيســـة القـــديس كوانا (٢٠٠) ، كنيســـة مـــارى أم المسيح (٢٠١) . هذا الى جـــانب كنائس اخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكـــان من أشهر الكنـــائس التى بنيت فى الرهـــا فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس أبرزها كنيســـة سانت صوفيا أو القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى امارة الرهـــا على مدينـــة الرهـــا فقط بل تعددت فى بقية مدنها وكـــان من اهمها كنيســـة تورس التى اعتبرت أيضـــا من عجائب الدنيـــا (٢٠٤) .

واذا كانت كنائس الرهـــا قد لاقت رعاية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

---

(١٩٩) Saint Addée (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064).

(٢٠٠) Mar Cônâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرســـة الفارسية ٤٨٩م .
(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خـــارج المدينـــة :

كنيسة القديس كوسماس	Saint - Cosmas.
كنيسة القديس داميان	„ Damien.
كنيسة القديس سيرج	„ Serge.
كنيسة القديس سيمون	„ Siméon.

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرهـــا وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة المقربين وكنيســـة الرهبان القديمـــة
(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يذكر نبرسيس ان البيزنطيين لمـــا حكموا الرهـــا بنوا بها هيكلا على اسم هيكلهم أيا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) اما متى الرهـــاوى فيسميها Saint Sophie
(Mattieu : Op. Cit., p. 81)
أمـا الكنيستين الأخرتين فهما كنيســـة Mar Theodoros, Mère de Dieu وقـــد بناهما الأسقف مارد يونيسيوس .(Michel : Op. Cit., p. 280).

(٢٠٤) ابن شـــداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لمـــا هدم جزء من كنيســـة الرهـــا بعد زلزال ٦٧٩م أعاد معاوية الأول بنـــاءه .
(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

أما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرهـــا كنيســـة للتعميد
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

فان أول الخلفاء العباسيين لم يحترم قدسيتها بل أصيبت المدينة نفسها بالتخريب فى عهده (٢٠٦) . وعندما استولى البيزنطيون على الرها ١٠٣١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان اشعلوا النار فى المنازل والكنائس . لأن مسيحيي الرها كانوا يفضلون الحكم العربى على الحكم البيزنطى . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى، تقى عين عليها المطران دينسيوس فاعاد ازدهارها وبنى بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، انشاؤا كرسيين بطركيين لاتينيين بها هما بطريركية انطاكية وبطريركية القدس . وكان يتبع انطاكية عدة كراسى مطرانية اهمها الرها وعدة اسقفيات منها قورس ومرعش(٢٠٨) . وهكذا أصبحت الرها فى الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هى : الكنيسة اليعقوبية والكنيسة الأرمينية وهما شرقيتان والكنيسة اللاتينية الغربية .

ووجدت فى الرها فى الفترة الصليبية حوالى ثمان كنائس رمم بعضها بواسطة الفرنج وخصصت ثلاثة منها للشعائر اللاتينية (٢٠٩) .

---

(٢٠٦) Michel : Op. Cit., p. 279.
(٢٠٧) Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280.
(٢٠٨) Michel : Op. Cit. p. 191.
كانت اهم الكراسى المطرانية التابعة لانطاكية طرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافامية . اما اهم الاسقفيات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وجارم .
(٢٠٩) Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113.
اهم الكنائس فى الرها فى الفترة الصليبية هى :
١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهى كتدرائية لاتينية رممت بواسطة الفرنج
٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهى كتدرائية بيزنطية .
٣ — كنيسة المقربين Confesseurs
٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعائر لاتينية
٥ — كنيسة القديس ايثان ، ذات شعائر لاتينية
٦ — كنيسة القديس تيودور (وهى التى اختبأ فيها حوالى ثمانين من الأرمن امام تنكيل امير سروج ١١١٣م .
(Mattieu : Op. Cit., p. 105
٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .
٨ — كنيسة الأربعين شهيد .

ولتسهيل دراسة الاحوال الكنسية والدينية فى امارة الرها سنتناولها وفقا لفترة حكم الأمراء الصليبيين المختلفين لتلك الامارة لنتبين من خلالها مدى تاثر الحياة الدينية بالحياة السياسية .

ذلك انه عند وصول بلدوين البولونى الى الرها خرج رجال الدين لاستقباله مع حاكم المدينة وبقية الاهالى فى صورة مشرفة جدا وترحيب زائد (٢١٠) . والواقع ان الترحيب البالغ الذى لاقاه اللاتين من الأرمن بالذات يشير الى انه لم يكن هناك فاصل كبير بين الأرمن واللاتين كما كان الحال بين الأرمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد ان استقر بلدوين فى حكم الرها لم يكن هناك اى نوع من الاضطهاد الدينى الذى قاسى منه الأرمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهده التسامح الدينى (٢١٢) . وهكذا بدات امارة الرها الصليبية عهدها فى سلام مع الأرمن الجريجوريين والسريان اليعاقبة واليونان الأرثوذكس (٢١٣) .

اما فى عهد بلدوين دى بورج ، فكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز فى حركة التوسع الصليبى الرهوى ، كذلك ظهر فى ذلك العهد التحالف الواضح بين الأمير بلدوين والكنيسة الأرمينية ، وعلى عكس ذلك قام الخلاف فى الكنيسة اليعقوبية .

ففى بداية ١١٠١م (٤٩٤هـ) وعند استيلاء بلدوين دى بورج على سروج قام الأسقف اللاتينى بندكت أو بابيوس بدور بارز فى قيادة الدفاع الفرنجى فى قلعة المدينة (٢١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضار النجدة واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفى نفس السنة ١١٠١م بدا الخلاف بين المطران بارصابونى Bar cabouni وبين البطريرك الذى عينه مار اثناسيوس السابع ، فقد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدسة التى كانت مرصعة بالذهب والفضة الى الخزانة البطريركية ، والتى كان احد الثوار قد استولى عليها . وبالفعل وعد المطران بردها ، ولكن يبدو

(٢١٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.
(٢١٢) Grousset : Ibid , V., 1, p. 67.
(٢١٣) Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 . (L'Anonyme)
(٢١٥) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset · Op. Cit., V. 2, p. 870.

انه بعد حصولـــه عليهـــا رفض ارجاعها الى البطريرك ، وذكر ان أعيان الرهـــا يعارضون فى ردها . وعندئذ احتج البطريرك واشترط عليه اما ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فانقسم اهـــالى الرهـــا الى قسمين ، الأول أيد البطريرك والثانى عاضد المطران (٢١٧) . وكان أن حاول بلدوين دى بورج عقـــد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل ان محـــاولة مطران ملطية فى هـــذا المجـــال أدت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرهـــا فى الاستعانـــة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكيـــة برنادى دى فالنس (١١٠١ — ١١٣٥م) فدعا الأخير البطريرك أثناسيوس امام محكمة فى قلعة القديس بطرس فى انطاكية . ويقال أن فرنج انطاكية توسلوا اليه أن يعفو عن سابونى ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندما حـــاول بعض الفرنـــج الأعتـــداء على البطريرك بالضرب تصـــدى لهم بعض الأســـاقفة ومنعوهم ووبخوهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيـــا يعقوبيا لبحث دعوى بارسابونى (٢٢٠) . ولكن عندما علم أمير انطاكية روجر بذلك احتج على ســـلوك البطريرك اللاتينى وقال له « أنه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الأمير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة انطاكيـــة محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قـــد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر فى احـــد اديرتها ، الا ان ذلك لم يضـــع نهاية لذلك الموضوع ، لأنه أصـــدر من هناك قرار الحرمان ضـــد كنيســـة الرهـــا اليعقوبية « حتى انه أمر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى فى الرهـــا فثار بعض رجال الدين بعضهم ضـــد البعض الآخر ووصـــل الاضطراب

---

(٢١٦) Michel : Op. Cit., p.p. 193-194.

(٢١٧) Michel : Ibid., p. 194.

(٢١٨) Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.

(٢١٩) Michel : Op. Cit., p. 197.

(٢٢٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515.

(٢٢١) Grousset : Ibid, p. 515.

(٢٢٢) Michel : Op. Cit., p. 212.

الى حد أن بعض أهالى الرهـا تصروا أطفالهم فى كنائس اللاتين (٢٢٣) .

وفى ١١٠٢م حـدث اضطراب دينى كبير فى بلاد الشـام وقيليقيـة وامتـد الى الرهـا ، وهو ما صوره متى الرهاوى بصورة مسهبة ، عندما ذكر أن ذلك الاضطراب قام فى البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنـج فى تحديد عيد القيامة فى تلك السنة (٢٢٤) . وكان أن قامت فى ذلك الوقت مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج فلم يكن لديهم أى اهتمام بمناوأة الأرمن فى تلك النقطـة . وكان ان دخل اهـالى انطاكية وقيليقية والرهـا فى مناقشات لا تنتهى حول ذلك الموضوع لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان فى الرهـا الى الانضمام عن خوف الى جـانب البيزنطيين وتخـلوا عن التحالف الذى كانوا قـد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .

وكان البيزنطيون قـد وقعوا فى نفس الخطأ عندما لم تشعل انوار كنيسـة القبر المقـدس ، فى تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقـدس للمذابح من جـانب المسلمين ، وهو ما حـدث فى عهد الامبراطور باسيل حـوالى ١٠٠٦م (٣٩٧هـ) . وعندما تكرر نفس الخطـأ فى تلك السنة ١١٠٢م ، حـذر رجـال الدين فى الرهـا الـرئيس الأعلـى للأرمن Le Catholicos Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل كتبه بخط يده وحثهم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

---

(٢٢٣) Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 515-516.

(٢٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 62.

نقـد حـدد الفرنـج والبيزنطيون عيـد الفصـح بيوم السبت الموافق ٥ ابريل ، بينما حـدده الأرمن والسريان والعبريون بيوم الأحـد الموافق ٦ ابريل وهو يوم أحـد السعف .

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 63.

(٢٢٦) Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67.

صورة مصغرة للخطـاب :

« الى الأصـدقاء الحقيقيين للمسـيح .. الى القسس ، الى كل العظماء والى كل المخلصين السـلام .

لقـد قرات خطابكم الذى يتفجر بالحب الالهى . ولقـد فهمت تماما كل ما يحويه من ملاحظـات . واننى احثكم واشجعكم واعلمكم الصبر . وسـاصحبكم حتى الموت فى كل المناسبات ، فى كل انواع التعذيب ، لن

=

وعندمـــا تلقوا الخطـــاب اصبحوا أكثر تمســـكا عن ذى قبـل بالمـذهب الارثوذكس . ويذكر متى الرهاوى أنه حــدث فى عيد الفصـــح أن أهـــاء اهالى القـــدس انوار كنيســـة القبر المقدس عن طريق التحايل واستخدموا لاضـــاءة تلك الانوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الأضـواء أثيرت بالضبط فى عيد الفصـــح الارمنى ، كما شـــاهد كل المسيحيين الموجودين بالقـــدس. عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم أحد السعف (٢٢٧)

وفى ١١٠٣م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيســـة الارمينية عندما استقبل الأمير ، الرئيس الدينى الأعلى للارمن الجريجوريين ، باسيل الذى قـــدم الى الرهـــا مصحوبا باتباعه من النبلاء والاساقفة والقســـاوســـة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغـــة وقـــدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) .

وفى العـــام التالى عندما قامت معركة حران الســـابقة الذكر كـــان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها أيضـــا سـواء من الرهـــا أو من بقيـــة الامارات اللاتينية الاخرى ، اذ شـــارك فى تلك المعركة . برنارد بطريرك انطاكية ودايمبرت بطريرك القـــدس الذى كان لاجئا فى انطاكيـــة حينئذ . وبندكت رئيس اســـاقفة الرهـــا اللاتين (٢٢٩) . وقـــد أسر بندكت فى تلك الموقعـــة (٢٣٠) . ورغـــم استنجـــاده فى اسره بتنكريـــد فانـــه

=

ابتعد عن وظيفتى ولن انكر واجباتى . واننى مستعد ان اعطى حلا لكل نقطة فى كل ما ســـأستفسر عنه . أما انتم فلا تهنوا ولا تيأسوا ، لأن الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقـــدر استطاعتنا كجنود المســـيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شـــاهدون على أننا لم نرتكب اى خطأ ولم نفســـد اى عقيدة أذا تضـــامنتم مـــع مواعظى وعقيدتى فســـأكون الضـــامن لكم أمام السيد المسيح . أما من يرغب فى المجـــد الدينوى بدلا من المجـــد الالهى ، فسيوضـــع فى صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرد من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على السعادة الابدية ... آمين » .

(٢٢٧) Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٨) Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

(٢٢٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٣٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, Williani: Op. Cit., V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الأسقف فى رعاية أحد المسيحيين المرتدين فلما اكتشف شخصيته تحركت فى نفسه شفقة الحب وسمح له بالهرب دون أن يلحقه أى اذى . وعاد بندكت الى الرها حيث قوبل بالعديد من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحتى نهاية عهد بلدوين دى بورج فى الرها لم نعثر على اى شىء يتصل بالناحية الدينية بعد ذلك سوى ماذكره متى الرهاوى عن التخريب الذى أصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها الغربى (٢٣٣) .

والواقع ان المصادر المعاصرة لامارة الرها فى تلك الفترة ركزت غالبية كتاباتها على العلاقات الرهوية التركية فضلا عن حركات التوسع الخارجية من جانب الامارة على حساب الأرمن خارجها .

اما عهد جوسلين الاول فكان يمثل فترة صراع شديد مع جيران الامارة المحيطين بها كما بينا فى باب العلاقات الخارجية ، لذا لم تبرز الناحية الدينية فى الامارة فى ذلك الوقت الا من خلال سطور قليلة .

ففى بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريانى ان بطريرك الرها توجه الى تل باشر لمقابلته . « فصالحه جوسلين هو وكل الأساقفة واعاد كل الزخارف واوانى الزيت المقدس التى كان قد استولى عليها أثناء غضبه من الخزانة البطريركية فى دير مار برسوما (٢٣٤) » . والراجح أنه ربما قام جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٣م .

وحوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليعقوبى مار اثناسيوس — السابق الذكر الذى كان قد رحل الى آمد — بجوسلين لانه اصبح شيئا سجين هناك فى ذلك الوقت . فما كان من جوسلين الا ان ارسل الى أمير

---

(٢٣١) Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710.

فقد كان بندكت يصيح على تنكريد قائلا : « تنكريد ، تنكريد تقدم المعونة »

(٢٣٢) Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616.

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406 عن (Foucher).

(٢٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 81.

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

آمـد مهددا بتخريب بـلاده اذا لم يطلق سراح البطريرك . فتم اطـلاق سراحـه بالفعل وعاد الى الرهـا ثم توجه الى دير مار برسوما حيث قضى بقية حياته (٢٣٥) .

وكان البطريرك بعـد عودته الى الرهـا قـد ظل محتفظا بموقفه من بار سـابونى ومصمما على ابقـاء قرار الحرمان ضـد كنيسة الرهـا اليعقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك فى تلك الوسـاطات جوسـلين الأول عن طريق بعضـ فرسـانه ، لكن دون جـدوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريرك توق وهو متمسك بموقفـه من الكنيسـة اليعقوبية ، فى حين لم يحاول جوسلين اقحام نفسه بشـدة فى النواحى الدينيـة .

أما جوسـلين الثانى فقـد اقحم نفسـه فى الأمور الدينية وتدخل فى شئون الكنيسـة اليعقوبية فرفض الأعتراف بتعيين اثناسيوس الثـامن وعين هـو أسـقفا يعقوبيـا صـديقا لـه هو باسـيل بارشومانـا Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بـل أكثر من هـذا نهب جوسلين دير سـانت بارسوما الذى يقدسـه اليعاقبة (٢٣٨) . والذى ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقـد اعترف جوسـلين الثانى فى آخر حياته

---

(٢٣٥) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.

(٢٣٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.

(٢٣٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.

(٢٣٩) Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.

يذكر ابن العبرى : هنا احـدى معجزات ذلك القـديس بقوله « انـه فى ١١٣٤م وصـلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرهـا ، عندئذ احضر اهـالى الرهـا التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصولها حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون أحـداث أى ضرر بالاقليم . ثم استقدم البيزنطيون المطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد ان تظهر ولمـا رفض الرهبان القيام بذلك سخروا منهم قائلين أن التابوت ليس بـه شىء . فاضطر الرهبـان لفتحـه . وعندئذ قصف رعـد مفزع وملاءت السماء بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجـار ثقيلة فصـاح الناس جميعا (كيرياليسـون Kūryâlaison) أى انزل علينا الرحمـة أيها المختـار عند الله ، وهرب البيزنطيون واخفوا انفسهم . وعندما توقف ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمـدة ثلاثة ايام » .

فى سجنه أن ماحل به من مصائب مرجعه الى آثامه بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن امارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز فى الدفاع عن الرها ضد زنكى والقوات الاسلامية ١١٤٤م (٥٣٩هـ) . فقد تزعم الدفاع فى ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة فى الرها وعلى رأسهم هيو الثانى الأسقف اللاتينى وباسيل الأسقف اليعقوبى وحنا الأسقف الأرمنى (٢٤١) .

واثناء الحصار حاول الأسقف السريانى التوسط لدى الأسقف اللاتينى — باعتباره الممثل الأول لرجال الدين بينهم — لعقد هدنة لعدة أيام مع زنكى على أمل وصول نجدة اليهم . ولكن يبدو ان الأسقف اللاتينى رفض . ومع ذلك فقد أرسل باسيل خطابا بهذا المعنى الى زنكى الا أن أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى أن السريان كانت لديهم نية المسالمة تجاه الأتراك ولاغرو فى ذلك فقد كان السريان فى ذلك الوقت أكثر عداءا للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث — كما سبق الذكر — وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين اشارة موجزة فى قولها ان زنكى

---

(٢٤٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276.

(٢٤١) (L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880
Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.
هنا نجد كل من المصدر السريانى (L'Anonyme) ، بروبيه يسمى الأسقف الأرمنى Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثانى باسم Papias أما ميخائيل السريانى فيسميه Bafias
(Michel : Op. Cit. p. 262)
أما نيرسيس فيضيف أسقف رابع هو الأسقف الأرمنى اى البيزنطى للأساقفة الثلاثة السابقين .
(Nersès : Op. Cit., p. 259)

(٢٤٢) (L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880

(٢٤٣) Zoé : Op. Cit., p. 210.

بعد ان امتلك البلد عنوة اباد شيوخها ورهبانها (٢٤٤) » .

اما المصـــادر السريانية والارمينيه والمراجـــع الافرنجية فتشير الى مصير رجـــال الدين بشيء من التفصيل .

فبالنسبة للأسقف هيو اللاتيني فانه مات فى تلك المعركة امام قلعه المدينة التى قيل انه امر باغلاق ابوابها حتى لا يلجأ اليها احـــد ويشترك الجميع فى الدفاع عن المدينة . لكن تكـــدس الاهـــالى بشـــدة امام تلك القلعة جعل الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الأسقف الذى يقـــال ايضـــا ان احد الأتراك قتله فى ذلك الوقت (٢٤٥) . والراجح انه سقط من شـــدة الزحـــام فاجهز عليه احـــد الاتراك . وهنا يعلق وليم الصورى على وفاة الأسقف اللاتينى بقوله ، ان بعض رجـــال الدين اعتبروا ان هيو لقى جزاءه لشحه وتكديســـه الثروة الهائلة ، دون ان يقـــدم بعضـها من اجل الدفاع عن المدينة فجنى بذلك ثمار بخله وهلكت نقوده معه (٢٤٦) .

اما الاسقف الارمنى حنا فقـــد ذكر نيرسيس انه « نجا من المذبحة كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

واما الاسقف السريانى باسيل فقـــد فصلت المصـــادر السريانيـــة الكلام عنه وعن موقف زنكى منه . فقـــد قيل انه بعـــد المعركة وجـــده زنكى عارى الجسم فأمر بتدثيره واحضـــاره الى خيمته وهناك وبخه على عدم تسليم المدينـــة ، والحفاظ على ارواح من قتلوا فرد عليه الاسقف بان هـــذه هى ارادة الله وان ذلك النصر جعل اسم زنكى مشهورا بين الملوك المماثلين ، اما هو فبرىء امام السيد المسيح لانه لم يخن عهده . وعندئذ ابتهج زنكى من كلام الأسقف ورد عليه « انت تتكلم الصـــدق ايها المطران

---

(٢٤٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ابو شـــامة : الروضتين . حـ ١ ق ١ ص ٩٥ . تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قـــاضى شهبة : الدر الثمين . ميكروفيلم الباب الســـابع ٥٣٩هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit., p. 99, Iorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset: Hist. des Crois., V. 2, p 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 143.

(٢٤٧) Nersès : Op. Cit., p. 260.

لان هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرون من الله ومن الرجال ، وخاصة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) » .

وزاد من اعجاب زنكى بالأسقف باسيل انه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد اليه باعادة اسكان المدينة مرة أخرى واوصاه بحسن معاملتهم وظل هذا الأسقف حتى وفاة زنكى يتمتع بمكانة عالية جدا (٢٤٩) . وتمتع ذلك الأسقف ليس فقط بتقدير زنكى والمسلمين وانما ايضا بتقدير وحب الأهالى الذين أحسن اليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) .

والواقع ان معارك الرها فى اواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين للمدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم الابارز فيها ايضا ، حتى مات الكثير منهم فى تلك المعارك (٢٥١) . وفى احدى المقالات التى كتبها احدهم — وهو القديس حنا — وضع البراهين والادلة لاثبات مسئولية الكارثة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية فى المدينة التى عهد اهالى البلاد اليهم بالدفاع عنها (٢٥٢) .

كنائس الرها ١١٤٤م :

وعندما بدا هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شىء فيها بما فيه الكنائس التى خرب الكثير منها ونكست صلبانها (٢٥٣) ، ثم أمر زنكى بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

---

(٢٤٨) Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189. (Michel) عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337. عن

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist, des Crois, p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189, 195.

(٢٥٠) Michel : Op. Cit., p.p. 263-264.
فقد ساهم بماله الخاص فى شراء حرية الكثير من الاهالى الذين كانوا قد تحولوا للأسر والعبودية .

(٢٥١) Nersès : Op. Cit., p.p. 251-253, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 269.

(٢٥٢) Michel : Op. Cit., p.p. 266 — 267.

(٢٥٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، جـ ١ مخطوط ، حوادث ٣٩هـ ، ابن قاضى

=

أو تحويلها الى أيدى المسيحيين الوطنيين (٢٥٤) . أما كنائس الارمن والسريان فقد ابقى على الكثير منها وحول البعض الآخر الى مساجد (٢٥٥) . ويضيف المصدر السريانى ان زنكى عندما شاهد روعه الكنائس السريانية امر بتزويدها بجرسين كبيرين بل انه « حاول اشفاء قدميه من النقرس الذى كان يعانى منه عن طريق وضعهما فى مياه من بئر ابجر (٢٥٦) » .

رجال الدين فى الرها ١١٤٦م :

وبعد ثورة الرها عقب وفاة زنكى اعاد ابنه نور الدين فتحها، فقضى على كل اهالى الرها — كما بينا — اما عن رجال الدين فقد قتل غالبية الأساقفة والرهبان الذين نجوا من مذابح الفتح الاول للمدينة على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجال الدين اليعاقبة الذين فروا فوجدوا ملجأ لدى شركائهم فى الدين فى ماردين وشبختان . حيث عوملوا بكرم (٢٥٨) . أما مصير الأسقف اليعقوبى باسيل والأسقف الأرمنى حنا ، فقد فر الأول الى سميساط ، أما الثانى فقد أسر وسير الى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس فى ذلك الدور فقد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث لبقية منشآت المدينة ، وحتى ماتبقى منها ، فقد هجر وتعرض للسلب بواسطة جيران الرها وخاصة اهالى حران (٢٦٠) .

شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .
Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.
(٢٥٤) Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338.
(٢٥٥) Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et de Géographie ecclés. T. 14, p. 1422.
(٢٥٦) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme)
(٢٥٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)
(٢٥٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885.
(٢٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.
(٢٦٠) Michel : Op. Cit., p. 272.

الخاتمـــة

وبعـد فانه يتضـح من العرض السـابق كيف كانت امارة الرهـا من ناحيـة تاسيسها اولى الامارات اللاتينية التي قامت في الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيـام تلك الامارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسسها الصليبي بلـدوين البولوني مشقة كبيرة ، على عكس الوضـع بالنسبة للامارات الثلاث الأخرى .

وقـد اوضحنا في بحثنا كيف بدأت امارة الرهـا ارمينيـة لاتينية ، ولكنها صـارت بعـد فترة وجيزة امارة لاتينية صرفة ، بعد ان تخلص اهلها من حاكمها ثوروس الذى كان مكروها منهم لأمور عدة أهمها أنه من اتباع كنيسـة القسطنطينية .

كذلك اوضحنا في هـذا البحث العوامل التي سـاعدت هـذه الامارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمته من مصـاعب جمة ومشقات عدة . ونلخص هـذه العوامل فيما يلى :-

اولا : كان لأهل الرهـا الفضـل الأول والأخير في الحفاظ على تلك الامارة . ولعب العنصر الأرمنى بالذات دورا بارزا في هـذا المجال لما لقيه في غالبية الأحيان من معاملة ودية من امرائها الصليبيين ، بسبب زواج غالبية أمراء تلك الامارة من أرمينيات ، اذا استثنينا بعض الظروف التي تعرض فيها العنصر الأرمنى للتنكيل من جانب الفرنج خاصة عام ١٠٩٨م ، ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م . واذا كان هـذا التنكيل الذى لحق بالأرمن قـد تركز بالذات في عهد كل من بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، فان عهدى جوسـلين الأول والثانى لم يشهدا سوى الاخلاص والحب والتفانى من جـانب العنصر الأرمنى للأمراء الصليبيين . وخير مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التي قام بها الأرمن لأطلاق سراح جوسـلين الأول من سجنه في خرتبرت ١١٢٣م .

كذلك سـاهم العنصر الأرمنى بمجهود كبير في الحركة التوسعية لتلك الامارة على حسـاب جيرانها المختلفين . بل أن اهـالى الرهـا جميعا ضحوا بالكثير من ابنائهم اثناء الصراع بين صليبى الرهـا وبين المسلمين ، خاصـة في معركة حران ١١٠٤م ثم في ١١١٠م اثناء حملة مودود على الرها

واخيرا فى الدفاع عن الامارة ضـــد كل من زنكى وابنه نور الدين ١١٤٤م ، ١١٤٦م .

ثانيا : سياسة التســامح الدينى التى اتبعها الأمراء الصليبيون للامارة تجـاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من أرمن وسريان كى يجعلوا منهم سندا كبيرا لهم فى مواجهة المسلمين .

ثالثا : الغنى الاقتصـادى الكبير للامارة والذى حماها اكثر من مرة من اى حصـار اسلامى اقتصـادى يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء الشرقى من الامارة فى ١١١٠م بعـد أن رحل سـكانه الزراعيون ، ظل الجزء الغربى كفيلا بأن يسـد حاجات الاهـالى جميعا ، وأن كان ذلك قـد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التى كانت قائمة بين الامارة وبين مملكة بيت المقـدس الصـليبية اذ ظلت الامـارة حتى سقوطهـا تـدين بالتبعية الاقطـاعية للمملكة (١) . والواقـع ان الرابطـة بين امارة الرهـا وبين مملكة بيت المقـدس كان يدعمها عامل آخر هو أن أول ملكين صليبيين لبيت المقـدس ــ بلدوين الأول وبلدوين الثانى ــ كانـا قبل ذلك اميرين للرهـا تحت اسم بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، ولذا كانا يشعران دائما بالحنين الى تلك الامارة التى شهدت بداية ظهورهما على المسرح السياسى والعسكرى فى الشرق ، ممـا جعلهما يبذلان كل ما فى وسعهما لتحقيق الأمن والســلام لتلك الامارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك بلدوين الثانى من أسر جوســلين دى كورتناى ١١٢٢م (٥١٦هـ) وتوجه الملك للأنتقام من آسرية ووقوعه هو الآخر فى أسر الأراتقة ١١٢٢م (٥١٧هـ) .

خامسا : وجود بعض العناصر المنشقة المتنافسة فى الجبهة الاسلامية التى اتاحت بانشقاقها الفرصـــة لتلك الامـــارة كى تصمد حتى فى أحرج فترات نموها . مثـــال ذلك التأييد الذى وجـدته امارة الرهـــا ١١٠٨م (٥٠٢هـ) من جـــانب الأمير جاولى ، فى الوقت الـــذى أيد فيه رضوان صــــاحب حلب أمير انطاكية تنكريد . وكان من الممكن اذا تكتلت الجهود

---

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.
هنا يذكر (بازدرمادجيان) أنه فى ١١٠٠م تكونت فى سوريا أوربا أخرى على غرار أوربا الكبرى . وقام بها النظام الأقطاعى بشـــكل اقسى مما كان موجودا فى اى دولة غربية .
(H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 206).

الاسـلامية ضـد الاميرين الصـليبيين المتنـافسين ، ان تقضى على احـدهما ، مثل أمير الرهـا . كذلك كان من الممكن ان تسقط امـارة الرهـا ١١٢٢ ـ ١١٢٣م . عندما كـان أميرهـا أسيرا هو وملك بيت المقـدس نفسه فى قبضـة بلك الأرتقى ، لكن الانقسام فى صفوف المسلمين والأحقاد الشخصية لعبت دورها فى تضييع تلك الفرصـة أيضـا ، حتى ان بلك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤م .

فاذا أضيفت الى ذلك العقبات التى اصطدمت بها حركة الجهـاد الاسـلامى التى بدأهـا مودود ١١١٠م ، لأكتمل تأثير هـذا العامل فى امتداد حكم تلك الامارة فترة من الزمن . ففى الوقت الذى كان مودود قـد احرز قـدرا كبيرا من التقدم فى صراعه ضـد الفرنج عامة وضد الرهـا خاصـة نراه يقتل بيد احـد الباطنية ١١١٣م (٥٠٧هـ) . ثم اعقبه فى نفس المصير أيضـا البرسقى وذلك ٥٢٠هـ ـ ١١٢٦م .

لكن اذا كانت تلك العوامل مجتمعة قـد اخرت بعض الوقت سقوط تلك الامارة ، بعـد ان تجشمت للكثير من المشقات فى حماية الجـانب الشرقى للصرح اللاتينى فى الشرق ، فاننا أوضحنا فى بحثنا العوامل الأخرى التى تضافرت فى النهاية للقضـاء على تلك الامارة واهمها :

١ ـ تفكك الحلف الفرنجى البيزنطى الـذى مثل لفترة من الزمن عائقـا مهما أمام جهود زنكى .

٢ ـ العداء بين امارتى الرهـا وانطاكية الذى ترتب عليه انعدام وجود سند صليبى قريب جـدا للرهـا .

٣ ـ انصراف امير الرهـا جوسلين الثانى الى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ عن امارته .

٤ ـ ظهور الشخصية الاسلامية القويـة ، المثلة فى عمـاد الدين زنكى . التى كبدت الصليبيين خسائر جمة فى بلاد الشـام ، حتى سقطت امارة الرهـا على يديه . وكان يمكن ان يمتد الحكم الصليبى لتلك الامارة فترة اخرى بعـد وفـاة زنكى غيلـة ، لولا ان الظروف خدمت القضية الاسـلامية فى ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بحمل راية الجهاد الاسلامى ، واكمل الجهد الكبير الذى بدأه ابوه وحقق هو الاخر قدرا كبيرا من النجاح فى ذلك المجال . وبذلك محا نور الدين امارة الرهـا تماما من الخريطـة المسيحية ، وهو الأمر الذى حرك الحملة الصليبية الثانية .

٥ ـ وعند سقوط الرها كان صليبيو الشام غاية فى الضعف لا يرجى من ورائهم اى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القدس تحت حكم ملك شاب قليل النشاط فى حين سيطرت النساء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع أن اهم ما عنيت بابرازه فى هذا البحث هو الحقيقة الخاصة بأن امارة الرها كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين الممتلكات الأرمينية خارجها من اجل التوسع .. وحرب حركتها الأحقاد والأطماع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكية . هذا الى جانب مشاركتها لبيت القدس فى حروبها المختلفة ضد المسلمين ، بحكم تبعيتها الأقطاعية لها .

لهذا كانت حياة الاستقرار والهدوء وما يتبعهما من ترف وتقدم حضارى من اهم المظاهر التى افتقدتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامة فى ذلك الوقت فلا شك فى ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الأخطار التى عاصرتها الامارة .

وهكذا يبدو الجديد فى هذا البحث فى انه يعطى صورة متكاملة لامارة الرها من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية . بعكس الدراسات العامة التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربية ضمن اطار الحروب الصليبية بوجه عام .

هذا فضلا عن اننا استكملنا بعض الحقائق الخاصة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجع بطريقة ناقصة او خاطئة ، والقينا اضواء على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرها وجيرانها المسلمين أو بينها وبين الصليبيين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا فى كل ذلك بالمصادر الاصلية التى يتركز جزء كبير منها فى الموسوعة الضخمة التى تجمع ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية
Recueil des Historiens des Croisades

هذا بالأضافة الى ما كتبه وليم الصورى William of Tyre

---

(٢) Zoé : Op. Cit., p. 350.

الـذى اعتمدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة من اللاتينية .

هـذا فضـلا عن المصـادر البيزنطية واهمها كتاب الالكسياد الذى كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad

والمصـادر السريانيـة وعلى راسها كتـاب ميخـائيل السريـانى Michel Le Syrien والمصادر الارمينية وعلى راسها ما كتبه متى الرهـاوى والكاهن جريجوار والقـديس نيرسـيس شـنور هـالى Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali. صـاحب قصيدة رثاء الرهـا التى اوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق مع بضـع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا اهمية المصـادر العربية المخطوطه والمطبوعـة ، وهى التى افادتنا كثيرا ببعض النقاط الجـديدة مثل مؤلفات ابن القلانسى وابن الاثير وابن العـديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل اهمية الكثير من المراجع الحديثـة التى امدتنا ببعض الاراء الهامة ومنها كتاب بروبية المترجم عن العبرية الى الفرنسية والمطبوع بباريس ١٩٦٩م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

وكتاب اولدنبرج Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى استفدت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع الوصول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الاراء الهامة عنه احيانا أخرى .

تـم بحمـد الله

ملحـــق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التى حملها رســـل اتباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة اخيه وليدعوه الى حكم القـــدس بدلا منه ١١٠٠م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القـــدس ـــ جود فرى ـــ يتمنون لك الصحه . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كى نخبرك ان اخاك جود فرى حاكم بيت المقـــدس قـــد توفى . وبناء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية أن تحضر بسرعة وتتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لأنهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا أن يكون اخا او قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقسموا الا يحكم بيت المقـــدس أو يجلس على عرشها أجنبى » .

ملحـــق رقم (٢)

نص خطـــاب تنكريد الى بوهيموند ، الـــذى طلب فيه النجدة ضـــد الأتراك المهاجمين للرهـــا ١١٠٤م بعـــد وصـــايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتمنى تنكريد التوفيق لخـــاله السيد بوهيموند ـــ حـــاكم انطاكيـــة العظيم . لقـــد تراجعت ـــ بأمر الاله ـــ عن الرهـــا وتركتها بين أيدينا ، وعينتنى مدبرا وحـــاميا للرهـــا ، فى مكان اخينـــا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحـــدا من جديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرهـــا مجاة ، ليدمروا قلاعها واســـوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينـــة ، ويأخذونى أسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلأننا

معتمدون على ثقة تقديرك ، الذى تكنه دائما للمخلصين للمسيح ، قررنا أن نحيطك علمـــا بما يحـــقق بنـــا من أخطار ورغم علمنا بالصعاب التى تواجهك ، الا انه يجب استدعاء الحلفاء والأصـــدقاء من انطاكية والأماكن الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعـــد أن غلبنا على أمرنا وحوصرنا ، حتى نقلل من تهديدات الأتراك ونحـــد من غرورهم ونطردهم — باســـم السيد المسيح — ونفك الحصــــار الذى نتعرض له حاليا . لأنه يجب أن تعلم أننا قلة فى هـــذه الأرض .. فاذا تفرقنا وأصـــابنا الاجهاد سنفشل ولا نستطيع الوقوف أمام شجاعة الأعداء » .

ملحـــق رقم (٣)

نص رســــالة بوهيموند وتنكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب جكرمش رد اسيرة سلجوقيـــة كانت فى انطاكيـــة فى مقابل اطلاق سراح بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 619.

« نقـــدم الطاعة الى السيد بلـــدوين ملك بيت المقـــدس المتعصب للمسيحية دون تردد ، وقـــد قررنا نحن بوهيموند وتنكريد أن نكون عنـــد حسن ظنك من اجل اطلاق سراح بلدوين الصـــديق والحليف . لقـــد كان اسره ومازال مصـــــدر قلق لنا ، لكننا يجب أن نحصل بقـــدر الأمكان على اى مبلغ من المـــال بالقوة مع الاخ بلدوين من اجل رد الاسيرة السلجوقية ، لاننا فى حاجة الى المـــال بشـــدة لدفع مرتبات الجنـــد ، نحن المخلصين لكم باستمرار » .

ملحـــق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لأهالى القـــدس كى يحثهم على مساعدة الرهـــا ضـــد الأتراك ١١١٠م ، بعـــد انتصـــاره فى بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid , T. 4, p. 671.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا وتحقق انتصـــارنا ..

لكن الآن ، ابحث عن ارادتكم الطيبة ، انتم جميعا ، كى نقـدم المسـاعدة لامارة الرهـا ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالمـا انهم حلفاء لنا ، وهم مستعدون لمسـاعدتنا فى كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتردد فى التعاطف مع اخوتنا واصـدقائنا » .

ملحـق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال مذكرته (انا كومنينا) عن بعثة الامبراطـور الكسيوس كومنين الى ملـك بيت المقـدس بلـدوين الأول بخصوص تنكريد امير انطاكيـة .

عن : Anna Comnena : The Alexiad., p. 367.

« عندما وصـل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينـة المقدسـة كى يتفـاوض مع الملك بلدوين ضـد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المـال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعـدت بانك سوف تسـاعد الامبراطور ضـد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المـال الذى ارسل اليك بدون تأخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته فى مسـاعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود تضـايق ، وكل السـلالة البربرية مثله ، فهى دائما فاغرة فاها من أجل الحصول على الهدايا والمـال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الـذى من أجلـه دفـع المـال » .

قابل الرسول ايضا الأمير جوسلين دى كورتناى فى يوم عيد القيامة — حيث كان قـد حضر للعبادة فى كنيسـة القيامة — وجادلـه فيما يلائمه (بخصوص موضوع تنكريد) ولكن عندما اكتشـف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقـدس دون أن ينجز شيئا .

ملحـق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى أمير انطاكية والامراء الصليبيين بعـد انسحابهم من شيزر ١١٣٨م .

عن William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند أننا مكثنا فى جوارك وقتا طويلا لحبنا لك ، انه يجب أن نوسع امارتك ونمد ممتلكاتك لضرب أعدائنا . ولقد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى أتممناه سابقا من خلال وساطة الرجال الحكماء فى امبراطوريتنا . محبوب الله ، وأنت ياتابعنا المخلص ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهذا وقت لانجاز وعدنا بوضع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقفون معك فى حضرتنا يعرفون أيضا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى يأخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضح ان شئونك تتطلب اقامة اطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا اكثر . لذلك يجب ان تسلم لعنايتنا قلعة هذه المدينة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضع هنا فى أمان . قواتنا ايضا يجب ان يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينة . الات الحرب التى تحتاج اليها لحصار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس او عين زربة او المدن القيليقية الأخرى ولهذه الاغراض فهذه المدينة تقدم تسهيلات حسن من اى مكان آخر — أنجز وعدك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمل واجبك وسيكون عمل سمونا الامبراطورى أن تنفذ الالتزامات الباقية علينا » .

ملحق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتنكيل الأمير مودود وقواته بأهالى الرها ١١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة اهالى الرها واهالى الاقليم المحيط بها ، من مخابئهم ومعهم النساء والأطفال فى اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحدث عندئذ ان قام اثنان من الفرنج بعمل مخل بالأصول ، اذ توجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيدة المسيحية ، واخبروه بهروب ذويهم وانسحابهم . وكان ان اسرع مودود لمطاردة المسيحيين ، ماراق الدم فى كل مكان . من الرها حتى الفرات ، واباد اهالى المدينة واهالى الريف سواء . وعندما وصل مودود الى شاطىء الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم واسر العديد من النساء والأطفال . وكان الفرنج قد توجهوا قبل ذلك الى الشاطىء المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعـــاج تمر تحت حـــد السيف ، وأنزل بهم سودود عقوبـــة الانتقـــام الالهى بمثل تلك القسوة حتى ســـال الفرات بفيضـــانات من الـــدم . هناك كثيرون غرقوا فى ميـــاه النهر ، لان اولئك الـــذين القوا بانفســهم فى المـــاء واجتهدوا للوصول الى الشـــاطىء الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . اما الذين ركبوا المراكب فقـــد اكتظت بهم حتى غرق منها خمســة أو ستة بسبب امتلائها بهم . وفى ذلك اليوم أيضـــا تعرض كل اقليم الرهـــا للنهب بعـــد ان اخلى من السكان . كانت تلك هى الكارثة التى اشـــار اليها الرســـل القدامى فى كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على امـــة ابجر » .

اما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقـــد شـــاهدوا فى حزن تلك المنـــاظر المروعة ، دون ان يستطيعوا ان يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينـــة .

ملحـــق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السريانى للرهـــا ١١٤٦م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب ، ويوم بدون شفقة ! حلت فيـــه كارثة الغضب الشـــديد على الرهويين البؤســـاء يا ليل الموت وصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهـــالى المدينـــة العظيمـــة . يا للحسرة ايها الأخوه ! من يستطيع ان يروى أو يسمع دون دموع ، كيف ان الأم والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخترقهما سهم واحـــد دون ان يحدا من ينقذهما أو ينتزع السهم من جســـدهما ! وكيف ســـحقت حوافر الخيل بعـــد ذلك كل من لحقت بهم فى قســـوة ! وطوال الليل رشقت اجســـامهم بالسهام ، وعند انبلاج الصباح ـــ الـــذى كـــان اكثر ظلاما من احلهم ـــ ضربوا بالسيوف والرمـــاح » .

لقـــد اهتزت الأرض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالمنجل على السنابل وكالنار فى الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واختلطت جثث الأســـاقفة والشمامســـة والرهبان ، والنبلاء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرهـــا الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحة العفن من جثث ابنائها وبناتها ! فاسرعت اليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينة لتقتات اثناء الليل من جثث القتلى .

نعم ، غدت الرها مقرا لأبناء آوى . ولم يعد يدخلها احد سوى اولئك الذين كانوا ينبشون ليكتشفوا ثرواتها . اما اهالى حران وبقية الاعداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الاعيان قائلين مرحى ! مرحى !

ملحق رقم (٩)

العظة التى كتبها ديونيسيوس الامدى بصدد خراب الرها ١١٤٦م ونقلها لنا ميخائيل السريانى .

عن : Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن ان نصدق أن السيد المسيح الذى لم يتمن فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والاسر ... الخ ؟ فاذا قيل ان هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مساعدته ، وهو المطلع على كل شيء ، يكون هذا نوع من السباب ، لأن المسيح لا يتخلى ولا تتكاسل يديه منا ، لكن عندما تخلينا نحن أولا عن ارشاداته ، عندئذ سمح بأن نوزم بأيدى الاعداء ، حتى نتأدب . فنحن السبب فيما يصيبنا من نفع أو ضرر . فاذا اعترفنا بوجوده ، فان الله يساعدنا ، وعلى العكس اذا انحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وقادنا الشيطان الى انجازها . ان السيد المسيح ترك المصائب تحل بنا بسبب ضلالنا ، كما حدث لأهل الرها الذين كانت نهايتهم اسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانية لا يستطيع اللسان تحديد فظاعتها . لكن يجب الا ننسى أيها الرجال أن تلك الأمور وغيرها من الأمور المشابهة قد حلت ليس فقط بسبب معصية هذا الشعب وحده بل ايضا بسبب المعاصى الكثيرة التى ارتكبت فى كل الأماكن وفى كل البلاد ففى تلك الفترة السيئة ابتعد كل شخص عن العدالة وانغمس فى الظلم ، ابتعد عن القداسة واستسلم للكفر . وتضاعفت المعاصى واصبحت اكثر من شعر الراس . ومع ذلك فان عددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

ايها الاخوة يجب ان نتوب ونرتعد ونخشى عاقبة مجورنا ... وهذا يكفى الآن » .

ملحق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنورهالى الأرمنى عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhali : Eligie sur la prise d'Edesse,
(R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نداء لعموم النصارى :

ايه نوحى أيتهـا الكنائس — ياعرائس الخدن السماوى (٢)
أيهـا الأخوة والأخوات الأحباء — المقيمون فى ارجـاء المعمورة كلهـا
يا ايتها المدن والقـرى — يا أمم الأرض وقبائلهـا
يا ابها المؤمنون بالمسيح — اليكم اوجـه رثائى
فاستمعوا لعويلى وبكائى

نداء لمدينة القدس :

يا قـدس ، يا مدينـة الله — يا مهـد الشريعة والأنبياء
يا موطن الله الأوحـد — الـذى اشرق على نوره السـاطع
لانى أول من اعترف بمساواة الابن للأب
اصغى الى ايتها الحبيبة — والى بكائى ونحيبى
شـاركينى فى اوجاعى وعزينى — وواسى فؤادى الجريح الكئيب

نداء لمدينة رومـا :

وانت يا روما ، يا أم المـدائن — يا موطن العظمه والجلال
يا كرسى بطرس الأعظم — اليك خطابى وحـديثى
اصغى لوقف مداوسى وكرسيه — اصغى لصوتى من بعيـد.
الا ابكى معى ونوحى — وانضمى الى بالنحيب
اسرعى ومـدى الى يـد المعونة — فانى فى الأغلال فى غياهب السجون
هلمى للثـار والانتقـام — ممن عادانى واستعبدنى

---

(١) هذه بعض مقتطفات من القصيدة التى اقتصرنا فيها على الفقرات الهامة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضـوع (البحث) . افتتحهـا المؤلف بقوله (مقالة للانبا نيرسيس بطريرك الأرمن . وضعها باسـلوب الملحمة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرهـا الكبرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعه وثلاثون هجريةفى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ، السـاعة الثالثه ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوربيه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م السـاعة التاسعه صباحا .

(٢) الخـدن السماوى هو المسيح .

نـــداء لمدينـــة القسطنطينية :

اليك دعـــائى الملهوف يا مدينه العظمة والابهه
يا من شـــادها الملك قسطنطين على أبواب آسيا الصغرى
لقـــد اصبحت قدســـا أخرى وروما جـديدة مجله
لقـــد كنت ملكا لك وجزءا منك يا أم المـــدائن
وبنيت على أرضى هيكلا وسميته باسم هيكلك (٢)
اليك أتوســـل . عبثى قواتك العـــاتيه
واطعنى الأعـــداء فى صميمهم ثأرا وانتقاما

نـــداء لمـــدينه الاسكندرية :

ها انى اصرخ تحت ابوابك يا أم المـــدائن المصرية
لقـــد اسسك الاسكندر الأعظم وشيدك على اسمه
انت كرسى مرقس كم اقام فيك من آباء عظـــام
وتربعوا على عرشـك لكنهم مضوا الآن
وكانى بك فى حال يدعو الى الرثاء مثلى .
كنا يوما مدعـــاة للحســـد والغيرة وامسينا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة ولذلك فـــانى اتوســـل اليك أيتهـــا
الشقيقة الجليلة ان ارثى معى الآن وابكي.

نـــداء لمـــدينة انطاكيـــة :

اليك حديثى وعتـــابى يا شقيقتى الحبيبة انطاكيـــة
يا موطن الرســـل وموئلهم اية ايتها القرينة الحبيبة
لم لم تهرعى الى وانت فى اليسر والسعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة بل شمت بى وتركتينى
هلمى واصغى الى نحيبى وشـــاطرينى حسرة اضرمت فؤادى
وولولى معى وانتحبى وواسى قلبى الجريح

نـــداء لمـــدينة آنى :

اليك ايضـــا ندائى يا مدينة آنى عاصمة المشرق
ضمى نحيبك الى صوت نحيبى وعزينى فى محنتى
انظرى الى ذلى وشقائى والى محنتى وعاالى

---

(٢)كنيسة اياصوفيا اوسانت صوفى.

هلمي وافرجي الغم عني هيا واجمعي بناتك
وبـادري الى البكـاء على والبسي الحـداد
وادعـي مم الأرض الى الرثـاء والنحيب
واقلقيها بانينك المفجـع فليس للقلوب المكلومة من دواء
غير التعزية والسـلوان

الرهـا تسرد تاريخها المجيد وتشيد بغناهـا :

سـأذكرها هنا ما أسبغه على الله تعالى من نعم
ثم الويلات التي حلت بي نقمة من اجل ذنوبي وآثامي
كنت اما لرهط من البنين وولدت منهم عـددا لا يحصى
وأرضعتهم من لبن ثـدي وربيتهم خير تربية
ونشـأتهم خير تنشئة اذ كنت أرضـا خصبة معطاء
وينبوع لبن سخي لقـد تراكمت في الخيرات
وغلات الأرض بأصنافها وانبثقت من أحشـائي ميـاه حية
انعشت الأغراس الخضراء وروت البسـاتين الفيحـاء
وجلبت على الأهالي الفرح والبهجة وكانت مياه البحر تمتد بين أسواري
فينبعث منها نسيم عليل وتغسلني وتطهرني
وتزين الميـادين وتنعش الأعشـاب والأزهار البهية
وتجعلني كاحـدى جنـات عـدن ثم تنسـاب بين الأشجار الكثيفـة
متثمر موفرة وسخاء وتتمايـد باغصـانها الهيفـاء
وتفوح منها عطور سماوية فتضمرني بالنرجس والزعفران
مع أطواق الورود والبنفسج كم كانت تربتي خصبة غنية
بما تدره علي من ثمار وأرزاق لو شـاء احـد حصرها وتعدادها
لما وجد الى ذلك سبيلا مهما سعى فكانت تربتي اذا حرثها
الحـارثون وزرعوها تجلب الأرزاق الوافرة
والغلات الكثيرة اقوت بها أبنائي
فيفرحون ويبتهجون بما لديهم من خيرات جمة .
ولو وجـد من استطاع أن يصف موقعي وصفا ملائما
لمـا وجد لي مثيلا في مدائن الأرض كلها
كنت متربعة على عرشي الفخم كملك اعتلى مركبته
او ملكه رائعه الجمال تجليت برداء زركش بالفضة والذهب
وهـدب بأهداب مراقـه وازدانت بأبهى الحلل
وكانت الأسوار تحيط بي وحصن منيـع يحميني

والقلاع الشـــامخة الرهيبة المتقنة البنـاء والتحصين
كانت كالرؤوس الضخمة على ابدان متينة مسلدة
وكان لاسوارى اسس عميقة وفى اعاليها تسنن كأسنان التيجان.
وكان فى مبان فخمة وهيكل رائـع شيد فى المنطقة الوسطى الفنـاء
ثم الأسواق والشوارع تمتد بتنسيق وانتظام
والقصور الشـامخة التى يعجز لسـانى
ولسـان اى انسـان عن وصف بهائها وروعتها
فانها كانت تحاكى الديار السماوية وتضاهى المواطن العلوية
ساحرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخـاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حـدثت عنـه
وسردت قصته بايجاز كان فى عصر غابر
لكنه اضمحل الآن بغتة . كنت فى خير وسعة
كنت فى هناء ورخـاء حتى أكبرنى من رآنى وعظمنى
ومن سمع عنى اعجب بى ولكن جاءت سـاعة المحنة
وكل ما اسبغ على من نعمة زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر علقم وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الدى الآن سوى الاشفاق

حال الرهـا بعد فتح الفرنج لها :

لقد تدحرجت من السماء الى الأرض من الاعالى الى الحضيض
موطئت وذللت ونسيت وصـايا ربى
وهجرت شريعته وارتكبت الذنوب والآثام
وتدنست بالمنكرات منذ تلك الساعة التى بدات فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

الاتابك زنكى يحاصر الرهـا :

لمـا تحقق زنكى من ذلى وهوانى زحف نحوى زحف الثعابين
ليلسعنى فى كعبى ويرشقنى بسهامه الخفية
اختبأ فى الحقول ثم أجهز على على حين غرة
فى ساعة لا انتظرها اذ انه ما ان تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحماتى حتى حاصرنى من كل ناحية

وهاجمنى بقواتــه وسدوا فى وجهى كل سبيل
ولم ينفكوا يحاربونى ويضايقونى ليل نهار
ولم يزالوا يعيرون تحركاتهم ويقتحمون الميدان بقوات جديده
لقــد مدججوا بالســلاح واشهروا الحراب
واستتروا وراء مجنات جلديه ورفعوا الاقواس والاسنة
وراحوا يرشقونى بسهامهم الحاده
ثم ســـادو امامى سورا ونصبوا عليه المنجنيق
وامطرونى بوابل من الحجارة وامعنوا ضربا وتحطيما
وجاهدوا واستماتوا لكنهم لم يستطيعوا
قهر رجالى وابطالى حتى لجأوا الى حيلة
فقــد حفروا كما يحفر الخلود ثغرة فى قاعدة السور
ثم نصبوا فيها الاعمدة والاوتاد من تحت السور وابراجه
واعدوا العدة لحرقها على ما جرت عليه عادتهم
ثم هتفوا باهل المدينة قائلين : « هلا كففتم عن المقاومة
كيلا تموتوا شر ميتة واستسلموا راضين لا صاغرين
والا فبئس المصير »

استماته الوهويين فى الدفاع عن مدينتهم :

لكن اولئك الابطــال ما ان سمعوا هــذا الوعيد
حتى ابوا ورفضوا واقسموا وتعاهدوا
الا يخلو الميـدان ولا ينسحبوا من المعركة
ولا يصغوا لتهديد العدو ولا يفتحوا لهم ابواب المدينــة
وراوا انه من الافضـــل ان يموتوا فى مواقعهم
من ان ينكثوا بعهدهم ثم راحوا ينــادون بعضهم بعضـــا
ويهتفون قائلين : « لن نخاف ولن نهلع
ايها الاخوة من سيوف العدا ولن ندع ســالة الابطــال
يعتريها رعــدة الانذال ولنخلفن من بعدنا اسما ابيا
يعلن على جميع امم الارض علمنا بالشدة ورباطة الجاش
مازالت آمالنافى الديار السماوية ».
ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال بعضهم لبعض
ويتبادلون عبارات التوعد والتشجيع وراح الاب يحث ابناءه
والابناء يستمدون للقتال وعلا نداء المعركة

واقتحم الميادين والمنازل فلم يعد بينهم خاصـة موقرين
ولا سوقة مذلولين بل كلهم متساوين متحدين
وعلى راى واحـد مجتمعين وكان المطارنة والكهنة
كل واحد يستحث جماعته على الصمود والنزال
وعلى الوقوف وقفة الشجعان فى وجه الاعداء
بلا خوف من سيوفهم التى لا تفتك الا بالاجسام

انقطاع امل الاهـالى فى وصول المـدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون عبارات التشجيع ويقولون :
ها هى ذى الحشود السماوية آتية لشـد ازرنا ومساندتنا » .
وينتظرون من يعينهم ويبثون الأنظار فى الطرق والمسالك
ولا ينفكون ليل نهار ينتظرون النجـدة
لكن لم يصـل أحـد ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا عن مـد يد المعونة الينا
عندئذ دب الجهد والنشـاط فى صفوف العدو
لتنفيذ حيلة المنجنيق على جناح السرعـة
وبسبب معاصى الكثيرة وآثامى الجسيمة
قطعوا على كل سبيل للمدد والمعونة

انهيار طرف من السـور واحـداث أول ثغرة فيه :

ان فؤادى الآن ليدمى وعقلى وروحى يضطربان
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب ذلك الصباح المظلم
ذلك النهار الاسود القاتم وطلعته السوداء المكفهرة
حين انبعثت نيران سادوم (٢) من اعماق الأرض
ولم تمطر من السماء بل من اجواف الخنادق
واذا بالسور الحصين ينهار ويتداعى
ويندك من أسـه .

---

(٢) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيهما الاثم فأمطرهما الله من السماء بالنـار والكبريت وهنـا يقول (نيرسيس) ان النـار لم تمطر من السماء كما حـدث لسـدوم وعمورة بل جـاءت من الأرض من الثغرة التى احدثها المسلمون فى قاعدة الأسوار . (عن سـدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الاصحاح التـاسع عشر) .

صمدة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا ... ولم يلذ احدهم بالفرار
بل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم ... الأخ يشجع اخاه
ويشد ازره ببسالة
وصمدوا على خرائب الأسوار ... المدمرة
يحرضون بعضهم بعضا على الكفاح ... والكهنه بحللهم الكهنوتيه
اشهروا الرماح والسيوف ... والأحبار الاجلاء
رفعوا راية الصليب بأيديهم ... وهم يهتفون باعلى اصواتهم :
« لا تخافوا أيها الأبناء الأحباء ... لا تخشوا أن تموتوا ميتة الأبطال
فانها افضل من هذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الأولى :

عندئذ احتشدت قوى الأعداء ... بكامل عددها وعدتها
واندفعوا على ثغرة السور ... لكن الجنود البواسل
ما لبثوا ان هرعوا اليهم ... ووقفوا فى وجوههم
وردوهم على أعقابهم .

انتحار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتنى ... يتم ها هنا حديثى
لكن لا طائل من الصمت ... لقد اصابتنا وحلت بنا
أرزاء وخطوب جسيمة ... اذ عندما عجز الأبطال
والمحاربون عن صد الهجوم ... هتف القائد الجهنمى (زنكى)
بقواته الجرارة ... وامرهم ان ياتوا على كل شىء
قتلا وسبيا وتدميرا ... فاحدقوا بالمدينة من كل صوب
وطوقوها ثم اقتحموها ... ولاحقوا الأهلين واحدا واحدا
أما ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا ... واما الأقوياء فازدادوا همة وشدة
والبعض سعوا الى الموت حثيثا ... وآخرون ماتوا ذعرا وهلعا
وتجمع نفر قليل من الرجال ... غير كاف لحماية الأسوار
لكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم ... لما كان قد لحق بهم من ارهاق
ولما تحملوه فى قتال طويل ... كان قد بدأ منذ شهر ونيف

اقتحام الأسوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الاسوار خالية من الحرس

فتسلقوها صاعدين واقتحم بعضهم الأسوار
وما أن شاهد الأهالي ذلك حتى استولى عليم الذعر
فاطلقوا أصواتهم صارخين واسرعوا الى الهرب .

اهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب تراجعوا الواحد تلو الآخر
وهرعوا مسرعين نحو باب القلعة
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا فجرت دماؤهم كالسيول :
الشبان والأطفال ذبحوا بلا رحمة
ولم يرحموا شيب الشيوخ ولا براءة الغلمان
ولا حرمة الكهنة ولا جلال الاحبار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة الغادرين الذين كانوا يحمونها
اقفلوا الأبواب في وجه الأهالي ولم يسمحوا لأحد بالدخول
فحاول الشعب أن يلوذ بالفرار هربا من حد السيف
وتهافتوا على الابواب كملجئهم الأخير وراحوا يتسابقون اليها
ويتسارعون ويتصادقون لكن الأبواب اقفلت في وجوههم
وكانت سيوف الأعداء من خلفهم فتكومت جثثهم على الأبواب
اكواما عالية . رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا
واحداثا من كل جنس وسن . كانت البنات يبكين في أحضان امهاتهن
والأمهات يتشبثن باطفالهن ويلاقين الموت معهم
والآباء يسألون عن بنيهم لعلهم يجدون وسيلة لنجاتهم
والأبناء يسعون مع آبائهم بحثا عن مكان أمين
لكنهم لم يجدوا من معين فالشقيق لا يبالي بشقيقه
ولا هو يشفق على شقيقته لأنه عاجز عن الحراك
سقط كل واحد في موضعه بعد ان كتمت أنفاسه وانقطعت
أما الذين نجوا فقد هربوا خشية من السيوف الصوارم
من فوق جثث القتلى وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لكن جنود الأعداء لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
وراح كل منهم على سجيته وهواه يختار فريسته المفضلة
اما من كان وسيما جميلا فاتخذوه اسيرا
لا سيما من استحسنوهم من فتيات وغلمان

اما الطاعنون في السن فقتلوهم شر قتل
وكدسوا جثثهم تكديسا ونكلوا بها تنكيلا
فما كفن احد بكفن ولا غطى برداء
ولا دفن في قبر ولا ذرفت عليه دمعة
لم تسمع في ذلك المأتم الرهيب ترانيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف والآباء الروحانيين الاربعة :
الصقلبى(٤) والارمنى والرومى والسريانى
ضحوا جميعا بانفسهم ولم يهابوا الموت
ولم يهملوا قطيعهم كى ينجوا بانفسهم
حتى أن امام الفرنج خرج بنفسه الى الميدان
واستشهد مع رعيته اما رئيس الطائفة الارمينية
فقد نجا بمشيئة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

عمال السلب والنهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغو من هذه الامور سلبوا الذين وقعوا فى اسرهم
والذين سفكوا دماءهم بسيوفهم سلبوهم اموالهم واملاكهم
واملاك آبائهم وأجدادهم وذهب النساء وحليهن
والحلل الثمينة وآنية الفضة والذهب
واوعية البخور العطرة وستائر الكنائس
وحلل المذابح وملابس الكهنة الثمينة
واردية الأحبار واشياء اخرى كثيرة
مما يدعوا الى الرثاء والحسرة

ابتهاج الغالبين بالفوز والنصر :

اما ائمتهم المدعوين « علماء »
فقد صعدوا الى الأبراج العالية من حيث تقرع الاجراس
وراحوا يصرخون بأصوات عالية هاتفين قائلين :

---

(٤) اى الفرنجى .

(٥) هو النبى يونس الذى عرف باسم يونان وجاءت أخباره فى نبوءة يونان .

« يا رسول الله محمد »
ديارك ودارك
المتعبدة لحجارة صماء
وفقا لتعاليم قرآنك
يا مكة العظيمة ، موطن محمد
والقدم المرسومة على صفحتها
جميع هؤلاء المشارقة
وخدام يسوع المسيح » .

لقد استرددنا ماكنا قد فقدناه :
من هذه الأمة الضالة
لقد روينا الأرض من دمائهم
اليك نزف البشرى
يا قبلة الأماني بكعبتها السوداء
اننا سنرد اليك اليوم
عباد الصليب الضالين

رسالة زنكى التي تحمل بشرى النصر الى الخليفة في بغداد :

« السلام عليك ، ابشر
وعلى مدينتهم المنيعة
وليست هذه سوى بداية المعارك
ومن اجل الرسول وليك
فاذكرني اذن يوم الجمعة
كي استطيع ازالة يسوع
وانكل بكل من يدعي

ها انذا قضيت على عباد الصليب
وعرضت اسسها لأشعة الشمس
التي ساخوضها من اجل دينك
رسول الله ونبيه
لدى صلاتك في المسجد
وجميع أتباعه من على وجه الأرض
ان لله ولدا » .

سبب سقوط الرها في يد زنكى من وجهة نظر نيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله
تمكن من فتح الرها
بل من اجل خطاياى الجمة

ولا ببأس قواته
واعمل فيها السيف وسباها
ولكثرة ما اقترفته من آثام

مصادر البحث

(أ) المصادر العربية المطبوعة :

١ — ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين :

(أ) الكامل فى التاريخ ، حـ ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ — اسامة بن مرشد : (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣ — ابن ايبك الدوادارى : (٧٣٢هـ) ابو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر ، حـ ٦ ، الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ — ١٩٦١م .

٤ — ابن الجوزى : (ت ٥٩٧هـ) ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، حـ ٩ ، ١٣٥٩هـ ، حـ ١٠ ، ١٣٥٨هـ .

٥ — الحسينى : ابو الحسن على بن ابى الفوارس ناصر بن على : اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ — ابن حوقل : (عاش فى القرن العاشر) ابو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .

٧ — ابن خرد اذبة : (ت ٣٠٠هـ) ابو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد ، طبعة أربيل ١٨٨٩ .

٨ — ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، حـ ٥ طبعة ١٢٨٤هـ .

٩ — الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين أبى عبد الله محمد

بن احمد بن عثمان : العبر فى خبر من غبر ، حـ ٣ الكويت ١٩٦١ ، حـ ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ ـ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ) ابو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيـان ، حـ ١ ق ١ ، الطبعـة الأولى ، مطبعـة مجلس دائرة المعـارف العثمانيـة بحيدر آبـاد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م) .

١١ ـ ابو شـامة : (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقـدسى : الروضتين فى اخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمى محمد احمد ، حـ ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القـاهرة ١٩٥٦ .

١٢ ـ ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) ابو الفضـل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : الدر المنتخب فى تاريخ مملكـة حلب ، تحقيق ابو اليمن البترونى (ت ١٠٤٦م) المطبعـة الكاثوليكية : بيروت ١٩٠٩ .

١٣ ـ ابن شـداد : (٦٨٤هـ) عز الدين ابى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم : الأعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشـام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ ـ الأصفهانى : عماد الدين محمد بن محمد بن حـامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصـار الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى . مطبعـة الموسـوعات بمصر ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م .

١٥ ـ ابن العبرى : (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) جريجوريوس ابى الفرج ابن هرون الطبيب الملطى : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين ابى القـاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبـدة الحلب من تاريخ حلب ، حـ ٢ ، نشر وتحقيق سـامى الدهـان ، (من ٤٥٧هـ الى ٥٦٩هـ) .

١٧ ـ الفارقى : (عاش فى القرن السـادس الهجرى) أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق : تاريخ الفارقى ، القسم الأول ، حققـه د . بدوى عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

١٨ ـ ابو الفـدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابى الفدا صـاحب حماه : المختصر فى اخبـار البشر ، الطبعـة الأولى ، المطبعـة الحسينية حـ ٢ ، ٣ .

١٩ ـ ابو الفضايل محمد بن على الحموى : التاريخ المنصورى ، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، نشره ووضع فهارسه بطرس غزيا زنيويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ ـ ابن القلانسى : (ت ٥٥٥هـ) حمزة بن يعلى : ذيل تاريخ دمشق، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٢١ ـ القرمانى : ابو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى : اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ .

٢٢ ـ القلقشندى : (ت ٨٢١هـ) أبو العباس احمد : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبيارى ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ ـ ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ) عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى : البداية والنهاية فى التاريخ ، حـ ١٢ ، مطبعة السعادة.

٢٤ ـ ابو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م .

٢٥ ـ المقدسى المعروف بالبشارى : (ت ٣٧٥هـ) شمس الدين ابى عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر البناء الشامى : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ ـ مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

٢٧ ـ ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ) جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، حـ ١ (ينتهى بموت نور الدين محمود بن زنكى ٥٦٩هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ١٩٥٣ .

٢٨ ـ ابن الوردى : (٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابى الفوارس الوردى : المختصر فى أخبار البشر ، حـ ٢ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٥هـ .

٢٩ ـ ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٣٠ ـ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ، (من رجال القرن الخامس الهجرى): تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطـات والميكروفيلم :

١ ـ ابن ابى الـدم الحموى : (ت ٦٤٢هـ) ابو اسـحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريـخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦٦٦ تاريخ .

٢ ـ ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩هـ) صـارم الدين ابراهيم بن محمد : نزهـة الانام فى تاريخ الاسـلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعـه العربيـه رقم ٨٥١ تاريخ .

٣ ـ الذهبى : تاريخ الاسـلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تـاريخ .

٤ ـ ابن السـاعى : (ت ٦٧٤هـ) على بن انجب المعروف بابن الساعى البغـدادى : اختصار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .

٥ ـ سبط بن العجمى الحلبى : (ت ٨٨٤هـ) موفق الدين ابى ذر أحمد ابن ابراهيم : كنوز الـذهب فى تـاريخ حلب ، جـ ١ مخطوط بدار الكتب المصريـة رقم ٨٣٧ تـاريخ تيمور .

٦ ـ ابن شـاكر الكتبى : (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شـاكر بن احمد بن عبد الرحمن : عيون التواريـخ ، جـ ١٣ ميكروفيلم بـدار الكتب المصريـة رقم ١٦٧٢ تاريخ .

٧ ـ ابن الشحنة : (ت ٨١٥هـ) ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روض المنـاظر فى عـلم الأوائل والأواخـر ، مخطوط بـدار الكتب رقم ٥م تاريخ .

٨ ـ ابن العـديم : (ت ٦٦٠هـ) : بغيـة الطلب فى تاريـخ حلب ، مخطوط بـدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

٩ ـ العينى : (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمد محمود بن احمد بن موسى : عقـد الجمـان فى تاريخ اهـل الزمان ، جـ ٥ام ٣ ، ٤ ، جـ ١٦م ١ ، مخطوط بـدار الكتب المصريـة رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٠ ـ الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .

١١ ـ ابن الفرات : (ت ٨٠٧هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن احمد بن محمد ابن عبـد العزيز بن محمد : تـاريخ الـدول والملوك ، الأجـزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ ٥ مخطوط بـدار الكتب المصريـة رقم ٢١٩٧ تاريخ .

١٢ — ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين ابى الفضل محمد بن ابى بكر بن احمد بن قاضى شهبة الاسدى الدمشقى الشافعى : الدر الثمين فى سيرة نور الدين محمود بن زنكى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٢٣٧ (أ) تاريخ .

١٣ — النويرى : (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الادب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة جـ ٢٥ د ٢٦ .

١٤ — ابو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الايوبى — ت ٥٨٩هـ) : تاريخه — القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٩٤٥ تاريخ .

(جـ) المراجع العربية

١ — اسحاق تاوضروس عبيد : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ — اسد رستم : الدكتور : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب ، جـ ٢ دار المكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ — اغناطيوس افرام الثانى : بطريرك السريان الانطاكى : مقاله فى سورية ، طبعـ بيروت المطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ — حسن حبشى : (الدكتور) :
نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ — زامبور : المستشرق . معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، اخراج د . زكى محمد حسن ، د . حسن احمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول جـ ١ (١٩٥١) ، جـ ٢ (١٩٥٢) .

٦ — الطباخ الحلبى : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الأولى ، جـ ١ ، ٢ (١٣٤٣ — ١٩٢٣) .

٧ — عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

ا — الحركة الصليبية : ، جـ ١ ، ٢ الطبعة الأولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٧ — سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ١٩٦٦ .

٩ — الغزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابى الحلبى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حـ ٣ ، المطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥هـ — ١٩٢٦م .

١٠ — محمد كرد على : خطط الشام — حـ ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى حـ ٢م ٣ — (١٨٩٨م) حـ ٦ (١٩٠٢م) ، المطبعة العمومية المارونية فى بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة : بقلم احد رهبان دير السيدة برموس فى برية انبا مقاريوس ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.

2. — Anna Comnena : .
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas, London, 1967.

3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.

4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.

5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, Englsih translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :

1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.

7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London ; 1904.

8. — Cahen (C.) :
La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.

9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939

10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.

11. — Chalandon (F.) :

1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène. (1081 — 1118), Paris, 1900.

12. — Chronique de Michel le Syriens : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.

13. — Defrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.

14. — Der Nersessian (S,) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.

15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.

16. — Dussaud (R.) :
Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Litteraire d'Edesse jusqu'à la première Croisade, Paris.

18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de 888 à 1125, Paris 1930.

19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chroncile of the Crusades, London, 1932.

20. — Grousset (R.) :
1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
2. L'Epopée des Croisades, Paris, 1939.
3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.

21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III, 1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest, 1946.

22. — Hayes (E.R.) :
L'École d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.

23. —Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908) T.V. 1er Partie (Paris, 1912).

24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.

25. — Iorga (N.) :
1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.

26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

27. — Janin (R.P.) :
Les Eglises separées d'Orient Paris, 1930.

28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, tradult par A. Vidick ; Belgium, 1960.

29 — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.

30. — Lammens (H.): La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.

31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.

32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.

33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.

34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.

35. — Oldenboug (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.

36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.

37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.

38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.

39. — Recueille des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.

41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.

42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954, V. 2, 1952.

43. — Schulmberger (G.) :

1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.

44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pensylvania Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.

45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888. Novembre — Décembre.

46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris, 1900.

47. -- Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2, Paris, 1923.

48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.

49 -- William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2 Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

البحر الأسود

القسطنطينية

نيقوميديا

نيقية

أنقرة

الدانشمنديون

ضوريليوم

سلطنة الروم (قونية)

قيصرية

ملطية

الإمارات الأرمينية

مرعش

بوابات قيليقية

قونية

هرقلة

أدنة

المصيصة

طرسوس

الرها

تل باشر

سروج

الاسكندرونة

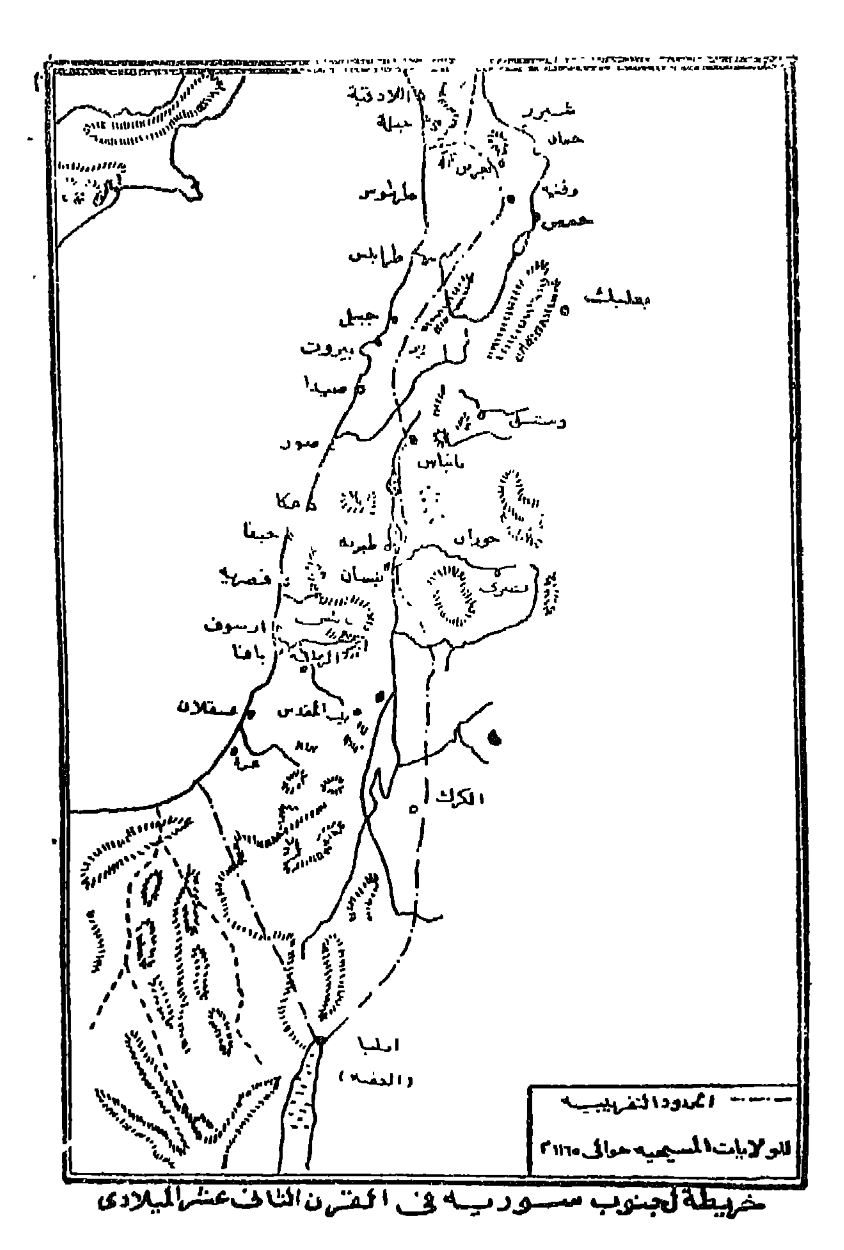
رودس

أنطاكية

حلب

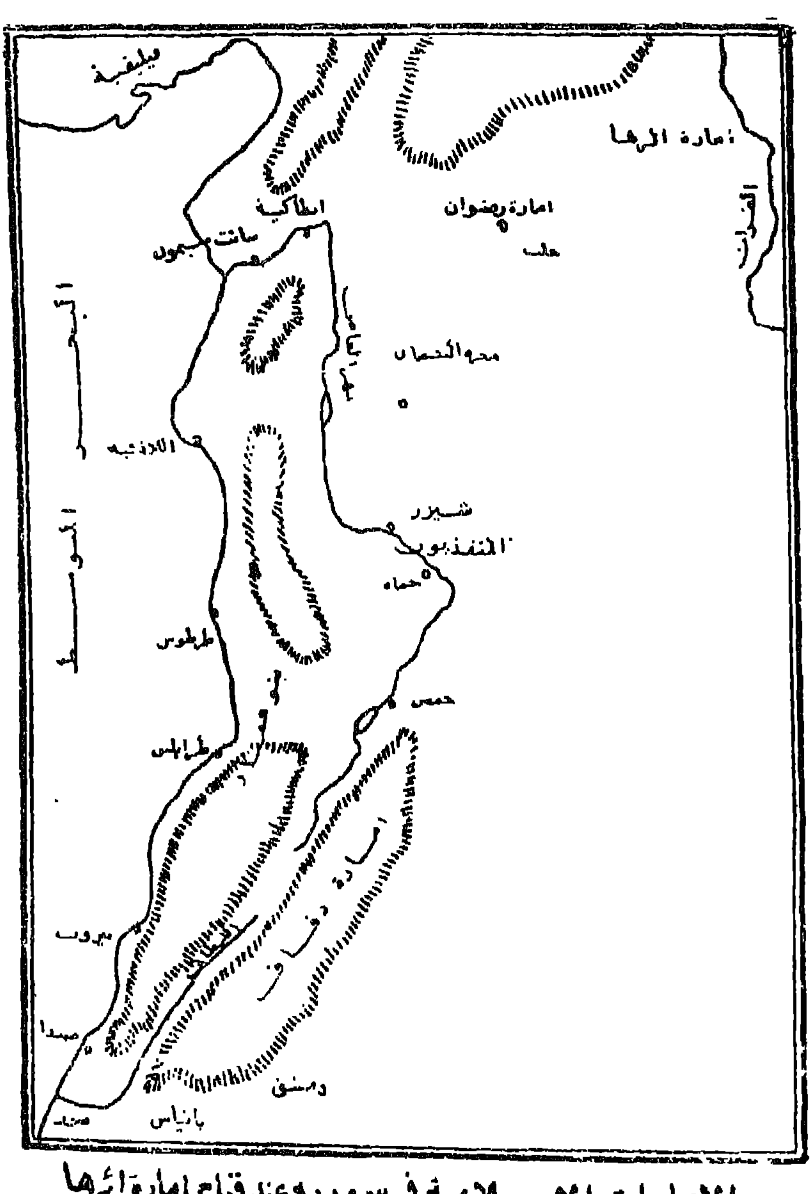
مسير الحملة الصليبية الأولى فى آسيا الصغرى

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T.1. P 206



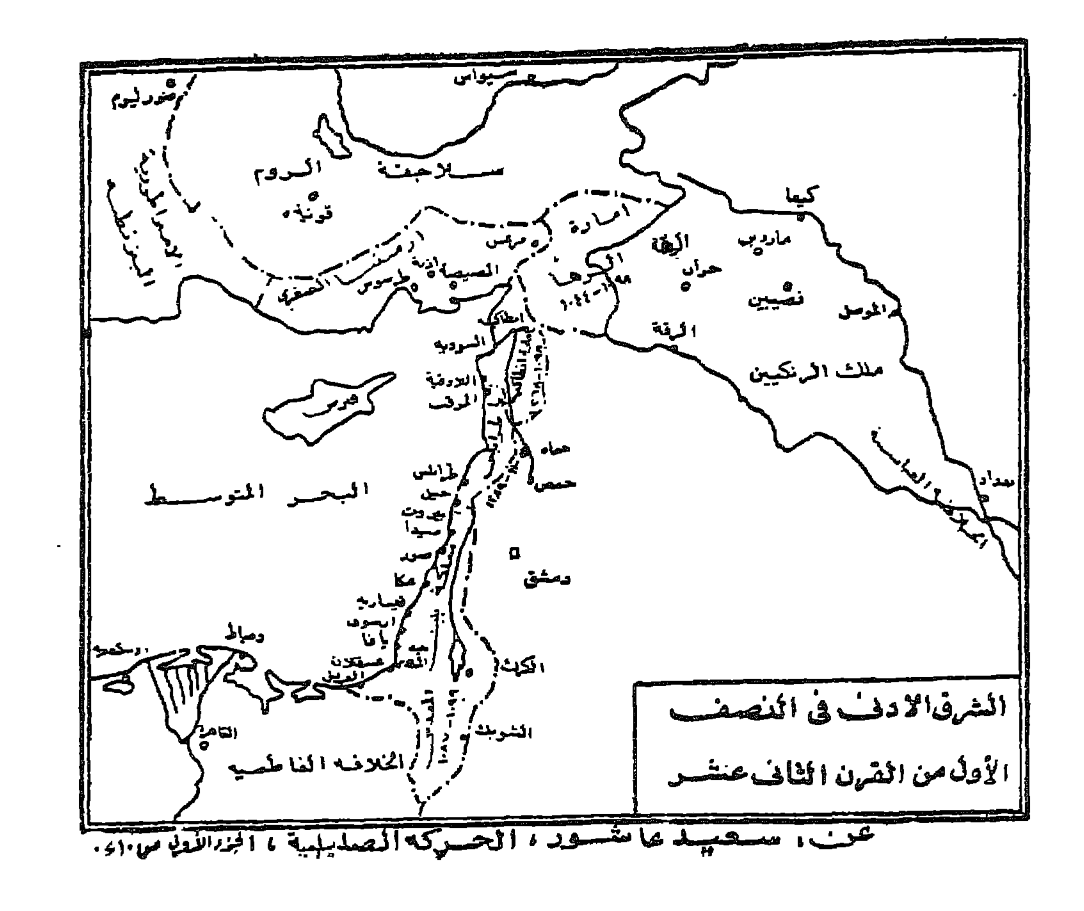
خريطة لجنوب سورية في القرن الثاني عشر الميلادي

عن : S.RUNCIMAN : A HISTORY OF THE CRUSADES, V.2, P. 145

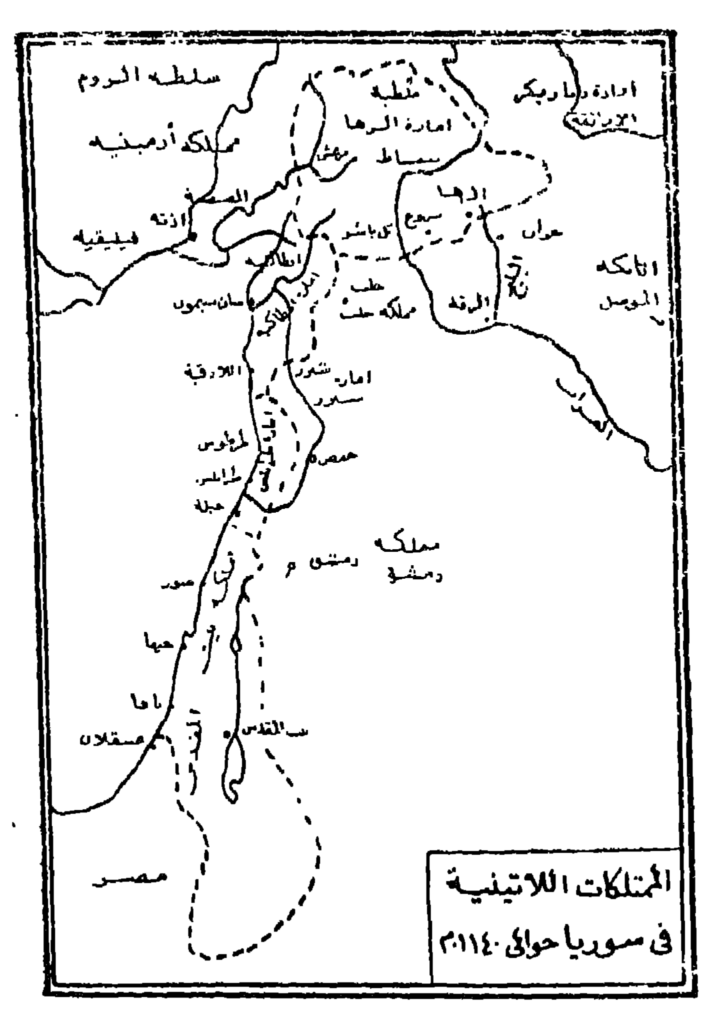


الإمارات الإسلامية فى سوريه عند قيام إمارة اثرها

عن: J.PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JÉRUSALEM, T.1. P. 211

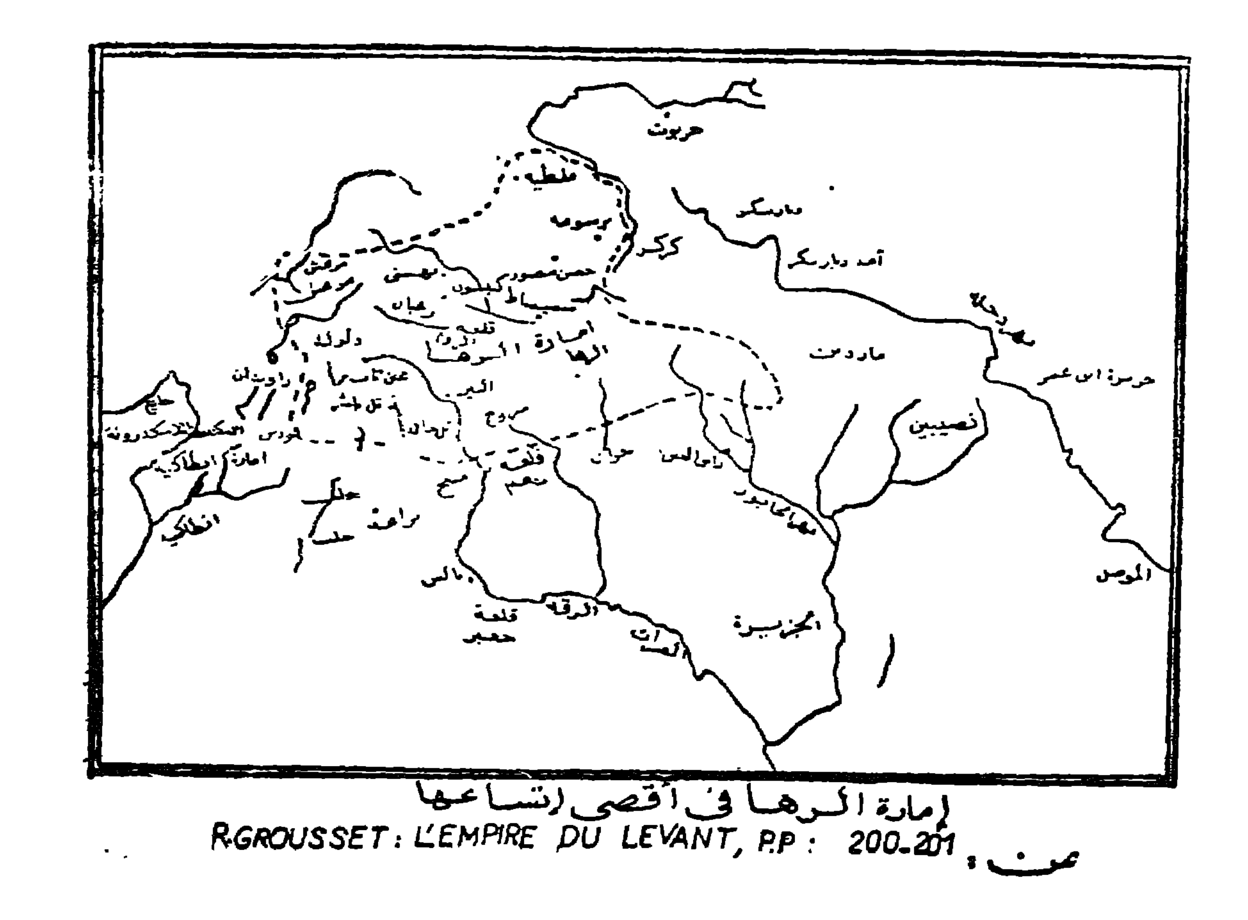


عن: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الأول ص ٥١٠.



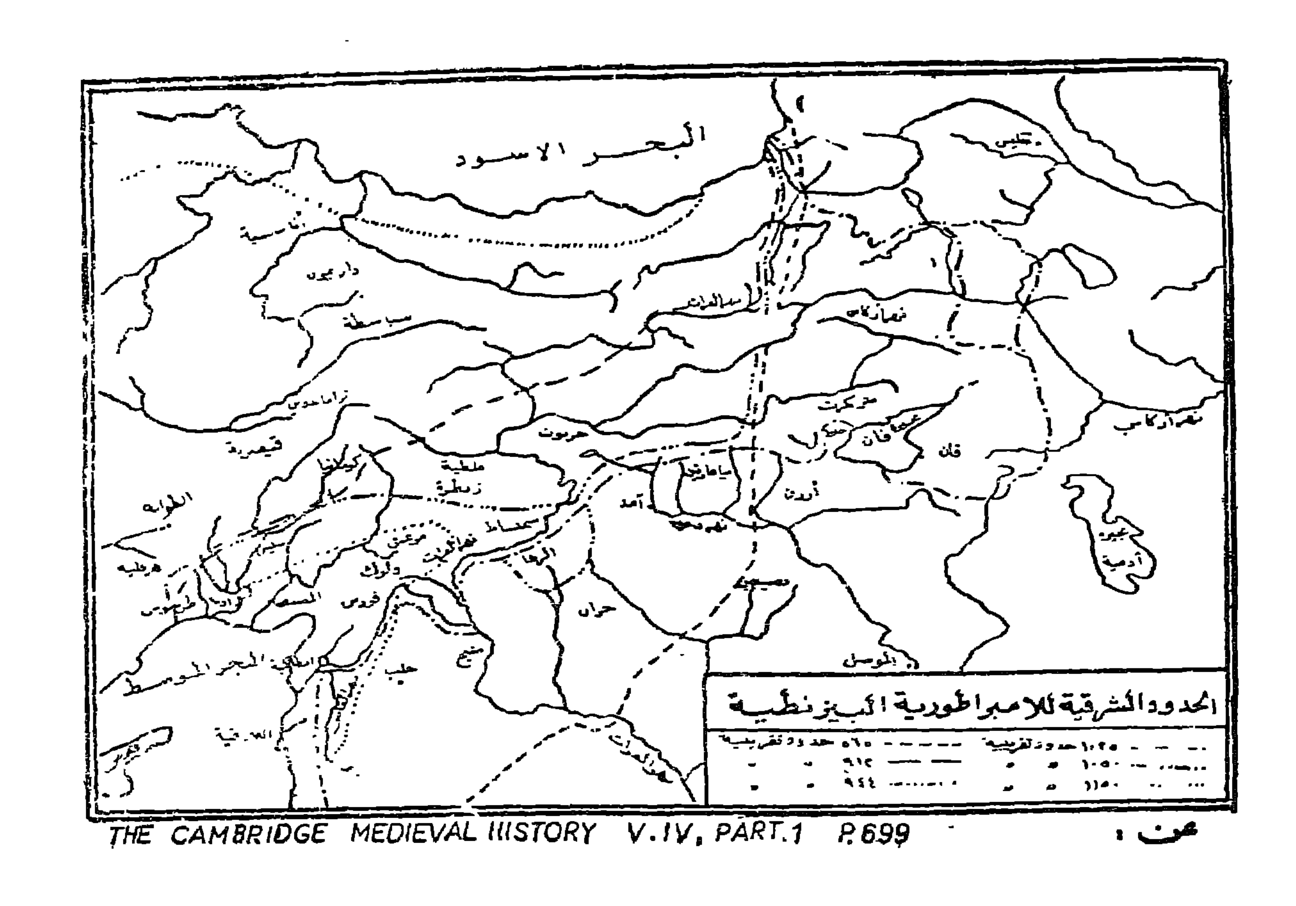
عن :

ZOÉ OLDENBOURG : LES CROISADES
P. 247



إمارة الرها في أقصى إتساعها

عن: R.GROUSSET: L'EMPIRE DU LEVANT, P.P: 200-201


البحر الاسود
الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية
ملطية
زبطرة
آمد
الرها
حران
حلب
منبج
الموصل
قاليقلا
تفليس
بحيرة أرمية
THE CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY V.IV, PART.1 P.699
عن :

فهرس

الموضوع | الصفحة

الباب الأول

قيام أمارة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صدر فى هذه السلسلة

٢٢ـ نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى ،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩.

٢٥ ـ المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بروين،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٩ ـ مصر فى عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.

٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عهد محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.

٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
ـ . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة .
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠

٣٦ ـ المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بروين، ترجمة . د . أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.

٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠

٤١ ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية ،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١.

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية ،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠

٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١.

٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١.

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١.

٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩)،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤)،
د . سهير إسكندر، ١٩٩٣ .
٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على دهنى، ١٩٩٢ .
٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .
٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .
٥٥ - الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .
٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .
٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .
٥٨ - أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .
٥٩ - الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .
٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .
٦١ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر:
د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٤ - مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
٦٦ - المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
٦٧ - مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٨ - الحروب الصليبية جـ٣،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .
٦٩ - نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف : أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤ .
٧١ ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .
٧٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د . أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤ .
٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .
٧٤ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .
٧٥ ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .
٧٦ ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .
٧٧ ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .
٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .
٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .
٨٠ ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .
٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د . رمزى ميخائيل، ١٩٩٥ .
٨٢ ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤
٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤ .
٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥ .
٨٥ ـ تاريخ الإذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥ .
٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥ .
٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦)،
إعداد : تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق. د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥ .
٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥ .
٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥
٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .
٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦ .
٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦ .

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧.
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوى.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣)
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧)
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢
د. ماجدة محمد حمود
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ ١٨١١ ـ ١٨٤٨م
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك
لطفى أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ ـ حسن البنا متى كيف ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. مجاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠، ٢١ ديسمبر ١٩٩٧.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم
١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى
١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر
١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت
١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م
د. أحمد عبد الحليم درار
١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية
١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية
إزاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفى
١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد
١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان
١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة
١٨٤ ـ الموالية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق
١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف
د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة
١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) جـ٢
د. عادل عبدالحافظ حمزة.
١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفة عبده على
١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)
د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد شلبى
١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ١
د. محسن على شومان
١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ٢
د. محسن على شومان.
١٩٣ ـ الامام محمد عبده بين المنهج الدينى الاجتماعى
د. عبدالله شحاته
١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
د. فتحى الصنفاوى
١٩٥ ـ مجتمع أفريقيا فى عصر الولاة
د. نريمان عبدالكريم أحمد
١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبدالعظيم محمد سعودى
١٩٧ ـ القدس الخالدة
د. عبدالحميد زايد
١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة
١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية (تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)
د. بهاء الدين ابراهيم محمود
٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشماليةعبر العصور (أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل ١٩٩٨م) .
اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

٢٠١ ـ إمارة الحج فى مصر العثمانية (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر
٢٠٢ ـ المندوبون الساميون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود
٢٠٣ ـ الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب
٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى
٢٠٥ ـ تاريخ الغربية وأعمالها فى العصر الاسلامى (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا
٢٠٦ ـ مصر للمصريين جـ٩
سليم خليل النقاش
٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢٠٨ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ١
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢٠٩ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢١٠ ـ قبرس والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د. علية عبدالسميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X

يتناول هذا الكتاب تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية



مطابع الهيئة المصرية

٦٢٥ قرشاً